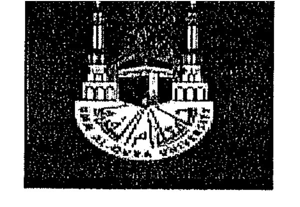
١٨٨٠٦



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم التاريخ والحضارة

التطور العمراني لمكة المكرمة منذ الفتح حتى منتصف القرن الرابع الهجري

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ والحضارة

اعداد الطالبة

أروى بنت محمد بن سليمان الخريجي

إشراف

الدكتور / عدنان محمد فايز الحارثي

الأستاذ المشارك بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين:

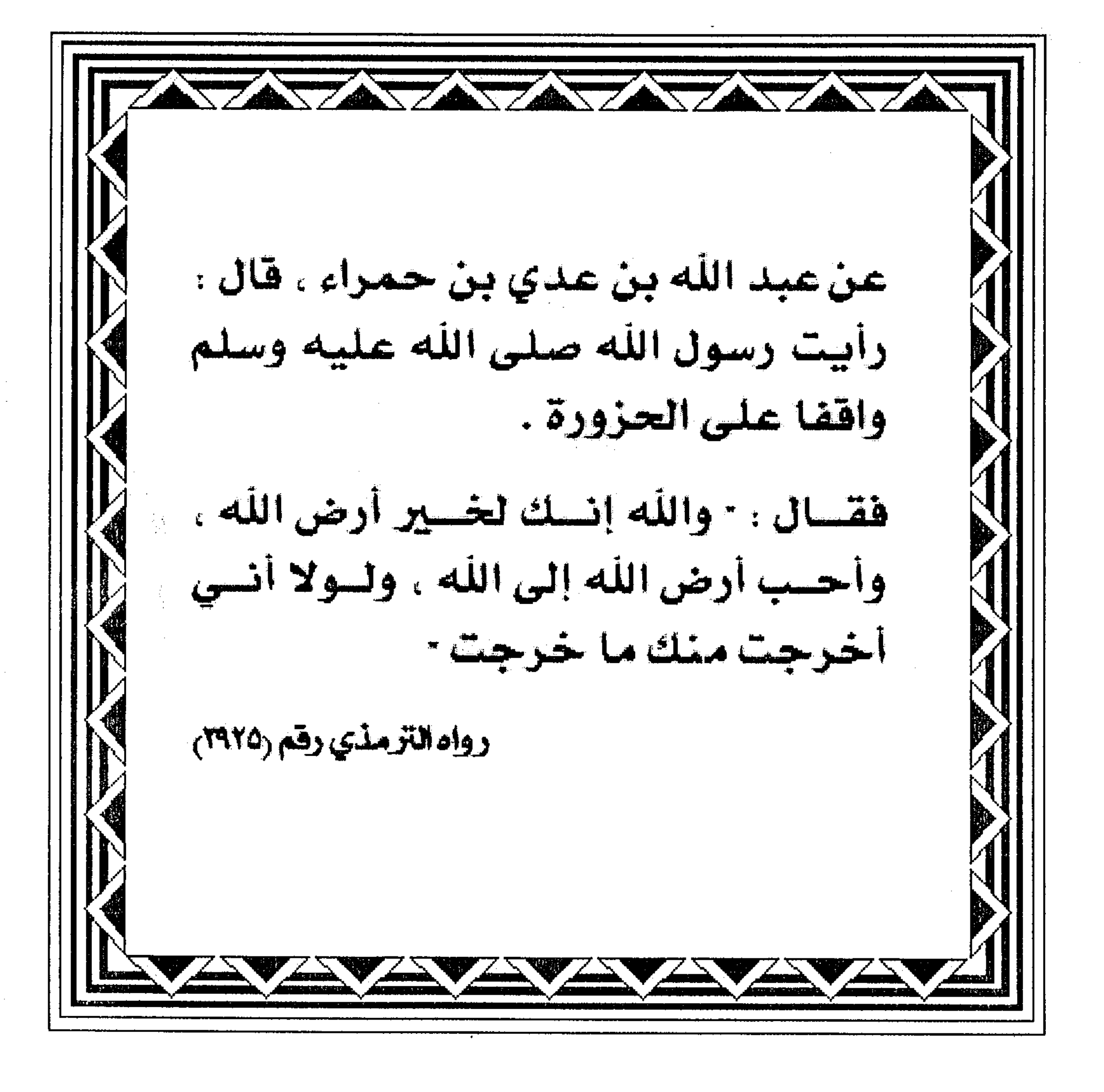
فهذه رسالة مقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، بعنوان " التطور العمراني لمكة المكرمة منذ الفتح حتى منتصف القرن الرابع الهجري " ، تكونت من ثلاثة فصول أساسية تسبقها مقدمة وتليها خاتمة ، وقد تضمنت في بادئ الأمر عرضاً تمهيدياً عن بداية الاستيطان بمكة المكرمة والنمو العمراني لها أسبابه والآثار المترتبة عليه بدءاً من عهد قصي بن كلاب الجد الخامس للرسول صلى الله عليه وسلم .

أما الفصل الأول فقد تناول أبرز العوامل المؤثرة في التطور العمراني للمدينة ، وقد تحدثت فيه عن مكانة مكة المكرمة وحرمتها وأهميتها وأسباب تقديس المسلمين لها وأسماء مكة التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكتب التفسير والتأريخ والتي اجتهد المؤرخين في استنباطها من أحداث ووقائع ودلالات معينة ، بالإضافة إلى الجهود والمشروعات العمرانية التي قام بها الخلفاء والأمراء بمكة والتي كان أكبر الأثر في التطور العمراني الذي شهدته هذه المدينة ، كما جرى الحديث في هذا الفصل أيضاً عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية وما طرأ عليها من تغيرات وتطورات بعد ظهور الإسلام ترتب عنها نتائج كان لها الأثر الواضح في تغير معظم الملامح المعمارية والعمرانية للمدينة المقدسة .

في حين تناول الفصل الثاني الحدود العمرانية لمكة المكرمة وضواحيها وذلك بتوضيح الشكل العام للمدينة المقدسة ، وما طرأ عليها من تغيرات خلال العصور التاريخية المختلفة منذ الفتح حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ولقد جرى توضيح هذه التغيرات من خلال تبيان التوسعات التي شهدتها مكة المكرمة في تلك الأثناء ، ومن خلال دراسة البنية وما طرأ عليها من تغيرات في تلك الأثناء أيضاً ، كما تناول هذا الفصل الأقسام العمرانية لمكة المكرمة وهي : الخطط والأحياء السكنية ، والشوارع والرحاب ، والأسواق ، والبساتين والمنتزهات ، والمقابر ، وهي تشكل في مجموعها العناصر الأساسية لمادة المدينة ، ولقد جرى توضيح ما طرأ على هذه الأقسام من تطورات وتغيرات بعد ظهور الإسلام .

واشتمل الفصل الثالث على منشآت المرافق وأبرز المتغيرات التي ظهرت عليها في تلك الأثناء ، حيث دخل عليها في تلك الأثناء أنواع جديدة من العمائر ، كذلك جرى التوسع في استغلال بعض الأنواع الأخرى التي كانت موجودة في المدينة قبل هذه الفترة ، بالإضافة إلى أنه قد جرى تجديد عمارة بعض المنشآت الأخرى القديمة ، كما جرى بناء عمائر للمرافق في مواضع لم تكن توجد بها في السابق .

أما الخاتمة فقد اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ، وأخيراً أسأل الله أن يجعل هذا البحث علماً نافعاً ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .



عن عبد الله بن عدي بن حمراء ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على الحزورة .

فقال : " والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت "

رواه الترمذي رقم (٣٩٢٥)

الإهداء

إلى من أنار لي طريق العلم والمعرفة .. إلى منهم أقرب إليّ من روحي

أبي الغالي أمي الحبيبة

وإلي من سار معي نحو الحلم خطوة بخطوة .. زوجي الغالي

إخواني أخواتي لا حرمني الله منهم

أهدي بحثي هذا ...

شكر وتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وعلى نبينا وحبيبنا محمد أفضل الصلاة والسلام ، وبتوفيق الله أنجزنا هذا البحث ، وبعد :

أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي الكبير بعلمه الأستاذ الدكتور عدنان بن محمد الحارثي المشرف على رسالتي الذي ساعدني على تخطي الصعوبات التي وقفت أمامي وزودني بالكثير من التوجيه والإرشاد في سبيل إخراج البحث بالصورة التي عليها الآن ، وكل ذلك كان على حساب وقته وجهده ، فأسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته ، وأن يجزيه عني خير الجزاء ، ويجعله فيمن ينتفع بعلمه .

كما أتقدم بشكري الخالص إلى جامعة أم القرى ممثلة في معالي مديرها الدكتور بكري بن معتوق عساس وكافة أعضائها ومنسوبيها ، وأخص بالشكر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وقسم الدراسات العليا التاريخية .

كما أشكر الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم قبول مناقشة هذا البحث وتحملهم عناء قراءته وتدقيقه .

وأخص بالشكر والدي ووالدتي أطال الله في عمرهما فلولا دعمهم ومساندتهم ودعائهم لما وصلت إلى هذه المرحلة .

فإلى هؤلاء جميعاً أقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان ، وأسأل الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن ولاه ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا نحمدك اللهم ونشكرك أن يسّرت لنا اتمام عملنا هذا ، ونسألك اللهم تمام التوفيق فيما أنعمت علينا .

أما بعد:

تعد دراسة التاريخ الحضاري للمسلمين من الموضوعات الهامة المتعلقة بعصرنا الحاضر، والتي نستطيع من خلالها أن نتفهم وبصورة أعمق الأبعاد والجذور التاريخية لواقعنا المعاصر ، وما يكتنف هذا الواقع من أزمات وصعوبات ومشاكل اجتماعية وفكرية وثقافية للعديد منهما أصولاً تاريخية ، كما نستطيع أن نتعرف من خلال هذه الدراسات على أنماط التخطيط السائدة في المدن الإسلامية بشكل عام ، ومدى استجابة المدينة الإسلامية للتغير والتطور الذي حدث في مظاهرها ومرافقها العمرانية المختلفة.

وبالنسبة لاختيار العمران كموضوع دراسي ، لأن العمران هو أحد مظاهر حضارة الإنسان فهو الوعاء الذي يستوعب النشاط الحضري للإنسان ، إذ أنه محصلة التفاعل بين ثوابت جغرافية ومتغيرات تاريخية ، فالمدينة هي المكان الذي يحتوي هذا النشاط في قمة توهجه وانبعاثه وهذا الهدف المتعلق بأسباب اختيار الموضوع في الدراسة العمرانية.

والحقيقة فإن اختيار مكة كموضوع ، وفي فترة تاريخية معينة أمر في غاية الأهمية، حيث اكتسبت هذه المدينة أهميتها منذ بداية الخلق فقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعلها مهبط الوحي ومهوى أفئدة الناس ومأوى حجهم ، كما أن هذه المدينة تعكس تفاعلاً تاريخياً خصباً في مجال التمدن والعمران ، فهي تحمل في أحشائها سجلاً ضخماً من سجلات الحركة العمرانية عند المسلمين ، ابتدأت بوضع اللبنات الأولى لها على يد زعيمها قصي بن كلاب الجد الخامس للرسول صلى الله عليه وسلم الذي حكم مكة في منتصف القرن الخامس الميلادي ، وقام بتخطيط الوادي وتقسيمه إلى أربعة أحياء تدور حول الكعبة المشرفة عرفت بالرباع ، واستمرت بعد ذلك التطورات العمرانية لمكة بعد الظهور الإسلام تسير نحو التقدم بخطى سريعة ، فنمت وتوسعت حول المسجد الحرام الكثير من المساحات والأراضي وتعرضت بيئتها العمرانية لتغيرات متلاحقة نتيجة التطور السريع فقد كان لمشاريع توسعة المسجد الحرام وازدياد أعداد السكان والحجاج والمعتمرين

القادمين إليها أكبر الأثر في اتساع نطاق عمران المدينة ، لتصبح المدينة المقدسة إحدى أكثر مدن العالم الإسلامي ازدحاماً وتكدساً من حيث المحتوى البشري .

إن موضوعاً كهذا ومدينة مثل مكة جديرة بالاهتمام والدراسة والمتابعة ، خاصة وأنه لا يوجد حتى الوقت الحاضر دراسات جادة تناولت هذا الموضوع في كامل الاطار المشار اليه سابقاً .

لذلك قررت مستعينةً بالله عز وجل دراسة مكة في جوانبها العمرانية ، وتقدمت إلى مجلس الدراسات العليا التاريخية والحضارية موضوع " التطور العمراني لمكة المكرمة منذ الفتح حتى منتصف القرن الرابع الهجري " وجرت ولله الحمد الموافقة عليه كموضوع لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية .

ولعل من المفيد أن نذكر أن الدراسة قامت بشكل أساسي في الفصل الأول على دراسة الفعل الحضاري للإنسان كمؤثر مهم في تكوين المظهر العمراني ، وذلك من خلال المعالجة الاجتماعية والاقتصادية ورصد الأعمال والمنجزات والمشروعات المعمارية التي قام بها الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة حرصاً منهم على تلبية كافة متطلبات واحتياجات هذه المدينة المباركة وما يترتب على ذلك من نتائج حضارية وعمرانية ، ويهدف الفصل الثاني للوصول إلى الصورة العمرانية التي ترتبت كنتائج للفصل الأول ، وذلك عن طريق ايضاح مظاهر التأثير على تخطيط المدينة ، بالإضافة إلى التطرق إلى نتائج هذا التأثير على المكونات الداخلية لهذا التخطيط ، وذلك عن طرق دراسة وتحليل مراحل تطور النسيج العمراني لمكة ، بالإضافة إلى دراسة الانعكاسات التي ظهرت على المنشآت والمرافق .

وبناءاً على مبررات الدراسة وأهميتها - المذكورة آنفاً – فإن الدراسة تحاول تحقيق الأهداف التالية :

١- معرفة عوامل التطور العمراني التي أثرت في عمران مكة .
٢- تتبع نمو وتطور العمران بمكة خلال العصور التاريخية المختلفة ثم ملاحظة مدى الاستمرار والتغير خلال فترات الدراسة .
٣- معرفة مستوى التطور العمراني لمكة المكرمة منذ الفتح حتى منتصف القرن الرابع الهجري .
٤- القيام بدراسة وصفية تحليلية للنواحي الحضارية والعمرانية لمكة المكرمة منذ فجر الإسلام حتى نهاية فترة الدراسة ، وذلك بهدف اثراء معرفتنا التاريخية وابراز الوجه الناصع للحضارة الإسلامية .

أما عن الصعوبات التي واجهها البحث فهي متعددة منها قلة المعلومات المباشرة في مجال العمران ، فعلى الرغم من توفر المصادر المختصة بالنواحي العمرانية لمكة غير أنه لا توجد نصوص توضح بدقة مراحل التطور العمراني بمكة منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، بالإضافة إلى تناقض بعض النصوص أو الفهم الخاطئ لبعضها ، مما استوجب البحث في معالجة منطقية لهذه المشكلات .

أما عن نطاق البحث فإن الدراسة قد اشتملت على ثلاثة فصول أساسية تسبقها مقدمة وتليها خاتمة ، وقد تضمنت في بادئ الأمر عرضاً تمهيدياً عن بداية الاستيطان بمكة والنمو العمراني لها أسبابه والآثار المترتبة عليه بدءاً من عهد قصي بن كلاب الجد الخامس للرسول صلى الله عليه وسلم .

يستهدف الفصل الأول عرض وتحليل لأبرز العوامل المؤثرة في التطور العمراني للمدينة ، وقد تحدثت فيه عن مكانة مكة المكرمة وحرمتها وأهميتها وأسباب تقديس المسلمين لها وأسماء مكة التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكتب التفسير والتأريخ والتي اجتهد المؤرخين في استنباطها من أحداث ووقائع ودلالات معينة ، بالإضافة إلى الجهود والمشروعات العمرانية التي قام بها الخلفاء والأمراء بمكة والتي كان أكبر الأثر في التطور العمراني الذي شهدته هذه المدينة ، كما جرى الحديث في هذا الفصل أيضاً عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية وما طرأ عليها من تغيرات وتطورات بعد ظهور الإسلام ترتب عنها نتائج كان لها الأثر الواضح في تغير معظم الملامح المعمارية والعمرانية للمدينة المقدسة .

أما الفصل الثاني فقد تناول الحدود العمرانية لمكة المكرمة وضواحيها وذلك بتوضيح الشكل العام للمدينة المقدسة ، وما طرأ عليها من تغيرات خلال العصور التاريخية المختلفة منذ الفتح حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ولقد جرى توضيح هذه التغيرات من خلال تبيان التوسعات التي شهدتها مكة المكرمة في تلك الأثناء ، ومن خلال دراسة البنية وما طرأ عليها من تغيرات في تلك الأثناء أيضاً ، كما تناول هذا الفصل الأقسام العمرانية لمكة المكرمة وهي : الخطط والأحياء السكنية ، والشوارع والرحاب ، والأسواق ، والبساتين والمنتزهات ، والمقابر ، وهي تشكل في مجموعها العناصر الأساسية لمادة المدينة ، ولقد جرى توضيح ما طرأ على هذه الأقسام من تطورات وتغيرات بعد ظهور الإسلام .

وفي الفصل الثالث جرى تناول منشآت المرافق وأبرز المتغيرات التي ظهرت عليها في تلك الأثناء ، حيث دخل عليها في تلك الأثناء أنواع جديدة من العمائر ، كذلك جرى التوسع في استغلال بعض الأنواع الأخرى التي كانت موجودة في المدينة قبل

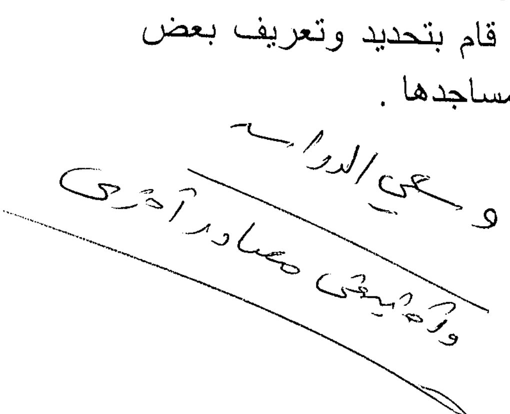
هذه الفترة ، بالإضافة إلى أنه قد جرى تجديد عمارة بعض المنشآت الأخرى القديمة ، كما جرى بناء عمائر للمرافق في مواضع لم تكن توجد بها في السابق .

وفي الختام فإني لا أدعي الكمال في الوصول إلى كل ما ينبغي الوصول إليه في هذا الموضوع ، فالنقصان من طبيعة الإنسان والكمال لله سبحانه وتعالى وحده وأن فوق كل ذي علمٍ عليم ، ولكني بذلت كل طاقاتي وكل ما في وسعي مبتغية الصواب متجنبةً خلافه وحسبي أني حاولت إخراج الموضوع على هذه الصورة فإن كنت قد وفقت في تقديم شيء مفيد فإن ذلك بفضل من الله وله الحمد والمنه ، وإن كنت قد قصرت فذلك من نفسي .

عرض وتحليل مبسط لأهم مصادر البحث :

اعتمد البحث على عدد كبير من المصادر والمراجع الذي غذت مادته العلمية ، فمن أبرز المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب : " أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار " ، لمؤلفه أبي الوليد محمد بن عبد الله الازرقي ، وكتاب : " أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه " ، لأبي عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهي ، فقد أمدت الدراسة بمعلومات تفصيلية عن عمران مكة المكرمة وأحوالها وأبرز خططها ومعالمها العمرانية ، وحال أسواقها ومنشآتها الدينية والمدنية ، وما كانت عليه كثافتها السكانية وتوزيع هذه الكثافات، وعن مكانة هذين الكتابين يقول الفاسي : " وللإمام الأزرقي والفاكهي فضل السبق والتحرير والتحصيل ، فإن ما ذكراه هو الأصل الذي انبنى عليه هذا الكتاب .... وإني لأعجب من إهمال فضلاء مكة بعد الأزرقي للتأليف على منوال تاريخه ، ومن تأليف تاريخ لمكة يحتوي على معرفة أعيانها من أهلها وغيرهم ، من ولاتها ، وأئمتها ، وقضاتها ، وخطبائها وعلمائها ، ورواتها ، كما صنع فضلاء غيرها من البلاد لبلادهم ..."[١]، ويقول السمعاني : عن الأزرقي صاحب كتاب أخبار مكة أنه " قد أحسن في تصنيف ذلك الكتاب غاية الإحسان "[٢]، والأزرقي وان كان له فضل السبق فهو " أول من ألف في تواريخ مكة " إلا أنه أغفل عدداً من المعالم العمرانية التي أكملها الفاكهي في كتابه .

كذلك اعتمد البحث على كتاب " معالم مكة التأريخية والأثرية " لمؤلفه عاتق بن غيث البلادي ، وتكمن أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه قد قام بتحديد وتعريف بعض المعالم العمرانية في المدينة ، وأسماء جبالها وأوديتها ومساجدها .



[١] ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص١٧.
[٢] ـ السمعاني : الأنساب ، ج١، ص١٨٤.

التمهيد :

أحوال مكة المكرمة العمرانية

قبيل ظهور الإسلام

نشأة مكة المكرمة :

عرفت مكة المكرمة منذ أحقاب زمنية موغلة في القدم قبل مجيء إبراهيم عليه السلام إليها ، فنشأتها كانت نشأة الهية تبدأ من قوله تعالى : " إن أول بيتٍ وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين "[1] ، وقد أجمع أهل العلم على أن الكعبة المشرفة هي أول بيت وضع للناس ، ولكن أُختلف في كونه أول بيت وضع في الأرض مطلقاً قبل أن يبني أي بيت قبله على الإطلاق ، أم أنه أول بيت وضع في الأرض ليكون قبلة للناس ويعبد الله تعالى عنده[2] .

لقد اختار الله عز وجل مكة ليقام فيها أول بيت وضع للناس ، وقد كان لموقعها أهمية كبرى للقوافل التجارية القادمة من اليمن والشام تنصب خيامها عندها للراحة وتقيم فيها سوقاً للإتجار وتبادل السلع والبضائع[3]، فلم تكن السكنى دائمة فيها بل كانت سكنى مؤقتة قوامها الخيام ، وبسكنى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بدأ الاستيطان البشري الدائم فيها بصريح قوله تعالى : " ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون "[4] .

وبذلك أصبحت مكة المكرمة سكناً له ولذريته، وقد استجاب الله عزوجل دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فعندما نفذ ما كان لدى إسماعيل عليه السلام ووالدته هاجر من زاد وماء واشتد العطش بالرضيع انطلقت أمه هاجر تبحث عن الماء ، فأرسل الله جبريل عليه السلام يهمز بجناحيه ويركل بقدمه الأرض فتفجر عين زمزم ، فأقامت هاجر وابنها حول البئر[5]، وقد استهوى ظهور زمزم بعض القبائل للإقامة

---

[1] ـ سورة آل عمران : آية ٩٦.

[2] ـ الطبري : (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ت٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : عبد التركي ، دار هجر ، ط١، ٢٠٠١م، ج٥، ص٥٨٩، ابن الجوزي : (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحم بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ، ص٣٠٦.

[3] ـ الشريف : أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٥م، ص١١٠، سلامة : عواطف أديب علي، قريش قبل الاسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني ، دار المريخ ، الرياض ،١٩٩٤م ، ص٢٣.

[4] ـ سورة إبراهيم : آية ٣٧.

[5] ـ السنجاري : (علي بن تاج الدين بن تقي الدين ت١١٢٥هـ) ، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، تحقيق: جميل المصري ، جامعة أم القرى ، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٨٠.

فيها ، حيث تشير بعض المصادر إلى أن ركباً من جرهم [1] مروا من بلاد الشام ، فرأى الركب الطير على ماء ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، فطلبوا من هاجر النزول معها فرحبت بهم ، فشب إسماعيل بينهم وبعد وفاة أمه تزوج منهم فتعلم العربية فهم العرب المتعربة [2] ، وتشير بعض الروايات إلى أن قبيلة جرهم اليمنية هي أولى القبائل التي أقامت بمكة وكان معها حول مكة قوم من العماليق وخزاعة [3] .

عاد إبراهيم عليه السلام بعد ذلك إلى مكة ليطمئن على أهله وشرع مع ابنه إسماعيل برفع قواعد البيت ، قال تعالى : " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم " [4] ، فرفع قواعد البيت يشير إلى أن هنالك قواعد لهذا البيت كانت مبنية قبل إبراهيم عليه السلام ولكنها مطمورة هداه الله تعالى إليها ، قال تعالى : " واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت " [5] ، فالرفع يوحي ببناء ما كان موجوداً ثم طمس ليعاد رفعه مره أخرى ، أما البناء فإنه قد يوحي بأن إبراهيم عليه السلام هو الذي أسس وبنى ، فالكعبة المشرفة كانت موجودة قبل قيام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع أساساتها ، وقد اختلف الإخباريين حول تاريخ بنائها فلا يوجد اتفاق صريح بينهم فهناك من يرى أنها بنيت لأول مرة على أيدي الملائكة ، ومنهم من يرى أن آدم عليه السلام بناها ، وهناك فريق آخر يرى

---

[1] - جرهم : من العرب العاربة "جرهم كنقفذ حي من اليمن " وهو ابن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، ويقال : جرهم بن عابر نزلوا مكة بعد أن فجر الله زمزم لإسماعيل وامه هاجر ونشأ إسماعيل بينهم وتعلم العربية وتزوج منهم .
أنظر : الفاسي : (تقي الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ) ، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ،تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، ط١، ٢٠٠١م ، ص٢٠٩، الزبيدي : (محب الدين محمد مرتضى الحسيني ت١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ط١ ، دار الهداية ،ج ٣١، ص ٤٠٠، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد ، ط٢، ١٩٩٣م ، ج١، ص٣٦١.

[2] - الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج١، ص ٢٥٨، ابن الأثير : (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ت٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٧م، ج١ ، ص٩٣، المسعودي : (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ت٣٤٦هـ) ،مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت،ج٢،ص٤٦.

[3] - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص١٢، ١٣، مهران : محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦م ، ص٣٩١، الشريف : مكة والمدينة ، ص١١١.

[4] - سورة البقرة : آية ١٢٧ .

[5] - سورة الحج : آية ٢٦.

أن شيث ابن آدم هو أول من بدأ بناء الكعبة[1] ، ومهما يكن من أمر فانه يصعب ترجيح إحدى الروايات الواردة عن الإخباريين بيد أنه من الثابت أن إبراهيم عليه السلام هو رافع القواعد من البيت وعندما ارتفع البناء جاء ابنه إسماعيل بحجر ليقف عليه إبراهيم عليه السلام ويستأنف البناء ، وسمي ذلك الحجر الذي ظلت آثار أقدامه ظاهره عليه بمقام إبراهيم [2] .

وظلا على هذا الحال يبنيان ويرددان " ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم " [3] .

وبعد أن اتما بناء الكعبة ، أمر الله إبراهيم عليه السلام بأن يدعوا الناس للحج ، فقال إبراهيم : يا رب وما يبلغ صوتي ؟ قال الله تعالى : أذن وعلي البلاغ ، فقال: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم [4]، قال تعالى: " وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجٍ عميق "[5].

ظل إسماعيل عليه السلام يلي أمر البيت حتى توفاه الله ، فولي البيت نابت بن إسماعيل عليهما السلام ثم توفي فولي بعده مضاض بن عمرو الجرهمي[6]، وانقسمت جرهم في هذه الفترة إلى قسمين : جرهم وسيدها مضاض الجرهمي ، وقطورا وسيدها السميدع ، فنزل مضاض بجرهم أعلى مكة وقعيقعان ، ونزل السميدع بقطورا أجيادين وأسفل مكة ، وكان كل منهما يأخذ العشر ممن يدخل مكة مما يليه ، وظلا على ذلك حتى اختلفا على الملك ونشبت الحرب بينهم ، والتقوا بفاضح[7]، وانتهت الحرب بقتل السميدع ، وفضحت قطورا لذلك سمي المكان بفاضح ،

---

[1] - الازرقي : (أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ت٢٥٠هـ) ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة ، ط٢، ٢٠٠٨م، ج١، ص٦٨- ٩٤، السنجاري : منائح الكرم ، ج١، ص٢٥٩.

[2] - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١، ص٩٥، ابن كثير : (أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ت٧٧٤هـ) ،البداية والنهاية ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ج١،ص١٨٩.

[3] - سورة البقرة : آية ١٢٧.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ،ج١، ص١١٩.

[5] - سورة الحج : آية ٢٧.

[6] - الازرقي : أخبار مكة، ج١،ص١٤١، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص٢٨٤، النهروالي : :(محمد بن أحمد بن محمد ت ٩٩٠هـ)، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق :هشام عطا، مكتبة مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة،ط١، ١٩٩٦م ،ص٧٢.

[7] - فاضح : موضع قرب مكة عند أبي قبيس كان الناس يخرجون إليه لحاجتهم ، وقيل سمي فاضحاً لأن جرهم والعماليق التقوا به ، فهزمت العماليق وقتلوا به فقال الناس : افتضحوا به فسمي بذلك .
أنظر : الحموي :(شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط٢، ١٩٩٥م، ج٤، ص ٢٣١.

وتداعوا للصلح في شعب المطابخ [1] ، وسلموا الأمر لمضاض بن عمرو الجرهمي [2] .

وكان السكن في مكة امتد بجرهم من بطن وادي إبراهيم إلى السفوح المنخفضة لجبل قعيقعان[3] في الشمال الغربي وجبل أبي قبيس شرقاً ، وأما مساكن قطوراء فكانت في شعب أجياد[4] منحدرين إلى أطراف المسفلة ، أما الأحياء الأخرى فلم يصلها العمران في تلك الفترة ، وكانت مساكنهم من الشعر تتلاصق في الوادي وبين ثنيات الجبال [5] .

استمرت جرهم تتولى رعاية البيت فترة من الزمن ، غير أن الأمر لم يدم على حاله حيث قدمت قبيلة خزاعة[6] من اليمن عقب انهيار سد مأرب[1] ، فأصبح حكم مكة

---

[1] - المطابخ : جمع مطبخ ، وهو شعب بأعلى مكة : يقال له : شعب عبدالله بن عامر بن كريز تداعوا للصلح جرهم وقطوراء في هذا المكان ، ونحر مضاض بن عمرو- ملك جرهم - للناس وطبخ لذلك سمي بالمطابخ .
أنظر : البكري : (أبو عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري الأندلسي ت٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب ، بيروت ،ط٣، ١٤٠٣هـ، ج٤، ص١٢٣٧، البلادي : عاتق بن غيث ،معالم مكة التأريخية والأثرية ، دار مكة ، مكة المكرمة ، ط٢ ، ١٩٨٣م ،ص٢٧٩.

[2] - الأزرقي : أخبار مكة ،ج١ ، ص١٤١،١٤٢، الحنفي : عبد الله الغازي المكي ، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة ، ط١، ٢٠٠٩م . ، ج١، ص٢١٧،٢١٨، الفاسي : الزهور المقتطفة ، ص ٢١٠.

[3] - قعيقعان : بضم القاف وفتح المهملة، وهو اسم جبل بمكة ، مشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربي ، ممتداً بين ثنتي كداء، وكدى – بالقصر – بين وادي إبراهيم شرقاً ووادي ذي طوى غرباً ، وسمي بذلك لأن جرهم وقطوراء لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه .
أنظر :البكري : معجم ما استعجم ، ج٣ ، ص١٠٨٦، الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ،ص٣٧٩، البلادي : معالم مكة ، ص٢٢٣.

[4] - أجياد: بفتح أوله ، وسكون ثانيه ،والدال المهملة ، وأجياد جمع جواد من الخيل ، وقيل ، جياد وأجاويد ، وهو موضع بمكة مما يلي الصفا ، وقيل موضع من بطحاء مكة ، سمي بذلك لأن تبعاً لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وهما أجيادان ،أجياد الكبير وأجياد الصغير .
أنظر : البكري : المصدر السابق ، ج١ ، ص١١٥، الحموي : المصدر السابق ، ج١ ،ص١٠٤، البلادي : معالم مكة ، ص١٤.

[5] - السرياني : محمد محمود ، مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري ، الجمعية الكويتية ، الكويت ،ص ١٠، السباعي : أحمد ،تأريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، ط٨، ١٩٩٩م،ج١،٢، ص٢٠ .

[6] - خزاعة: قبيلة حكمت مكة ، بعد انتصارها على جرهم واجلائها عن مكة ،أما نسبهم فمنهم من ولد قمعه بن إياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وقيل : إنهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر بن حارثة بن أمرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وقيل إنهم من قحطان ، ويقال خزاعة بنو حارثة بن عمرو بن عامر ، وسبب تسميتها بذلك : لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين اقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمر الظهران

والإشراف على شؤون البيت الحرام شأناً من شئونها وقد ساعدها في ذلك أن الجراهمة بغوا بمكة ، واستحلوا حرمة البيت الحرام ، فظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها ، لذلك سلط الله على جرهم بني بكر بن عبد مناة بن كنانة وبني غبشان بن عبد عمروا ابن ملكان من خزاعة ، فأجمعوا لحربهم واخراجهم من مكة فاقتتلوا فغلبهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة[٢]، وبذلك فقد عمد زعيمها مضاض بن عمرو الجرهمي إلى غزالين كانا في الكعبة فدفنها في موضع بئر زمزم لعلمه أن بئر زمزم كان السبب في قيام أول تجمع سكاني في مكة[٣]، وبذلك انتزعت خزاعة ولاية مكة من الجراهمة في أواخر القرن الثالث الميلادي[٤]، وكانت ولاية البيت والحكم بمكة في خزاعة ثلاثمائة سنة [٥] .

أخذت مكة بالتطور على يد زعيمها عمرو بن لحي ، فقد عمل على تنشيط الحج إلى الكعبة ، بعد أن تدهور أمر مكة وقلَ الحج إليها ، بسبب اعتداء جرهم على القوافل والتجار والحجاج في مكة ، وإهمالهم لبئر زمزم ، فكان أول من أطعم الحجاج بمكة وقدم لهم لحوم الإبل وعمل لهم الثريد ، فأصبح أشهر من حكم مكة من خزاعة ، حتى بلغ منزلة رفيعة وبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ، فكان قوله فيهم ديناً متبعاً[٦]، واستمرت ولاية البيت بيد عمرو بن لحي وأولاده خمسمائة سنة [٧]، وكان آخر من تولى من خزاعة هو حليل[٨]، وفي زمانه ظهر قصي بن كلاب [١] .

، فأقاموا بها ، وإذا تقرر أن خزاعة من مضر فلا يظهر لتسميتها بخزاعة معنى ، وإذا كانوا من قحطان ، فذلك لانخزاعهم عن قومهم ، والانخزاع : المفارقة .
أنظر : ابن هشام : (عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ت٢١٣هـ) ، السيرة النبوية ،تحقيق مصطفى السقا واخرين، مكتبة وطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٢، ١٩٥٥م، ج١، ص٩٢،٩١، ابن كثير : البداية والنهاية ،ج٢، ص٢٣٥، الفاسي : الزهور المقتطفة ،ص٢٣٩، ٢٤٠ ، الفاسي : (أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي تقي الدين المكي الحسني الفاسي ت٨٣٢هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار الكتب العلمية ، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٥٥.

[١] - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ،ج٤ ، ص١٤.

[٢] - ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١،ص ١١٣، ١١٤، الحنفي : افادة الأنام ،ج١،ص٢٢٥،السهيلي : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ت٥٨١هـ) ، الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : عمر السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .،ج٢، ص١١.

[٣] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص١٥٥ .

[٤] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١،٢، ص٢١.

[٥] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص١٦٨، المسعودي : مروج الذهب، ج٢، ص٥٨ .

[٦] - الازرقي : المصدر السابق ،ج١، ص١٦٤، الشريف : مكة والمدينة ، ص١١٦

[٧] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٢، ص٢٣٦، السباعي : تأريخ مكة ، ج١،٢،ص ٢٣.

[٨] - حليل بن حبيشة بن سلول بن كعب بن عمرو بن لحي الخزاعي من قحطان .

عاش قصي بعيداً عن قومه في بني عذرة على أطراف بلاد الشام ، وسبب ذلك كما يذكر الإخباريين بأن أم قصي[2] ، تزوجت بعد وفاة زوجها كلاب بن مره والد قصي برجل من بني عذرة ، اسمه ربيعه بن حرام[3] وحملها معه إلى الشام ، وصحبت فاطمة ولدها الفطيم قصي ، ونشأ قصي بالشام لا يعرف له أباً سوى ربيعة بن حرام، وولدت فاطمة لربيعة رزاح بن ربيعة فهو أخو قصي لأمه ، ولما شب قصي حدث خلاف بينه وبين أبيه بالتبني فعيّره ربيعه بغربته وأنه ليس له قوم ، وقال له :(ألا تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا)، واشتكى قصي لأمه ما قيل له ، فأخبرته بحقيقة نسبه وموطن أبائه واجداده بمكة ، فقالت له : (أنت والله يا بني أكرم منه نفساً ووالداً ، أنت ابن كلاب بن مره ، وقومك بمكة عند البيت الحرام ، فعزم قصي على اللحاق بقومه والانضمام إليهم ، ولكن والدته أبت ذلك وطلبت منه ألا يتعجل الخروج حتى تحل الأشهر الحرم ، ورحل قصي مع الحجاج من الشام حتى وصل مكة [4] .

تقرّب قصي ممن بيده الأمر بمكة وكان حليل الخزاعي بيده كل مقاليد أمور مكة، فخطب قصي ابنة حليل " حبى"[5]، وكانت هذه أولى الخطوات للوصول إلى هدفه ،

أنظر : ابن ماكولا : (أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر ت٤٧٥هـ)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩٠م ، ج٣، ص ١٨٠، الزركلي : (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ت١٣٩٦هـ) ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٢٧٠ .

[1] ـ قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد ، وقيل اسمه "زيد" وسمي قصي لبعده عن دار قومه .
أنظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١، ص١، ٢.

[2] ـ فاطمة بنت سعد بن سيل – واسم سيل – خير بن حماله بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن خثعمة بن يشكر من أزد شنوءة حلفاء في بني الدّيل .
الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص٢٥٤.

[3] ـ ربيعه بن حرام بن ضنه بن عبد بن كبير بن عذر بن سعد بن زيد .
أنظر : ابن سعد : (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١، ١٩٩٠م ، ج١، ص ٥٥.

[4] ـ ابن سعد : المصدر السابق ، ج١، ص٥٥ ،الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٥٥، الحنفي : افادة الأنام ، ج١ ، ص٢٣٤- ٢٣٩.

[5] ـ حبى بنت حليل بن حبيشة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي ، تزوجها قصي وانجبت له عبد الدار، وعبد مناف ، وعبد العزى، وعبد قصي.
الدار قطني : (أبي الحسن علي بن عمر البغدادي ت٣٨٥هـ)،المؤتلف والمختلف ، تحقيق : موفق عبدالقادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١، ١٩٨٦م، ج٢، ص٧٨٨.

ولما كبر حليل والد زوجته أصبح لا يستطيع أن يباشر أمور البيت الحرام [١] ، فإذا اعتل أعطى مفتاح الكعبة لابنته لتقوم بفتحه ، فإذا اعتلت أعطته زوجها قصياً ففتحها هو أو أحد بنيه وحينما شعر حليل بدنو أجله أوكل إلى قصي أمر البيت يفتحه ويهتم بأمره[٢]، رأى قصي أنه أولى بأمر مكة من خزاعة ، ويروي الطبري واقعة ذلك فيقول :" فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر ،وأن قريشاً فرعة إسماعيل بن إبراهيم " [٣] .

فبدأ قصي في التخطيط للسيطرة على مقاليد أمور مكة فكلم رجالاً من قريش وبني كنانة ، وأرسل لأخيه من أمه رزاح بن حرام يطلب منهم العون على خزاعة ، فأجابه رزاح إلى ذلك ، وكان أمر اجازة الحج بيد قبيلة يقال لها "صوفة" وهم من نسل الغوث بن مرين فكانت "صوفة " تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم إذا نفروا من منى ثم تبدأ صوفة في رمي الجمار فيرمي الناس، فلا يرمي أحد قبلهم.

تقدم قصي بمن معه وقال قصي "نحن أحق بهذا منكم " ، ونشب القتال بينهم وانهزمت صوفة ، وعلمت خزاعة كما يقول ابن هشام "أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة "، فخزاعة لم تبدأ بالحرب بل قصي هو من أشعل فتيل الحرب ، فاقتتلوا بمفضى مأزمي منى فسمي ذلك المكان "المفجر"[٤]، ثم تداعوا للصلح وحكموا بينهم "يعمر بن عوف"[٥]، وكانت نتيجة الصلح تولي قصي مقاليد مكة وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت

---

[١]- ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج١، ص٥٦ ،المسعودي : مروج الذهب،ج٢ ،ص٥٨، الفاسي : الزهور المقتطفة ،ص٢٤٦.

[٢] - ويروى ابن الاثير أن حليل جعل مفتاح الكعبة في يد ابنته حبى فقالت : اني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه فأعطت حبى المفتاح لابي غبشان الخزاعي ، فأشترى قصي منه ولاية البيت بزق خمر وبعود .
انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج١، ص٦٢١، السنجاري : منائح الكرم ، ج١، ص٣٥٨.

[٣] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص٢٥٥، ٢٥٦ .

[٤] - المفجر : بالفتح ثم السكون ، وفتح الجيم ، اسم المكان من فجرت الحوض وغيره إذا اسلته ، وقيل في سبب تسميته بالمفجر لما فجر وسفك فيه من الدماء بسبب ما وقع بين قضاعة وخزاعة من قتال .
الغزاوي : مكة المكرمة في شذرات الذهب ، تحقيق: عبد العزيز الغامدي ومحمد السرياني ومعراج مرزا ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٤٠٥هـ، ص١٤٥.

[٥] - يعمر بن عوف بن كعب بن عمر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، سمي بالشداخ لما شدخ من الدماء ووضع منها ، ابن هشام : السيرة النبوية ،ج١، ص١٢٤ .

قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداه ، وأن يخلى بين قصي بن كلاب وبين الكعبة ومكة [1] .

جمع قصي بطون قريش[2] وأنزلهم مكة وهو الذي جمعهم بعد التفرق فسمي لذلك مجمعاً، فكان أول ولد كعب بن لؤي أصاب في منتصف القرن الخامس الميلادي ، ويذكر الاخباريين أن مكة لم يكن بها بناء غير الكعبة إلى أن تولى قصي أمرها ، ولكن لدينا روايات تناقض ذلك فقد ذكرنا سابقاً أن قبيلة جرهم حينما انقسمت إلى قسمين : جرهم وقطوراء ، أسكن مضاض بن بن عمرو الجرهمي جرهم أعلى مكة وقعيقعان، وأسكن السميدع قطوراء أجيادين وأسفل مكة[3] .

أما الرواية الثانية فقد ذكر الطبري أن خزاعة حين قاتلها قصي :" أخذتها العدسة حتى كادت تفنيهم ،فلما رأت ذلك جلت عن مكة ،فمنهم من وهب مسكنه ، ومنهم من باع ،ومنهم من أسكن "[4].

---

[1] ـ ابن هشام : السيرة النبوية ،ج١، ص١١٨-١٢٤، ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج ١،ص٥٧، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،ج٢، ص٢٥٨، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج١، ص٦٢٢،ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٢، ص٢٦٣، السنجاري : منائح الكرم ،ج١ ،ص ٣٦٠-٣٦٢.

[2] ـ قريش :تصغير القرش ، سميت بقريش لأسباب الآتية :
١- التقرش الاجتماع ،لتجمعها إلى قصي بعد نفي خزاعة .
٢- وقيل سموا بذلك لأنهم كانوا أصحاب تجارة ولم يكونوا أصحاب زرع ولا ضرع ، والتقرش التجارة والاكتساب .
٣- وقيل قريش دابة تسكن البحر وتأكل دوابه .
٤- وقيل إن أول من تسمى قريشاً، قريش بن بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة وقد كان دليل بني النضر في أسفارهم وصاحب ميرتهم.
٥- إن النضر بن كنانة كان يسمى "قريشاً" واستمر بنو قصي كذلك إلى زمن ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ،
٦- وقيل إن قريش جماع نسب ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة .
٧- التقريش ،التفتيش ،وقيل إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بماله ، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيسدونها .
٨- قيل قريش من أجل أنها تقرشت من الغارات .
أنظر: ابن هشام : المصدر السابق ،ج١، ص٩٣، ٩٤، ابن سعد : المصدر السابق ،ج١، ص٥٧- ٥٩، الطبري : المصدر السابق ،ج٢، ص٢٦٣، ٢٦٤، الحموي : معجم البلدان، ج٤ ،٣٣٦- ٣٣٧، ابن الاثير: المصدر السابق،ج١، ص٦٢٨، النهروالي : الإعلام،ص٧٥.

[3] ـ الازرقي : أخبار مكة ،ج١،ص١٤٢، الفاسي: شفاء الغرام ،ج١، ص٤٦٦، الحنفي : افادة الأنام ،ج١،ص٢٢٠.

[4] ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج١، ص٣٨٤.

فهذه الروايات تؤكد على أنه كانت توجد أبنية أو بيوت قائمة في مكة لكنها غير مجاورة للكعبة ، فقد كان الناس قبل مجيء قصي يسكنون في سفوح جبال مكة والشعاب المحيطة بالمدينة ، ولا يجرؤون على البناء بجوار الكعبة لسببين :

السبب الأول : مبالغة في تقديسهم لها انتساباً للكعبة لاستيلائهم عليها[١] .

السبب الثاني : أنهم استحرموا إصابة الجنابة في مكة أي عند البيت ، فكانوا لا يتواجدون في الوادي إلا إذا جاء النهار فإذا حل المساء اتجهوا إلى الجبال [٢] .

إذاً "فقد كانت مكة عشية تسلم قصي زمام السلطة فيها مأهولة بسكانها من الخزاعيين"[٣] .

بداية العمران بمكة المكرمة :

لقد كان بناء الكعبة المعظمة هو نقطة البداية في حركة التطور العمراني للمدينة ونموها ، فقد ارتبط موضع المدينة بوجود البيت العتيق فالجامع وما يمثله من مكانة وأهمية باعتباره مركزاً للعبادة والإدارة والالتقاء يعد النواة أو المركز الأساسي الذي تجتمع حوله الوحدات العمرانية للمدينة بشكل منسق ومتماثل والذي تتفرع حوله الطرق الأساسية باتجاهاتها المختلفة[٤] .

لذلك اتجهت الأنظار للسكنى بجوار البيت العتيق فجمع قصي قومه بطون قريش وأمرهم ببناء مساكنهم حول الكعبة ، حتى تهابهم العرب وتعظمهم ويأمنوا شر القبائل المعتدية ، وقال لهم : " إنكم إن سكنتم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم "[٥]، وكانت أول خطوة قام بها أمر بقطع الأشجار المحيطة بالحرم ليتسنى لقريش البناء فيه ، وقال لهم : " إنما تقطعونه لمنازلكم وخططكم بهلة الله على من أراد فساداً " فلما رأوا أنه لم يلحق به سوء فعلوا مثل فعله ، ثم قام بتخطيط الوادي تخطيطاً رباعياً يقوم على أساس اسكان كل قبيلة على حالها بشكلٍ مترابط يتبعها

---

[١] ـ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ،ج٤ ، ص٥١.
[٢] ـ السنجاري : منائح الكرم ،ج١ ،ص٣٦٨، سلامة : قريش قبل الاسلام ، ص٤١، الشريف : مكة والمدينة ،ص١١٩.
[٣] ـ مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٤٠٤.
[٤] ـ الحارثي : عدنان محمد فايز ، أثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحضاري والعمراني لمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٩٨٨م ، ص٥١، ٥٢.
[٥] ـ السنجاري : منائح الكرم ،ج١ ،ص٣٦٨.

حلفاؤها أو مواليها ، بمعنى أنه جعل الوادي أربعة أحياء كبرى عرفت ب "الرباع" تدور حول مطاف الكعبة [1] .

وخط للكعبة ساحة دائرية توازي صحن المطاف ، والزم الناس أن يبنوا دون ذلك حول مدارها من الجهات الأربع ، وهي تلك المسافة الخالية بين الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام ، على شكل دائرة بيضاوية من الشمال إلى الجنوب ، وبدأ العمران يدب في الوادي وبنى مساكنه ومساكن أبنائه بحيث تطل على ساحة الكعبة[2] ، وجعل بين كل دارين من دورهم مسالك يفضون منها إلى ساحة الكعبة[3] ، وأخذت بيوتهم تتجه نحو البيت وتحيط بدائرة الكعبة فكانت تقترب وتبتعد عنها تبعاً لما لكل أسرة وفخذ من أهمية ومقام[4] ، ففي مقابل وجه الكعبة سكن قصي وبني عبد الدار ، ومن ناحية أجياد سكن بني مخزوم وشاركهم بني تيم وبني عبد شمس وبني عدي في سكنى أجياد ، أما بني عبد مناف وبني زهرة فقد نزلوا شرق المسجد الحرام ناحية جبل أبي قبيس إلى الردم الأعلى ، وفي المنطقة التي عرفت بردم بني جمح " السوق الصغير" غرب المسجد الحرام سكن بني جمح وبني أسد ، وفي ثنية كدى سكن بني سهم ، وانتقل بني عدي من مساكنهم إلى أسفل الثنية في جبل عمر[5] .

فكان القرشيون هم سكان قلب وادي مكة الأبطح[6] وهم أول من نزل حول الكعبة المشرفة وبنوا بيوتهم حولها حتى امتلأ بهم الوادي فسموا قريش البطاح وهم : بنو عبد مناف، وبنو عبد الدار ، وبنو عبد العزى ، وبنو عبد قصي ، بن كلاب، وبنو

---

[1] ـ ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج١، ص ٥٨، البلاذري : (أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري ت٢٧٩هـ) ، أنساب الأشراف ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ج١ ،ص ٥٠ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،ج٢، ص٢٥٨، ابن كثير : البداية والنهاية ،ج٢ ،ص ٢٦٣، الفاسي :شفاء الغرام ،ج٢، ص ٨٥، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ،ج٤ ، ص٤٦.

[2] ـ سلامه : قريش قبل الاسلام ، ص ٨٠، السرياني : مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري ،ص١١ .

[3] ـ السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٠.

[4] ـ مهران : دراسات في تاريخ العرب ، ص٤٠٦.

[5] ـ الفاكهي : (أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس ت٢٧٢هـ) ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة ، ط٥، ٢٠٠٩م ، ج٣، ص٢٦٠ ، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٨٣، بابطين : إلهام أحمد ، الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي ،جامعة الملك سعود، الرياض ،ط١ ، ١٤١٩هـ، ص٢٦.

[6] ـ الأبطح : بالفتح ثم السكون وفتح الطاء والحاء مهملة : وكل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح ، فالأبطح والبطحاء الرمل المنبسط على وجه الأرض ، وسمي أبطح لأن آدم عليه السلام بطح فيه ، وهو ما حاز السيل من الردم إلى الحناطين يميناً مع البيت ، وليس الصفا من البطحاء.
الحموي : معجم البلدان ، ج١، ص٧٤ ، البكري : معجم ما استعجم ، ج١، ص٢٥٧.

زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مره ، وبنو مخزوم ، وبنو سهم ، وبنو جمح ، وبنو عدي بن كعب ، وبنو حسل بن عامر ، وبنو هلال بن اهيب ، وبنو هلال بن مالك ، ومن عداهم من قريش الظواهر فإنهم لم يهبطوا مع قصي الأبطح ،وإنما سكنوا خارج مكة في شعابها وعلى جبالها وهم : بنو معيص بن عامر بن لؤي، وبنو تيم الأدرم بن غالب بن فهر ، وبنو محارب بن فهر ، وبنو الحارث بن فهر[١] .

ويمكن القول أنه في خلال هذه الفترة بدأت البيوت تتكاثف وتتصل ببعضها من باب بني شيبة والمنطقة التي تلي المسعى من الشرق حيث كانت بيوت بني هاشم والسفانيين وبعض غساسنة الشام في شعب ابن يوسف " شعب علي" والأطراف القريبة من شعب عامر ، والسفوح المطلة على المروة مع وجود استيطان في المنحدرات الدنيا لشعب أجياد الكبير وأجياد الصغير وأطراف المسفلة جنوباً مما يلي الكعبة وما جاورها ، أما بالنسبة لما عرف بعد ذلك بجرول وحارة الباب والشبيكة فقد كانت قليلة العمران[٢]، وكانت بطحاء قريش بالمفجر جنوب مكة متنزهاً لقريش تخرج إليه بالغداة والعشي ، كما كانت الاقحوانة بالليط متنزهاً أيضاً اتخذته قريش مجلساً يجلسون فيه يلبسون ثياب زاهية مختلفة الألوان المحمرة والموردة والمطيبة[٣]، وكانت لهم عدة بساتين في شعب خم ووادي فخ[٤] ،ووادي طوى[٥] .

وبذلك يعتبر قصي أول من قام ببناء وادي إبراهيم حيث وضع حدوداً لتلك المساحة حول الكعبة المشرفة ، لذلك عده المؤرخين أول حاكم يقوم بتخطيط مكة المكرمة

---

[١] ـ ابن حبيب : (أبي جعفر محمد بن أمية بن عمرو ت٢٤٥هـ)، المحبر ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٣٦١م ، ص١٦٧، ١٦٨، ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج١ ، ص٥٨، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة، ص٢٤ ، سلامه : قريش قبل الإسلام ،ص٤٢.

[٢] ـ الازرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٧- ٩٠٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٦٣-٣٥٢، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٢٩- ٣٤.

[٣] ـ الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٢٤- ٩٢٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٥٦- ١٦٤.

[٤] ـ فخ :بفتح أوله وتشديد ثانيه ، والفخ وادي الزاهر ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبل الستار ، وجبل حراء ، ولما عدلت مياه وادي ابراهيم العُلى حولت إلى فخ هذا ، ويسمى أعلاه مكة السدر ، وأطلق عليه وادي مكة ، وسمي وادي ابراهيم ، وادي بكة .
البلادي : معالم مكة ، ص٢١١.

[٥] ـ طوى : بضم الطاء المهملة وواو مقصورة ، وهو الوادي الذي يمر بين الحجون وريع الكحل ماراً بجرول حتى يجتمع بوادي ابراهيم في المسفلة ، أعلاه ريع كان يسمى ريع اللصوص ، وفي وسطه العتيبية وأسفله جرول ثم التنضباوي .
البلادي: معالم مكة ، ص١٦٨.

وتحويلها إلى مدينة ، حيث كان سكانها قبله ينزلون من مساكنهم في شعابها إلى الكعبة نهاراً ، ثم يعودون إلى منازلهم مساءاً[1] .

وتعتبر داره التي بناها "دار الندوة " بجوار الكعبة من جهتها الشمالية الغربية[2] أول دار بنيت في مكة - على حد قول الإخباريين - وهناك روايات أخرى تذكر بأن عبد مناف بن قصي أول من بنى داراً بمكة ، ولم يبنى داراً قبلها بل كان بها مضارب للعرب من الشعر الأسود[3]، كما ذُكر أيضاً أن سعيد بن عمرو السهمي أول من بنى بمكة داراً هي دار العجلة ، وقد قيل فيه :

وأول من بوا بمكة بيته   وسور فيها مسكناً بأثافي [4]

وهذا الأرجح " لأنه قادم جديد على مكة فلا يجرؤ على كل هذه التغيرات دفعة واحدة وكانت دار السهمي تلك على مسافة أبعد عن الكعبة في طرف الوادي . مما أوحى لقصي بالاقتراب فعلاً من قلب الوادي ومركزه فكانت دار قصي وهي دار الندوة قريبة من الكعبة "[5] .

هذا وقد اتسم تخطيط المنازل في عهد قصي بالبساطة في مواد بنائها حيث كانت تبنى بالحجارة والطين ، وبالنسبة لشكلها فقد اتخذت الشكل الدائري تعظيماً للكعبة المشرفة ، وكان حميد بن زهير[6] أول من بنى بيتاً مربعاً ، فقالت قريش : ربع حميد بن زهير بيتاً إما حياة وإما مواتا[7] ، ولم ترتفع مبانيهم عن مستوى ارتفاع الكعبة لتبقى مشرفة على المنطقة .

---

[1] - الحارثي: ناصر بن علي ، الآثار الإسلامية في مكة المكرمة ، الرياض،ط١ ،٢٠٠٩م، ص٢٦ .

[2] - ابن هشام : السيرة النبوية ،ج١، ص١٢٥، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج١، ص٥٨ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١، ص٦٢٣.

[3] - جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ،ج٤،ص٥١ .

[4] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١،٢، ص ٢٩ ، جواد علي : المرجع السابق ، ج٤، ص٥٢ .

[5] - سلامه : قريش قبل الإسلام ، ص٨١ .

[6] - حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسدي ، وكانت داره ملاصقة للمسجد بظهر الكعبة .
ابن حجر العسقلاني : (أحمد شهاب الدين بن علي بن محمد بن محمد العسقلاني ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٤١٥هـ، ج١، ص٣٢٥.

[7] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٣٩١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣ ، ص٢٥٢ ،ابن ظهيرة :(جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين ت٩٦٠هـ) ، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ،ط١ ، ١٩٢١م ، ص٢٦، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٤ ، ص ٥١، السباعي: تاريخ مكة ، ج١،٢، ص ٢٩.

وتحتوي هذه البيوت غالباً على بابين باب للدخول وباب للخروج ، وبها عدد من الغرف ، وكان بعضها يحتوي على حجر عند باب البيت ، يجلس تحته ليستظل به ، كدار السيدة خديجة رضي الله عنها ، حيث كان يحتوي على حجر يجلس النبي صلى الله عليه سلم تحته ليستتر به من الرمي إذا جاءه من دار أبي لهب فقد كانت داره مقابل دار السيدة خديجة رضي الله عنها[1] .

ومنذ بداية القرن السادس الميلادي سيطرت مكة على زمام التجارة في بلاد العرب[2] ، وقد ساهمت ظروفها المكانية كمحطة على الطرق التجارية على ممارسة النشاط التجاري[3] ، فمن المعروف أن مكة في عهد قريش أقامت علاقات متنوعة مع البلدان المجاورة لها كالطائف والمدينة وبعض القبائل التي كانت تقطن على الطريق لتحمي تجارتها ، فأصبح طريق التجارة الذي يمر بها آمناً بعد اتفاقية الإيلاف أو ميثاق السلامة الذي طبقه هاشم الجد الأعلى للرسول عليه الصلاة والسلام مع الروم والفرس والحبشة للحصول على براءة مرور القوافل التجارية المتوجهة إلى الشام والحبشة[4] ، وقد أدى نجاح هذه الاتفاقية إلى توسع تجاري كبير آل بدوره إلى قيام الأسواق وزيادة حجم التداول مع القبائل والدول الكبرى .

وقد تميزت بعض الأسواق بأهميتها كأسواق موسمية تعقد في مواسم الحج للمتاجرة بالسلع والمنتجات المحلية والمستوردة ، كسوق عكاظ ومجنة وذو المجاز ، فسوق عكاظ كانت تعقد في بداية شهر ذي القعدة وتستمر مدة عشرين يوماً ، ثم ينتقل الحجاج بعد ذلك إلى سوق مجنة ليباع فيها ما بقي من البضائع التي عرضت بسوق عكاظ مدة عشر أيام ، وكان يحضر هذه الأسواق التجار وكل من يرغب في شراء أو بيع أي سلعة من السلع المعروضة والمتداولة[5] .

كما أقيمت الأسواق الدائمة بالقرب من المسجد الحرام كسوق الحزورة الذي يقع ملاصقاً للمسجد الحرام من الجهة الجنوبية الغربية[6] ، وسوق الكثيب أسفل جبل خليفة جنوب المسجد الحرام[7] ، وسوق الأبطح الذي كانت تعرض فيه بضائع الشام

---

[1] ـ الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٧٠، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٤،ص٥٢.

[2] ـ سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٢٣٠.

[3] ـ الشريف : مكة والمدينة ، ص١١٠.

[4] ـ ابن حبيب : (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي ت٢٤٥هـ) ، المنمق في أخبار قريش ، تحقيق : خورشيد فاروق ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م، ص٤١- ٤٥.

[5] ـ الازرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٢٨٠، ٢٨١.

[6] ـ الازرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٥، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٢٠٦.

[7] ـ الازرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٤٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩١.

وغيرها[1] ، وسوق قرن القرط في نهاية أجيادين الكبير والصغير ، وكان الناس في الجاهلية يتبايعون عنده القرط وهو نوع من علف الحيوانات[2] ، وقد شاركت البيوت المكية في إثراء النشاط الاقتصادي وزيادة حجم التبادل التجاري ، كما استخدمت كمستودعات يتم فيها تخزين العديد من البضائع ، ومن هذه البيوت دار صفوان بن أمية الجمحي أسفل مكة التي كانت تسمى " دار مصر " لأن القوافل تأتيها من مصر محملة بالبضائع فيقصدها الناس ويشترون منه[3] ، ودار أم أنمار القارية شرق المسجد الحرام عند رحبة بين الدارين (دار أبي سفيان ودار ابنه حنظلة)[4] ، وكانت القوافل القادمة من الشام تقف عند دار الندوة الملاصقة للمسجد الحرام من الناحية الشمالية الغربية[5] ، والقوافل القادمة من السراة والطائف تحط بضائعها في رحبة بين الدارين[6] ، وكان التجار ينتظرون وصول القوافل التجارية الآتية من اليمن عند سامي المنظر دون إضاءة لبن[7] .

ونظراً للانتعاش الاقتصادي فقد دأب أهل مكة على حل مشكلة المياه فيها عن طريق انفاق الأموال على حفر الآبار ، ولاشك في أن ازدياد النمو السكاني وتوافد الحجيج على مكة وشدة معاناتهم في الحصول على الماء وجلبه حيث كانوا يشربون من حياض ومصانع على رؤوس الجبال والآبار[8] أوجد الحاجة الماسة إلى الاهتمام بحفر الآبار ، فاهتم عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم بإعادة حفر بئر زمزم، ذلك أنه أمر في المنام بحفرها فلما دل على موضعها قام فحفرها ونذر إن تم له حفر زمزم وتتام له من الولد عشرة ذكور ليذبحن أحدهم ، فأقرع بين أولاده فخرجت القرعة على عبدالله ، فرفضوا قريش ذلك ولكنه في النهاية افتدى بمائة من الإبل ، وعمل الأحواض داخل الحرم ، ووضع فيها الماء لسقاية الحجاج ، واستمر عبد المطلب في سقاية الحجاج حتى توفي ، وتولى بعده ابنه ابو طالب[9] .

---

[1] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص١٤٧ .

[2] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩٢ .

[3] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٤٢ .

[4] - الازرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٩٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣١٧ .

[5] - بابطين : الحياة الاجتماعية ، ص١٤٧ .

[6] - الازرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٨ .

[7] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٥ .

[8] - الازرقي : أخبار مكة ،ج٢، ص٨٣٧-٨٤٢، الفاكهي : المصدر السابق ،ج٤ ،ص ١٠٤ - ١٠٨، البلاذري : (أحمد بن يحي بن جابر بن داود ت٢٧٩هـ)،فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٩٨٨م، ص ٥٦ .

[9] - الازرقي : المصدر السابق ،ج١، ص٥٥١ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ،ص٢٥٩، ٢٦٠، مالكي : سليمان عبد الغني ، مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الاراضي المقدسة منذ

وقد ذكرت المصادر الآبار التي حفرت في مكة منها بئر العجول[1] التي حفرها قصي بن كلاب في دار أم هاني بالحزورة ولم يكتفي بحفرها بل هيأ لها أحياضاً للشرب متصلة بالبئر[2]، كما حفر بئراً في أعلى مكة عند دار إبان بن عثمان[3].

وتتابع الاهتمام وتوسعت الرغبة في حفر الآبار ، فحفر هاشم بن عبد مناف بئر بذر في شعب أبي طالب ، وبئر "سجله[4]" بين الصفا والمروة شارعه على المسعى ، وحفر عبد شمس بن عبد مناف بئر "الطوي" في أعلى مكة[5]، كما حفر أمية بن عبد شمس بئر الجفر بطرف أجياد الكبير[6] ، وكان لبني عبد شمس أيضاً بئران "أم جعلان " دخلت في المسجد الحرام ، و"العلوق" بأعلى مكة عند دار ابان بن عثمان[7].

ولما حفر بنو عبد مناف الآبار وسقوا الناس ، شق ذلك على قبائل قريش ورأوا أنه لا ذكر لهم في تلك الآبار ، فحفرت قبائل قريش أباراً[8]، منها بئر سقية أو شفيا حفرها بني أسد وموضعها بين المأزمين ، وبئر السنبلة[9] حفرها بنو جمح بأسفل

السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٩٨٧م ،ص٥٥ ، الخولي : محمد زكي عبد الحليم ، مسك الكلام في أخبار البلد الحرام ، دار لينة ، دمنهور، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٤٧، ٢٤٨.

[1] - العجول مأخوذة من العجلة ضد البطء ، وقيل حفر قصي ركية فوسعها في دار أم هاني بنت أبي طالب اليوم بمكة فسماها العجول، الحموي : معجم البلدان ،ج٤ ، ص٨٧ .

[2] - سلامه : قريش قبل الإسلام ،ص ٩٠ .

[3] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٣٨، الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص١٠٧، مالكي : مرافق الحج، ص٥٩ ، سلامه : المرجع السابق ، ص٩٠، الخولي : مسك الكلام ، ص١١١.

[4] - سجله :بفتح أوله، واسكان ثانيه ، على لفظ تأنيث السجل من الدلاء ،كاسم المرة من السجل ، وقيل هي بئر حفرها قصي بن كلاب .
أنظر :البكري : معجم ما استعجم ، ج٣، ص٧٢٤، البلادي : معالم مكة ،ص ١٣٠.

[5] - الطوي: بالفتح ثم الكسر ، وتشديد الياء ، وهي البئر المطوية بالحجارة ، وجمعها أطواء .
أنظر : ابن هشام : السيرة النبوية،ج١، ص١٤٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ،ج١،ص٥٧، الحموي : معجم البلدان ،ج٤،ص ٥١، الخولي : مسك الكلام ،ص١١٣.

[6] - ابن هشام : المصدر السابق ، ج١،ص١٤٩ ، الازرقي : أخبار مكة ،ج٢، ص٨٤٠، الفاكهي : أخبار مكة ،ج٤،ص ١٠١، مالكي : مرافق الحج ،ص٦٠.

[7] - الازرقي :المصدر السابق،ج٢،ص ٨٤٠، ٨٤١، الفاكهي : المصدر السابق ،ج٤ ،ص١٠٢ ، الخولي : مسك الكلام ،ص١١٣.

[8] - الازرقي : المصدر السابق ،ج٢ ،ص٨٤٥.

[9] - السنبلة: بضم السين المهملة ، بلفظ سنبلة الزرع ، وهي بئر بمكة بسوق الليل .
الحموي : معجم البلدان ،ج٣ ،٢٦١، البلادي : معالم مكة ،ص١٣٨.

مكة، ولبني جمح أيضاً بئر أم حردان عند ردم بني جمح "[1]، وحفرت بنو سهم بئر رمرم ، وبئر الغمر"[2]، كما حفرت بنو عبد الدار بئر "أم أحراد"[3]،وحفرت بني مخزوم "بئر سقيا "[4]، وبنو تيم "الثريا "[5]، وبني عامر بن لؤي "بئر النقع "[6] وكانت بئر ميمون بن الحضرمي بأعلى مكة آخر بئر حفرت في الجاهلية[7]، كما حفر كلاب بن مره بئر خم[8] ، وكانت مشرب الناس في الجاهلية ، وحفر مره بن كعب "رم" وتقع عند طرف الموقف بعرنه قريباً من عرفة [9].

وبهذا يمكن القول أن التنافس كان دافعاً لبطون قريش في التوسع في حفر الآبار، فعندما حفر بنو عبد مناف الآبار ، حفرت بنو أسد وبنو عبد الدار وبنو جمح وبنو سهم وبنو مخزوم وبنو تيم وبنو عامر آباراً مماثلة ، كذلك المباهاة والتفاخر على بعضهم البعض في أشعارهم بسقاية الناس ، ومن دوافع حفر الآبار "سد حاجة البيتوتات والعشائر من الماء ، ثم أصبح بعد ذلك يمثل جاهاً اجتماعياً يتباهى به أصحاب هذه الآبار ، وذلك بتيسير ماء الشرب للحجاج ، ومسألة المباهاة تلك لا

---

[1] - ردم بني جمح : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، ويسمى ردم بني قراد ، وسمي بذلك لأن بني جمح بن عمرو وبني محارب بن فهر - وكلاهما من قريش – قد اقتتلوا بمكة ، فردمت بنو جمح قتلاها هناك فسمي بذلك .
البكري : معجم ما استعجم ،ج٢، ص٦٤٩، البلادي :معالم مكة ،ص١١٥ .

[2] - الغمر: بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وهو الماء الكثير المغرق ، وثوبٌ غمرٌ إذا كان سابغاً ، والغمر بئر قديمة لبني سهم .
البكري: المصدر السابق ،ج٣، ص١٠٠٢.

[3] - أم أحراد : جمع حريد، وهي قطعه من السنام فكأنما سميت بهذا ، لأنها تنبت الشحم ، وتسمن الابل أو نحو ذلك ، والحرد: القطا الواردة للماء ، فكأنها تردها القطا والطير .
البلادي : معالم مكة ، ص١٧، السهيلي : الروض الأنف ، ج٢ ،ص ٨٠.

[4] - سقيا : بضم أوله ،وسكون ثانيه ،يقال: سقيت فلاناً وأسقيته أي قلت له سقياً ،بالفتح ،وسقاه الله الغيث وأسقاه ، وسمي بذلك لأنهم سقوا بخا عذباً.
الحموي : معجم البلدان، ج٣،ص٢٢٨ .

[5] - الثريا :بلفظ النجم الذي في السماء ، والمال الثري على فعيل ،هو الكثير ، وثريا:اسم بئر بمكة لبني تيم بن مره .
الحموي : المصدر السابق ،ج٢ ،ص٧٧.

[6] - النقع : بالفتح ثم السكون ، وهو كل ماء مستنقع من ماء عدٍ أو غدير.
الحموي : المصدر السابق ، ج٥، ص٣٠٠.

[7] - الازرقي : أخبار مكة ،ج٢ ، ص٨٤٤، الفاكهي :أخبار مكة ، ج٤ ، ص١٠٤ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص٥٧.

[8] - خم : بضم الخاء المعجمة ،وميم ، من خممت البيت إذا كنسته ، وهي بئر قريبة من الميثب جنوب مكة ، كانت متنزه لأهل مكة في الجاهلية والإسلام .
الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ،ص٣٨٩، الزبيدي : تاج العروس ،ج٣٢، ص١٢٢،البلادي : معالم مكة، ص٩٦ .

[9] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص ٨٣٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤ ،ص٩٧ .

يمكن نكرانها لكن يمكن أن يضاف إليها اغراض عملية أخرى ، وهو اجتذاب الحجاج والوافدين إلى مكة ، والحصول على فوائد من جراء المبادلات التجارية معهم "[1] ، وعلى الرغم أنهم حققوا أهدافهم من حفرهم للآبار إلا أن بعضهم كان يأخذ على بئره الأجر[2] .

ومن أعمال القرشيون المعمارية بنائهم سوراً بأعلى مكة " المدعى " في أواخر عهدهم وجعلت فيه أبواباً لحماية المدينة المقدسة ، ولم يثبت أنها بنت مثله في جهة أخرى من مكة[3] .

---

[1] - بابطين : إلهام أحمد: المنشآت المائية في مكة منذ ما قبل الاسلام حتى نهاية العصر الاموي ، جامعة الملك سعود ، الرياض،٢٠٠٣م،ص ٤٢٩.

[2] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١١٠ .

[3] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٦، الحارثي : الآثار الإسلامية في مكة ،ص٣٩٧.

الفصل الأول:

عوامل التطور العمراني

المبحث الأول: الأهمية الدينية لمكة المكرمة

المبحث الثاني: أسماء مكة المكرمة

المبحث الثالث: اهتمام الخلفاء والحكام بمكة المكرمة

المبحث الرابع: تطور الأوضاع الاقتصادية

المبحث الخامس: النمو السكاني لمكة المكرمة

المبحث الأول

المكانة الدينية لمكة المكرمة

تطرق الكثير من العلماء والمفسرين والمؤرخين إلى فضل مكة المكرمة عن سائر البلدان ، فالمصادر ذكرت أن مكة المكرمة تحظى بمكانة دينية وقدسية منذ أحقاب موغلة في القدم قبل عهد ابراهيم عليه السلام ، فلا توجد بقعة في الأرض نالها من التقديس والتبجيل وتعلق المسلمين مثل ما نال مكة المكرمة ، فقد باتت موطناً مقدساً مكرماً وذلك للأسباب التالية :

- حرمة مكة بلد الله الحرام :

قال تعالى : " إنما أمرت أن أعبد هذه البلدة الذي حرمها الله وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين "[١] .

اصطفى الله سبحانه وتعالى هذه البقعة المباركة وحرمها منذ خلق السماوات والأرض تعظيماً لها ورفعاً لشأنها واعلاناً بمكانتها ، ويؤكد هذا التحريم أحاديث كثيرة منها : ماروراه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لـمّا فتح الله عزّ وجلّ على رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ مكّة قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، فإنها لا تحل لأحدٍ كان قبلي ، وإنها أحلت لي ساعةً من نهارٍ، وإنها لا تحل لأحدٍ بعدي ، فلا ينفر صيدها ، ولا يختلى شوكها ...."[٢] .

وقد أكّد النبي صلى الله عليه وسلم استمرار حرمتها إلى يوم القيامة ، فلم تبح له سوى ساعة من نهار ، ساعة الفتح وذلك لتطهيرها من الأوثان[٣] .

فعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات و الأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، و إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من

---

١ - سورة النمل : آية ٩١.

٢ - البخاري : (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ت٢٥٦هـ) ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف ب" صحيح البخاري"، تحقيق : محمد زهير ، دار طوق النجاة ، ط١، ١٤٢٢هـ ، ج٣، ص١٢٥، حديث رقم ٢٤٣٤، مسلم : (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف ب" صحيح مسلم"، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج٢، ص٩٨٨، حديث رقم ٤٤٧.

٣ - الدميجي : عبدالله بن عمر ، البلد الحرام فضائل و احكام ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ١٤٢٣هـ ، ص٢٣ .

عرّفها ، ولا يختلى خلاها[1] ، فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر، فإنه لقينهم ولبيوتهم ، فقال : " إلا الإذخر")[2] .

- إقسام الله تعالى بها :

لقد بوأ الله سبحانه وتعالى لمكة المكرمة المكانة والعظمة ، ولأهميتها فقد أقسم بها في موضعين من كتابه : في قوله تعالى : (والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين)[3] ، وفي قوله تعالى : (لا أقسم بهذا البلد * وانت حلّ بهذا البلد)[4] .

فالمقسم به في الموضعين مكة المكرمة ، وفي ذلك دلالة على عظمة المقسم به .

- أحب البلاد إلى الله تعالى :

جعلها الله سبحانه وتعالى خير وأشرف بلاد الأرض وأحبها إليه ، كما ثبت في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن عبدالله بن عدي بن حمراء ،قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على الحزورة فقال: " والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت "[5] .

كما كان لمكة مكانة خاصة ومحبة عميقة في قلب النبي عليه الصلاة والسلام ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة : " ما أطيبك من بلد ، وأحبك إلي ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك "[6] .

ومما يدل على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لمكة ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قدمنا المدينة وهي وبيئة ، فأشتكى أبو بكر ، واشتكى بلال ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوى أصحابه ، قال : "

---

[1] - لا يختلى : أي لا يجز ولا يؤخذ ، خلاها : بفتح الخاء المعجمة مقصور : الرطب من الكلأ ، العيني : (أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي ت٨٥٥هـ) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج١٠ ، ١٩٠ .

[2] - البخاري : صحيح البخاري ، ج٤، ص ١٠٤، حديث رقم ٣١٨٩، مسلم : صحيح مسلم ، ج٢ ، ص٩٨٦، حديث رقم٤٤٨ .

[3] - سورة التين : آية ١-٣.

[4] - سورة البلد : آية ١-٢.

[5] - ابن حنبل : (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ٢٠٠١م، ج٣١، ص١٢، حديث رقم ١٨٧١٦، ابن ماجه : (أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٣ هـ) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ج٢،ص ١٠٣٧،حديث رقم ٣١٠٨ ، الترمذي : (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي ت٢٧٩هـ) ، سنن الترمذي ، تحقيق : ابراهيم عوض ، مكتبة وطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٢، ١٩٧٥م ، ج٥، ص٧٢٢،حديث رقم ٣٩٢٥ .

[6] - الترمذي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٧٢٣،حديث رقم ٣٩٢٦.

اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد ، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها ، وحول حماها إلى الجحفة "[1].

وعلى ذلك فإن مكة المكرمة أفضل بقاع الأرض على الإطلاق وأحبها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

- مكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحي :

ففيها ولد ونشأ سيد البشرية وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم بالقرب من سوق الليل[2] ، ومن تشريف الله عزوجل لمكة أن جعلها مهبط وحيه وموضع نزول آيات كثيرة من القرآن الكريم ، ومنبع دعوة الدين الإسلامي ، وفيها كانت أولى آيات الذكر نزولاً ، فعندما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام – على الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء[3]، وكان عليه الصلاة والسلام يتعبد به في شهر رمضان ، فقال له :اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، وفي المرة الثالثة قال له جبريل عليه السلام : (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق)[4] ، وهي أول ما نزل من القرآن[5] .

- دعاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام لمكة وأهلها :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام في دعوتهما الخالدة بعد أن فرغا من بناء البيت ، أن تكون مكة المكرمة مثابة للناس وأمناً ، يأمّها الناس من شتى بقاع الأرض للحج والعمرة والطواف والصلاة ، كما رزق أهل هذا الوادي غير ذي زرع من الثمرات تجبى إليه من كل حدبٍ وصوب[6]، قال تعالى : " فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلّهم

---

[1] - مسلم : صحيح مسلم ، ج٢، ص١٠٠٣ ،حديث رقم ٤٨٠.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٦٤.
[3] - غار حراء : وهو جبل بأعلى مكة كان يتحنث فيه الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الوحي وفيه نزل عليه جبريل عليه السلام وبينه وبين مكة نحو ميلين ، وهو على يسار المار إلى منى ، وطوله أربعة اذرع ، وعرضه ذراع وثلاثة أرباع ذراع .
أنظر : المباركفوري : (صفي الرحمن بن عبد الله بن محمد أكبر بن محمد ت ١٤٢٧هـ) ، الرحيق المختوم ، دار الهلال ، بيروت ،ط١ ،ج١، ص٥٥.
[4] - سورة العلق : آية ١-٢.
[5] - الطبري : جامع البيان ، ج٢٤، ص ٥٢٨ ، السمعاني : (أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ت٤٨٩هـ) ، تفسير القرآن ،تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، دار الوطن ، الرياض ، ط١، ١٩٩٧م، ج٦ ، ص٢٥٥.
[6] - الطبري : جامع البيان ،ج١٣، ص٦٩٨، القرطبي : (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ت٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردوني وابراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢، ١٩٦٤م ، ج٩، ص٣٧٤.

يشكرون "[1] ، وقال تعالى أيضاً : "وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود "[2] ، أي جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح ، ولا تقضي منه وطراً ولو ترددت إليه كل عام استجابةً من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام [3].

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم إن ابراهيم كان عبدك وخليلك ودعا لأهل مكة بالبركة ، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مِثْلَي ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين "[4] .

- حفظ الله تعالى لمكة المكرمة :

فقد تولى عزوجل حمايتها من كل جبار عنيد أراد بها سوءاً ، ومن ذلك قصة أصحاب الفيل ومحاولة أبرهة الأشرم ملك الحبشة واليمن غزو مكة وهدم الكعبة ليصرف الأنظار إلى مملكته ، فأقبل بجيشه الجرار وفيلهم ونزل بالقرب من وادي محسر ، فلما قيل له : إن البيت له رب يحميه تجبر وعاند وقال : ما كان ليمنعه مني ، فأرسل عليهم سبحانه وتعالى طيراً بيضاً أبابيل مع كل طير ثلاثة أحجار ترميهم بها حتى جعلهم كعصفٍ مأكول ، قال تعالى : " ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارةٍ من سجيل * فجعلهم كعصفٍ مأكول "[5] .

لقد حمى الله سبحانه وتعالى بلده الحرام من الجبابرة المعتدين بنفسه مما جعل العرب تعظَم هذا البلد المحمي من قبل الله عزوجل ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب سبل الهدى والرشاد : (وكان إهلاكهم أي "اصحاب الفيل " تشريفاً له صلى الله عليه وسلم ولبلده ، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم إذ

---

[1] - سورة إبراهيم : آية ٣٧.

[2] - سورة البقرة : آية ١٢٥ .

[3] - ابن كثير : (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم المعروف ب (تفسير بن كثير) ،تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ،١٤١٩هـ ، ج١،ص٢٩٠، السيوطي : (جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر جلال الدين ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، بيروت ،ج١، ص٢٨٩.

[4] - الترمذي : سنن الترمذي ، ج٥، ص٧١٨، حديث رقم ٣٩١٤.

[5] - سورة الفيل : آية ١-٥.

ذاك أقرب حالاً مما كان عليه أهل مكة ، لأن أهل مكة كانوا عبَاد أوثان ، فنصرهم الله تعالى نصراً لا صنع للبشر فيه)[1].

كما حماها عزوجل من دخول الكفار والمشركين وتسلطهم ، فلا يجوز لهم مطلقاً دخول مكة والإقامة فيها والدفن بها أيضاً ، لأنهم نجس ، وبلد الله محرم مقدس مطهر ، قال تعالى : (يا أيها الذين امنوا إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلةً فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليمٌ حكيم)[2] ، وفي هذا يقول الإمام القرطبي رحمه الله : يحرم تمكين المشرك من دخول الحرم أجمع ، فإذا جاءنا رسول منهم خرج الإمام إلى الحل ليسمع ما يقول : ولو دخل مشرك الحرم مستوراً ومات . نبش قبره وأخرجت عظامه[3] .

إذاً فمكة محفوظه بحفظ الله عزوجل لها ولأهلها ، فلا تغزى بعد فتح الرسول عليه الصلاة والسلام لها إلى قيام الساعة ، فعن الحارث بن مالك ابن البرصاء قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة يقول : " لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة "[4].

ومما يدل على حفظ الله عزوجل لها أنه يخسف بالجيش الذي سيغزو الكعبة ، وقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام بذلك ، فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يغزو جيش الكعبة ، فإذا ببيداء من الأرض ، يخسف بأولهم وآخرهم " قالت : قلت : يا رسول الله ، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ، ومن ليس منهم ؟ قال : "يخسف بأولهم وآخرهم ، ثم يبعثون على نياتهم "[5].

كما هيأ الله عزوجل لها ملائكته الكرام يحرسونها ، فلا يتمكن الدجال[6] من دخولها، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى

---

[1] ـ الشامي : (محمد بن يوسف الصالحي ت٩٤٢هـ) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ج١ ، ص ٢١٤.

[2] ـ سورة التوبة : آية ٢٨.

[3] ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج٨، ص١٠٤.

[4] ـ ابن حنبل : مسند الإمام احمد بن حنبل ، ج٣١، ص ٣٦١، رقم الحديث ١٩٠٢٠، الترمذي: سنن الترمذي ، ج٣ ، ص٢١١، رقم الحديث ١٦١١.

[5] ـ البخاري : صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٦٥ ، رقم الحديث ٢١١٨.

[6] ـ يخرج المسيح الدجال بآخر الزمان من جهة المشرق ثم يسير في الأرض مدعياً الألوهية ، يظهر على يده من الأمور الخارقة للعادة التي يضل بها من ضعف إيمانه ، يأمر السماء فتمطر ، ويأمر الأرض فتنبت ، ويأمر الأرض فتجدب ، والسماء فتقحط ، ومعه جنة ونار، لكنها

الله عليه وسلم ، قال: " ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها نقب ، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ..."[1] .

فمكة المكرمة والمدينة المنورة في مأمن من دخوله ، لأن حدودها محاطة بسور منيع من الملائكة يقفون على مداخلها فيمنعونها عنه ويحرسونها منه ، فلا يتمكن من دخولها [2] .

مضاعفة الحسنات بها :

فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام " [3] .

وكما تضاعف الصلاة كذلك بقية الاعمال الصالحة تضاعف في مكة المكرمة ، ولكن لم يرد فيها نصاً ثابتاً من الكتاب و السنة يدل على مضاعفتها سوى الصلاة ، وقد ذكرها البصري في رسالته[4] فقال و " ما على الأرض بلدة يرفع الله تعالى بها الحسنة الواحدة بمائة الف حسنة إلا مكة " . وذكر مضاعفة ختم القران والصدقة ، فقال : " من تصدق بدرهم كتب الله تعالى له مائة الف درهم صدقة " ،و " من ختم فيها القران مرة واحدة كتب الله له مائة الف ختمه بغيرها " ، و " من سبح الله تعالى فيها مرة كتب له مائة الف مرة بغيرها ، وكل حسنة يفعلها العبد في الحرم بمثابة

مموهه ،جنته نار ، وناره جنه ، اعور العين ، مكتوب بين عينيه (كافر) يقرؤه كل مؤمن ، ولا يقرؤه المنافق والكافر[6].

أنظر : ابن علان :(محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري ت ١٠٥٧هـ) ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، دار المعرفة ، ط٤ ،٢٠٠٤م ،ج٦، ص٥٠٥، العثيمين:(محمد بن صالح بن محمد عثمين المقبل الوهيبي التميمي ت٢٠٠١م)شرح رياض الصالحين ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤٢٦هـ ، ج٢ ،ص٤٤.

[1] ـ البخاري : صحيح البخاري ، ج٣، ص٢٢،حديث رقم ١٨٨١ . مسلم : صحيح مسلم،ج٤، ص ٢٢٦٥، حديث رقم ١٢٣.

[2] ـ قاسم : حمزه محمد ، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ، صححه : بشير عيون ، دار البيان ، سوريا ، ١٩٩٠ م ، ج٣ ،ص ١٩٥.

[3] ـ البخاري : صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٦٠، رقم الحديث ١١٩٠، مسلم : صحيح مسلم ، ج٢، ص١٠١٢، رقم الحديث٥٠٥.

[4] ـ وهي رسالة كتبها الحسن البصري لرجلٍ من الزهاد يدعى عبد الرحيم الرمادي حين بلغه أنه ينوي الارتحال عن مكة ليعيش في اليمن فكتبها له يرغبه في الإقامة بمكة المكرمة.

الف حسنة بغيرها " ، و الصوم فقد ذكر أن " من صام فيها يوماً كتب له مائة الف يوم "[1] .

ومع ان الحسنات تضاعف في مكة المكرمة ، فكذلك السيئات تعظم في البلد الحرام، يقول العلاّمة ابن القيّم : (تضاعف مقادير السيئات فيه ، أي في - المسجد الحرام – لا كمّياتها ، فإن السيئة جزاؤها سيئةٌ ، لكن سيئةٌ كبيرة جزاؤها مثلها ، وصغيرةٌ جزاؤها مثلها ، فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في طرف من أطراف الأرض ، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه)[2] ، ومعنى ذلك أن السيئات تكتب على العبد من غير مضاعفة ، وذلك لقوله تعالى : (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون)[3] .

فسيئة الحرم أعظم وأشد و أكبر إثماً من غيرها من البلدان من حيث الكيفية لا من حيث العدد ، بسبب شرف الزمان والمكان ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " لخطيئة أصيبها بمكة اعز عليّ من سبعين خطيئة بغيرها"[4] ، ويقول ابن جريج : بلغني أن الخطيئة بمكة بمائة خطيئة ، والحسنة على نحو ذلك[5] .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتجنبون سكنى الحرم ، و السبب في ذلك خشية ارتكاب الذنوب فيه : منهم ابن عباس رضي الله عنه ، وعمر بن عبدالعزيز ، وعبدالله بن عمرو بن العاص القائل : أن الخطيئة فيه أعظم[6] ، كما كان له فسطاطان ، أحدهما في الحلَ ، والآخر في الحرم ، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل ، فسئل عن ذلك ، فقال : كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل : كلا والله ، وبلى والله[7] .

---

[1] - البصري : فضائل مكة ،ص٦٤.
[2] - ابن قيّم الجوزية : (محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين ت٧٥١ هـ) ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢٧ ، ١٩٩٤م ، ج١ ، ص٥٢ .
[3] - سورة الأنعام : آيه ١٦٠ .
[4] - ابن ظهيرة :الجامع اللطيف ، ص١٦٤ .
[5] - الحنبلي : (زين الدين عبدالرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي الدمشقي ت٧٩٥ هـ) ، روائع التفسير المعروف (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ، دار العاصمة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ج١، ص١٤٧.
[6] - الحنبلي : (زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي الدمشقي ت٧٩٥هـ) ، جامع العلوم و الحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط و آخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٧ ، ٢٠٠١م ،ج٢، ص٣١٨ .
[7] - الطبري : جامع البيان، ج١٨ ، ص٦٠٢،٦٠١.

ولذلك فإن من يعصي الله تعالى في المسجد الحرام فذنبه مغلظ ، ومما يدل على شدة الوعيد في سيئة الحرم و أن سيئتها شديدة وعظيمة ، قوله عزوجل :(ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نذقه من عذابٍ اليم)[1] .

فالإنسان يؤاخذ بهمه على السيئة وإن لم يفعلها حيث رتّب الله تعالى إذاقة العذاب الأليم على إرادة الإلحاد والظلم في الحرم ، وفي ذلك يقول الشوكاني : المراد بهذه الآية أنه يعاقب بمجرد الإرادة للمعصية في ذلك المكان ، وقد ذهب إلى هذا ابن مسعود وابن عمرو الضحاك وابن زيد وغيرهم ... والحاصل : أن هذه الآية دلت على أن من كان في البيت الحرام مأخوذاً بمجرد الإرادة للظلم ، فهي مخصصةٌ لما ورد من الله غفر لهذه الأمة ما حدثت به أنفسها ناهيه إلا أن يقال إن الإرادة فيها زيادة على مجرد حديث النفس[2] .

- اختصاصها بالأمكنة المعظمة التي شرع الله لنا تعظيمها :

لقد أراد الله سبحانه وتعالى بحكمته وعلمه أن يكون هذا الموطن مأوى لأفئدة الناس تأوي إليه من كل حدبٍ وصوب ، وملتقى تتشابك فيه الصلات بين الناس على اختلاف جنسياتهم وألوانهم وألسنتهم ، تلبية لدعوته التي أذّن بها إبراهيم عليه السلام ، في قوله تعالى : "وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجٍ عميق " [3] ، فخصها سبحانه وتعالى بأماكن معظمة ومشاعر مقدسة تتعلق بأداء مناسك الحج مما زادها رفعة وتعظيماً وتشريفاً ، وقد جاءت نصوص الشريعة الإسلامية مبينة فضل هذه المواقع المباركة ، قال تعالى : " ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القوب "[4] .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره :(شعائر الله أعلام الدين الظاهرة... ومعنى تعظيمها اجلالها والقيام بها وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد... فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب ، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه ،

---

[1] - سورة الحج : آية ٢٥.
والإلحاد : العدول عن الحق والاستقامة والانحراف عنها ، والمراد أن من يهم فيه بأمر فضيع من المعاصي الكبار فقد وجب له عذاب اليم .
أنظر: الرازي : (ابو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين ت٦٠٦هـ) ، مفاتيح الغيب المعروف ب"التفسير الكبير" ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ ،ج١٥، ص٤١٦.

[2] - الشوكاني : (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١، ١٤١٤هـ ، ج٣ ، ص٥٢٩.

[3] - سورة الحج : آية ٢٧ .

[4] - سورة الحج : آية ٣٢.

لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله واجلاله)[1] ، فشعائر الله لا يعظمها إلا من عظم الله واتقاه وقدره حق قدره .

ومن الشعائر المكانية التي عظمها الله تبارك وتعالى وأمر بتعظيمها :

المسجد الحرام أول بيت وضع للناس ، قال تعالى : " إن أول بيتٍ وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين "[2] ، فلا يستطيع أحد دخول مكة والمسجد الحرام إلا بإحرام لمن لم يكن من ساكنيها ، والدليل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : " وقَت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، فهن لهن ، ولمن اتى عليهن من غير اهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة ، فمن كان دونهن ، فمهله[3] من أهله ، وكذاك حتى اهل مكة يهلون منها "[4] ، فلا يجوز تجاوز هذه المواقيت التي حددَها لنا عليه الصلاة والسلام إلي مكة المكرمة من غير إحرام ، أما من كان مسكنه بين مكة والميقات فميقاته مسكنه إلى الميقات ولا يجوز له مجاوزة مسكنه بغير إحرام[5] .

وتتوسط المسجد الحرام الكعبة المشرفة قبلة جميع المصلين على وجه الأرض ، قال تعالى : " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيءٍ عليم "[6]، فلا تقبل الصلاة إلا باستقبالها[7]، لقوله تعالى : " فول وجهك شطر المسجد الحرم وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره"[8]، وسبب نزول هذه الآية ما روى جابر : " أن النبي بعدما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً وسبعة عشر شهراً وكان يود أن يحوله الله إلى الكعبة فكان يقول لجبريل : وددت لو حولني الله إلى

---

[1] ـ السعدي : (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ت١٣٧٦هـ) ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق : عبد الرحمن اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ٢٠٠٠م، ص٥٣٨.

[2] ـ سورة آل عمران : آية ٩٦.

[3] ـ فمهله : بضم الميم أي مكان إحرامه من دويرات أهله ، حتى أهل مكة يكون مهلهم من مكة ، أنظر العيني : عمدة القاري ، ج٩ ،ص١٤٢.

[4] ـ البخاري : صحيح البخاري ، ج٢ ، ص١٣٤، رقم الحديث ١٥٢٩.

[5] ـ النووي : (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ت٦٧٦هـ) ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢م ، ج٨ ، ص٨٣.

[6] ـ سورة المائدة : آية ٩٧.

[7] ـ ابن ضياء المكي : (محمد بن احمد بن محمد الحنفي ت ٨٥٤هـ) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق : علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م، ص٣.

[8] ـ سورة البقرة : آية ١٤٤.

الكعبة ، فإنها قبلة أبي إبراهيم ، وكان يقول لجبريل ، سل ربك ، فقال له جبريل : سل أنت فإنك عند الله بمكان ، وكان كلما نزل جبريل تردد وجهه في السماء ، رجاء أن ينزل بالنسخ[1] " فنزلت الآية ، وقد ورد في فضل النظر إلى الكعبة ما أخرجه الأزرقي عن زهير بن محمد عن أبي السائب المديني قال: " من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحاتت ذنوبه كما يتحات الورق من الشجر "[2]،

كما أنه لا يجوز استقبال القبلة واستدبارها ببول او غائط ، وذلك احتراماً لكونها جهة معظمة ، وقد نهانا عليه الصلاة والسلام عن ذلك ، فعن أبي أيوب الأنصاري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ، ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا "[3].

وميَزها سبحانه وتعالى بأن جعل بعض اجزائها من الجنة ، كالحجر الأسود[4]،ومقام إبراهيم[5] ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نزل الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم "[6]، وهو يمين الله في الأرض ، ويوم القيامة يشهد لكل من استلمه ، فعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يأتي هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد لمن استلمه بحق "[7]، وفي مقام إبراهيم أنزل الله تعالى فيه قوله : " فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيم "[8] ، أي علامات بينات ومنها :

مقام إبراهيم وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام ، وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي ، وكذلك من الآيات الحجر الأسود والحطيم

---

[1] - السمعاني : تفسير القرآن ، ج١ ، ص١٥١.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٥٠١.
[3] - البخاري : صحيح البخاري ، ج١ ، ص٨٨، حديث رقم ٣٩٤. مسلم : صحيح مسلم ،ج١ ، ص٢٢٤، حديث رقم ٥٩.
[4] - الحجر الأسود: هو ركن الكعبة الشرقي ، يسن استلامه عند الطواف ، وهو من آيات الله في الأرض ، يغفر الله الذنوب باستلامه .
أنظر : البلادي : عاتق غيث ، فضائل مكة وحرمة البيت الحرام ، دار مكة ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ص٥٦.
[5] - مقام إبراهيم : بفتح الميم ، وهو موضع قيامه عليه السلام ، وهو الحجر الذي قام عليه حين رفع بناء البيت ، وبه اثر قدمه عليه السلام .
أنظر : ابن حجر العسقلاني : (أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني ت٨٥٢هـ) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩م ، ج١ ، ص١٨٩.
[6] - الترمذي : سنن الترمذي ، ج٣ ، ص٢١٧،حديث رقم ٨٧٧.
[7] - ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل ،ج٤ ، ص٩١،حديث رقم ٢٢١٥.
[8] - سورة آل عمران : اية ٩٧.

وزمزم والمشاعر كلها ، ومن الآيات في البيت أن الطير تطير حوله فلا تعلو فوقه، وأن الجارحة إذا قصدت صيداً فإذا دخل الصيد الحرم كفت عنه ولم تجرحه فيه[1] .

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب "[2] .

جعلها حرماً آمناً :

خصها الله تعالى بنعمة الأمن ، ففي رحاب هذا الأمان يأمن المسلمين على أرواحهم ومحارمهم و أعراضهم ، وقد كان هذا الأمن موجود في الجاهلية لدرجة أن الرجل كان يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يتعرض له بسوء ولا يؤذيه بشيء [3] ، قال تعالى : (ومن دخله كان امناً) [4]

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى أهل مكة ممتناً عليهم بتلك النعمة في قوله عزوجل : " أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيءٍ رزقاً من لدنّا ولكن أكثرهم لا يعلمون " [5] ، وقال تعالى أيضاً : " أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون "[6] ، ومما يدل على أهمية الأمن دعاء إبراهيم عليه السلام :" و إذ قال إبراهيم ربي اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام " [7] .

ـ كونها مأرز الإيمان :

روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز[8] بين المسجدين[9] ، كما تأرز الحية في حجرها "[10] .

---

[1] ـ السمعاني : تفسير القرآن ، ج١، ص ٣٤٢ .

[2] ـ ابن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج١١، ص٥٧٧،حديث رقم ٧٠٠٠ ، الترمذي : سنن الترمذي ، ج٣ ، ص ٢١٧،حديث رقم ٨٧٨.

[3] ـ الطبري : جامع البيان ، ج٥، ص٦٠١ .

[4] ـ سورة آل عمران : آية ٩٧ .

[5] ـ سورة القصص : آية ٥٧ .

[6] ـ سورة العنكبوت : آية ٦٧ .

[7] ـ سورة إبراهيم : آية ٣٥ .

[8] ـ يأرز : بفتح أوله وسكون الهمزة وكسر الراء وقد تضم بعدها زايٌ ومعناه ينضم ويجتمع . ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، ج٤ ، ص٩٣.

[9] ـ بين المسجدين : أي مسجدي مكة والمدينة .

في هذا الحديث أكد أن الإسلام سيعود كما بدأ ، فالإسلام بدأ في مكة المكرمة في آحاد وقلة من الناس ثم انتشر فظهر ، ثم سيلحقه النقص والاختلال ويعود كما بدأ غربه للإسلام[٢].

فضائل مكة :

لا شك أن مكة المكرمة لما لها من مكانة مقدسة ولوجود بيت الله الحرام والكعبة المشرفة وما تتمتع به من مكانة روحية تنفرد بها عن بقية المدن ، جعلت المسلمين يكنون لها كل الحب محبة لله ورسوله واتباعاً للسنة المطهرة ، لذلك حرصوا على السكن فيها ومجاورتها والموت بها ، فأهلها هم أهل الله وأول الناس بعثاً ثم حشراً مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم " أهل الله " في وصيته لسيدنا عتاب بن أسيد حين ولاه أمر مكة بعد الفتح ، ففي الحديث الذي أخرجه الفاكهي عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث عتاب بن أسيد رضي الله عنه إلى أهل مكة وقال : هل تدري إلى من أبعثك ؟ أبعثك إلى أهل الله ، فإنهم عن شرطي في بيع وبيع و سلف ، وربح مالم يضمن ، وبيع مالم يقبض "[٣].

ومما يدل على انتشار هذا اللقب لهم ما رواه الأزرقي ، عن الحسن بن مسلم المكي قال : استعمل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – نافع بن الحارث الخزاعي على مكة ، قال : فلما قدم على عمر استقبله ، فقال عمر : من استخلفت على أهل مكة ؟ فقال ابن أبزي ، قال : استعملت على أهل الله رجلاً من الموالي !...)[٤].

لقد اختارهم الله سبحانه وتعالى لجواره وميزهم فضلاً منه بأن جعلهم أول من يحشر مع النبي عليه الصلاة والسلام ، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين "[٥].

ولما كان أهل الحرمين أول من يحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم أول من ينال الشفاعة ، فعن عبد الملك بن عباد بن جعفر رضي الله عنه قال ، أنه سمع

النووي : المنهاج ، ج٢، ص١٧٧.
[١] ـ مسلم : صحيح مسلم ، ج١، ص١٣١، حديث رقم ١٤٦.
[٢] ـ المباركفوري : (أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت١٣٥٣هـ) ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج٧، ص٣١٨.
[٣] ـ الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٦٤.
[٤] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٢٧.
[٥] ـ الترمذي : سنن الترمذي ، ج٥ ، ص٦٢٢، حديث رقم ٣٦٩٢.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أول من أشفع له من أمّتي أهل المدينة ، ثم أهل مكة ، ثم أهل الطائف "[1] ، فيكونون في الجنة معه إن شاء الله بشفاعته عليه الصلاة والسلام .

وقد وردت أحاديث في تفضيل الموت بمكة منها ، ما رواه الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من مات في أحد الحرمين بعث آمناً يوم القيامة "[2] ، لذلك نهانا الرسول عليه الصلاة والسلام عن شد الرحال[3] إلى غير المسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد الأقصى ، فجاء مصرحاً بذلك في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد الأقصى[4] ".

فدل هذا الحديث على أنه لا يسن السفر إلا الى هذه المساجد الثلاثة ، فقوله عليه الصلاة والسلام " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد " يدل على أفضليتهما ومضاعفة أجر الصلاة فيهما .

قال الحافظ : في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها ، لأنها مساجد الأنبياء ، ولأن المسجد الحرام قبلة الناس والمسجد النبوي أول مسجد أسس على التقوى ، والأقصى قبلة الأمم السابقة[5] .

---

[1] ـ الطبراني : (أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ت٣٦٠ هـ) ، المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله واخرين ، دار الحرمين ، القاهرة ، ج٢ ، ص٢٢٩ ، رقم الحديث ١٨٢٧.

[2] ـ الطبراني : (أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ت٣٦٠ هـ) ، الروض الداني المعروف ب" المعجم الصغير" ، تحقيق : محمد شكور ، دار عمار ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م، ج٢، ص٨٥.

[3] ـ الرحال : جمع رحل ، وهو منزل الإنسان ومسكنه .
العيني : (أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ت٨٥٥هـ) ، شرح سنن ابي داود ، تحقيق : أبو المنذر المصري، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١، ١٩٩٠م ، ج٣ ، ص٦٧.

[4] ـ البخاري : صحيح البخاري ، ج٢ ، ص ٦٠، رقم الحديث ١١٨٨.

[5] ـ قاسم : منار القاري ، ج٢ ، ص٣٤٦.

المبحث الثاني

أسماء مكة المكرمة

اختص الله تعالى البلد الحرام مكة المكرمة بأسماء كثيرة ذكرت في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، كما تضمنت الأحاديث النبوية الشريفة وكتب التفسير والتاريخ جملةً من أسمائها ، وكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى بالإعزاز والتبجيل ، يقول النووي رحمه الله : لا يعلم بلد اكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض وذلك لكثرة الصفات المقتضية [1] .

واذا كان هناك اتفاق في المصادر التاريخية حول أسماء مكة المكرمة ، فإن هناك أسماء لم يتم الاتفاق عليها ، ولذلك أُختلف في عدد هذه الأسماء ، فقد ذكر الأزرقي سبعة أسماء لمكة هي : مكة ، وبكة ، وأم رحم ، وأم القرى ، وصلاح ، وكوثى ، والباسة[2] ، في حين ذكر الفاكهي لها عشرة أسماء : مكة ، وبكة ، وبرة ، وبساسة ، وأم القرى ، والحرم ، والمسجد الحرام ، والبلد الأمين ، وصلاح ، وكوثى[3] .

ومن خلال ما أمدتنا به كتب التفسير والحديث والمعاجم والتاريخ من معلومات ، يمكن تصنيف أسماء مكة إلى :

أسماء وردت في القرآن الكريم واتفق على أن المقصود بها مكة المكرمة ، مثل: مكة وبكة وأم القرى والبلد والوادي ومعاد .

أسماء وردت في القرآن الكريم واختصت بجزء منها ، مثل : البيت والبيت العتيق والبيت المحرم ، فعدها العلماء من أسمائها المجازية وفق قاعدة اطلاق الجزء على الكل .

أسماء لم يرد ذكرها في القرآن الكريم ولكن بعض المؤرخين اجتهد في استنباطها من أحداث ووقائع ونصوص معينة مثل الباسه ورتاج وفاران وكوثى وقرية النمل ونقرة الغراب .....

---

[1] - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ١٥٦، الصباغ : (محمد بن احمد بن سالم بن محمد المالكي المكي ١٣٢١هـ) ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة الاسدي ، مكة المكرمة ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ج١ ، ص٤٨٤.

[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٣٩٣.

[3] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٢٨١.

ـ مكة :

وهو أشهر الأسماء والعلم الذي تعرف به ، وقد ورد اسمها صريحاً في القرآن الكريم مرة واحدة فقط ، في قوله تبارك وتعالى : " وهو الذي كفّى ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم "[1] .

هذا وقد تعددت وتنوّعت الروايات حول تفسير وسبب تسمية مكة المكرمة بهذا الاسم ، فقد أورد المفسرون وعلماء اللغة والمعاجم والآثار والمواضع أن أسباب التسمية تعود إلى أنها :

- تمك الجبارين أي تذهب نخوته وتذلّهم ، فلا يفجر بها احد إلا بكت عنقه فكان يصبح وقد التوت عنقه .
- ولأنها تمك الذنوب أي تزيلها وتذهب بها كما يمك الفصيل ضرع امه فلا يبقى فيه شيئا .[2]
- ولتمكك الناس بها أي ازدحامهم بها [3].
- وقيل في سبب تسميتها ايضاً بمكة لأنها تمك المخ من العظم أي تمحقه لما يحتاج اليه الانسان من السعي والطواف والعمل ، يقال : مككت العظم إذا اخرجت ما فيه [4].
- وسميت بذلك أيضاً لقلة مائها ، وذلك انهم كانوا يمتكون الماء فيها أي يستخرجونه [5].
- ويعلل آخرون سبب تسميتها بذلك لأنها تمك من ظلم والحد فيها ن أي تهلكه وتنقصه ، قال الراجز :

يا مكة الفاجر مكّي مكا ولا تمكّي مذحجاً وعكا [6].

---

[1] ـ سورة الفتح : آية ٢٤.

[2] ـ الرازي : مفاتيح الغيب ، ج٨ ، ص٢٩٩ ، الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٨٢ ، باشا : إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ج١ ، ص١٧٧ ، عبد الغني : محمد إلياس ، تاريخ مكة المشرفة قديماً وحديثاً ، مطابع الرشيد ، المدينة المنورة ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص١١.

[3] ـ الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٨١ ، ١٨٢ ، البغدادي : (عبد المؤمن بن عبدالحق ابن شمائل القطيعي ت٧٣٩ هـ) ، مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ج٣ ، ص١٣٠٣.

[4] ـ ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص١٥٧ .

[5] ـ ابن منظور : (محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل ت٧١١هـ)، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ج١٠، ص٤٩١ ، الحنفي : إفادة الأنام ، ج١ ، ص٢٠١ .

[6] ـ الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٨٢ ، الازهري : (محمد بن احمد بن الازهري الهروي ت٣٧٠ هـ) ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي

- ولأنها مثابة يؤمها الناس من كل جانب من الارض ، فهي تجذبهم إليها [1] .
- وسميت مكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول : لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة حتى نمك فيه ، أي : نصفّر صفير المكاء حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بها [2] .
- ولان الشيء فيها ضيق ، يقال : مكنّي الشيء إذا ضاق عني [3] .
- ولأنها عبّدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم : امتكّ الفصيل اخلاف الناقة إذا جذب جميع ما فيها جذباً شديدا فلم يبقى فيها شيئاً[4] .
- وسميت مكة لأنها مدينة في وادي بين جبلين مرتفعين عليها[5] وهي في هبطه بمنزلة المكوك[6] .

وقد ورد اسم مدينة مكة في جغرافية بطليموس تحت اسم (ماكورابا)[7] وهي مشتقة من الكلمة السبأية "مكربة " أي " مقربه " وهو لقب كان يحمله الكهنة في سبأ قبل

، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ج٩ ، ٣٤٤ ، ابن منظور : المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٤٩١، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٤٨٤.

[1] - ابن الجوزي : زاد المسير ، ج٤ ، ص١٣٥، الرازي : مفاتيح الغيب ، ج٨ ، ص٢٩٩ .

[2] - الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٨١ .

[3] - الخطابي : (ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البوستي ت٣٨٨هـ) ، غريب الحديث ، تحقيق : عبدالكريم الغرباوي ، دار الفكر ، ١٩٨٢م ، ج٣، ص٧١ .

[4] - الحموي : معجم البلدان ، ج٥، ص١٨٣.

[5] - الجبلان المحيطان بمكة الأخشبان وهما : جبل ابو قبيس والجبل الأحمر ، وقيل ، جبل أبي قبيس وقعيقعان ، والأخشب كل جبل خشن غليظ الحجارة ، قال إبن وهب : الأخشبان (جبلا منى) اللذان تحت العقبة ، وقال السيد علي العلوي : الأخشب الشرقي ابو قبيس ، والأخشب الغربي هو المعروف بجبل الخط ، والخط من وادي إبراهيم عليه السلام ، وفي الحديث : "لا تزول مكة حتى تزول اخشباها ".

أنظر : ابن الأثير : (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجرزي ت٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩م، ج٢، ص٣٢، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٣٠، الزبيدي : تاج العروس ، ج٢، ص٣٥٧، ٣٥٨، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢٠.

[6] - طاشكندي : عباس ، أسماء مكة ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ، لندن ،ط١، ٢٠٠٩م، م٢، ص٥٠٢.

[7] - مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٣٩٤ ، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص٩.

أن يتحولوا الى ملوك، حكموا الناس باسم آلهتهم ، فكانوا أقرب الناس الى الالهة ، فلفظ " ماكورابا" ليست علماً لمكة وإنما هي نعت لها ، بما يعني أنها مقدسة[1] .

وفسر المؤرخون اسم (ماكورابا) الذي ذكره بطليموس ، واختلفوا في معناها فمنهم من يرى :

١- أنها تعني " مكة الرب " أو " أم الرب " وأن بطليموس حرفها الي " ماكورابا "[2].

٢- ومنهم من يرى أن " ماكورابا " هي " مكة عربة " وحرفت كذلك لأعجمية بطليموس واستبدلت الألف بالعين ، " فعربه" تعني المقدسة أو المكرمة ، فأخذ بها المترجمون لجهلهم بالاشتقاق[3] .

بينما يرى كارل بروكلمان أن " مكة " مشتقه من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية ، ومعناها الهيكل[4]، فمكة أو " مكرب " كلمة يمنية مكونه من " مك " و " رب " ومك بمعنى بيت فتكون " مكرب " بمعنى " بيت الرب " أو " بيت الآله "[5] .

ويذكر جرجي أن أصل مكة آشوري بابلي ، لأن " مكا " في البابلية تعني " البيت " وهو اسم الكعبة عند العرب [6].

- أم القرى :

من أكثر الأسماء شهرةً لمكة ، وهي تسمية وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : " وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالأخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون "[7].

وفي قوله تعالى : " وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير "[1].

---

[1] - جواد علي :المفصل في تاريخ العرب ، ج٤ ، ص١٠، أبو الفضل : أحمد أبو الفضل عوض الله ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ، دارة الملك عبد العزيز ، ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص٣٦، كيفي : هذه بلادنا ، ص٣١.

[2] - طاشكندي : : أسماء مكة ، ج٢ ، ص٥٠٣ ، كيفي : هذه بلادنا ، ص٣٢.

[3] - طاشكندي : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٥٠٣.

[4] - صابون : أحمد محمود ، مكة المكرمة أسماؤها وتأريخها ، جامعة الاسكندرية ، كلية تربية دمنهور، ص١٢ .

[5] - مهران : محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٣٩٢ .

[6] - جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، مطبعة الهلال ، مصر ، ط٢ ، ١٩٢٣م ، ص٢٤٤، ٢٤٥ .

[7] - سورة الأنعام : آية ٩٢.

اتفق العلماء على أن المقصود ب" أم القرى " مكة المكرمة ، ولكونها أعظم القرى شأناً فقد خصها عزوجل بالإنذار ، فالإنذار لأهلها مستتبع لإنذار سائر أهل الأرض ، لان المراد ب" من حولها " أهل سائر الأرض ومن استقر حولها ، وهذا دليل على فضلها على سائر البلاد[٢]، وقد أختلف في السبب الذي لأجله سميت مكة المكرمة بأم القرى ، فذكروا عدة أسباب لتسمية مكة بأم القرى منها :

- انها منشأ الدين والشرع .
- وانها قبلة اهل الدنيا فصارت لكل القرى ام ، وسائر القرى بنات .
- وسميت ام القرى لتقدمها امام جميعها ، وجمعها ما سواها ، فكأن القرى نشأت عنها .
- ولأن الارض دحيت من تحتها ومن حولها ، فصارت لجميعها اماً[٣].
- وسميت بذلك أيضاً لأن الكعبة أول بيت وضع للناس، وقيل ايضا : إن مكة اول بلدة سكنت في الارض[٤].
- و لاجتماع الخلق اليها في موسم الحج ، فيجتمعون فيها كما يجتمع الأولاد الى الأم فيحصل هناك تبادل التجارة والمنافع ما لايحصل في سائر البلاد[٥].
- ولأنها اقدم القرى التي في جزيرة العرب واعظمها خطراً ، اما لاجتماع اهل تلك القرى فيها كل سنة ، أو انكفائهم إليها وتعويلهم على الاعتصام بها لما يرجونه من رحمة الله تعالى [٦].
- ولأنها وسط الأرض ، فأم القرى وسط بين الدنيا والعالم كله في نواحيها[١] .

---

[١] - سورة الشورى : آية ٧.

[٢] - الرازي : مفاتيح الغيب ، ج١٣، ص٦٥، الشوكاني : فتح القدير، ج٢، ص١٥٩.

[٣] - الطبري : جامع البيان ،ج١، ص١٠٥، ابن عطية : (ابو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الاندلسي المحاربي ٥٤٢هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ ، ج٢، ص٣٢٢، الحموي : معجم البلدان ، ج١، ص٢٥٤ ، ابن حيان : (ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان بن أثير الدين ت٧٤٥هـ) ، البحر المحيط في التفسير ، تحقيق : صدقي جميل ، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ ، ج٤،ص٥٨٣، ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص١٥٧ ، الحنفي : إفادة الأنام ، ج١ ، ص٢٠٢ .

[٤] - ابن الجوزي: (جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ) ،مثير الغرام الساكن إلى اشرف الأماكن ، تحقيق : مصطفى الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٥هـ ، ج١، ص٢٣٢، الفاسي : شفاء الغرام ،ج١، ص٦٧، الشوكاني : فتح القدير ، ج٢ ، ص١٥٩، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٤٨٥.

[٥] - الرازي : مفاتيح الغيب ، ج١٣ ، ص٦٥، ابن عبدالسلام : (ابو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن ابي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ت٦٦٠هـ) ، تفسير القران ، تحقيق : عبدالله الوهبي ، دار ابن حزم ، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص٤٤٩ .

[٦] - الحموي : معجم البلدان ، ج١، ص٢٥٤ .

- بكة :

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى : " إن أول بيتٍ وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين "[٢] .

ويرى الأزرقي أن بكة هي الوادي الذي به الكعبة[٣] ، ويروي عن جده قال : قال عثمان : أخبرني ابن اسحاق ، أن قريشاً وجدت في الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجلٌ من اليهود . قال : فاذا هو : " أنا الله ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى تزول أخشابها ، مباركٌ لأهلها في الماء واللبن "[٤] .

وقد تعددت الروايات حول أسباب تسمية مكة المكرمة ب "بكة" فمنهم من يرى انها سميت بذلك للأسباب التالية :

١- لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا الحدوا فيها بظلم فما قصدها جبار إلا وقصمه الله [٥] .
٢- ولأن الناس يتباكون فيها من كل وجه ، أي يتزاحمون ، والبك الازدحام [٦] .
٣- وسميت بكة لأنه يجتمع فيها الرجال والنساء جميعاً .
٤- و لتباكي الناس بأقدامهم قدام الكعبة[٧] .
٥- وسميت بذلك أيضاً لأنها تضع من نخوة المتكبرين فلا يدخل فيها متكبر إلا ذل [٨] .

---

[١] - ابن عطية : المحرر الوجيز ، ج٢، ص٣٢٢ .
[٢] - سورة آل عمران : آية ٩٦.
[٣] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٣٣.
[٤] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ١٣٩.
[٥] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٢٨٢، ابن الجوزي : مثير الغرام ، ج١، ص٣٢٥، ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ، ج١ ، ص١٥٠ ، النويري : (احمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ت٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ، ج١،ص٣١٣، القلقشندي : (أحمد بن علي بن احمد الفزاري القلقشندي القاهري ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج٤،ص٢٥٥، الزبيدي : تاج العروس ، ج٢٧،ص٨٠ ، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٤٨٥، الحنفي : إفادة الأنام ، ج١ ، ص٢٠١ ، عبد الغني : تاريخ مكة ، ص١١ .
[٦] - البغدادي: مراصد الاطلاع ، ج٣، ص ١٣٠٣.
[٧] - النويري : نهاية الأرب ، ج١ ، ص٣١٣.
[٨] - ابن الجوزي : مثير الغرام ، ج١، ص٢٣١، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٤٨٥، عبد الغني : تاريخ مكة ، ص١١.

٦- وقيل : ان البيت مكة وما ولاه بكة ، وقال يحي بن ابي أنيسة : بكة موضع البيت ومكة الحرم كله ، وقال زيد بن أسلم : بكة الكعبة والمسجد ومكة ذو طوى [١].

- القرية :

قال تعالى : " وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون "[٢].

القرية : اسم لما يجمع جماعة كثيرة من الناس ، من قولهم : قريت الماء في الحوض أذا جمعته فيه [٣].

وقد أختلف المفسرون في المراد بهذه القرية هل هي قرية معينة أو المراد قرية غير معينة ، فمنهم من يرى أن المقصود ب" قرية " في الآية الكريمة هي مكة المكرمة ، كما يشير إلى ذلك الطبري بقوله : " ان القرية التي ذكرت في هذا الموضع أريد بها مكة "[٤] ، ويرى آخرون أن القرية التي ذكرت في هذا الموضع هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم[٥] .

وذكرت القرية أيضاً في قوله تعالى : " وكأين من قريةٍ هي أشد قوةً من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم "[٦].

يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ، فيقول : فكم من أهل قريةٍ اشد بأساً واكثر جمعاً من أهل قريتك ، "وهي مكة " الذين اخرجوك منها اهلكوا على شدة قوتهم ، فلم ينصرهم ناصر من الهلاك [٧]، فالقرية التي أجبر النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج منها وتركها والهجرة منها الي يثرب وهي " مكة المكرمة " بلا خلاف ...

وفي سبب نزولها يقول ابن عباس رضي الله عنه: " أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، لما خرج من مكة الي الغار ، أراه . قال : التفت الي مكة فقال : أنت أحب بلاد الله

---

[١] - البكري : معجم ما استعجم ، ج١، ص ٢٦٩ ، الحموي: معجم البلدان ، ج١، ص٤٧٥، البغدادي: مراصد الاطلاع ، ج١، ص٢١٤ ، الشامي : سبل الهدى والرشاد ، ج١ ،ص ١٩٤ .

[٢] - سورة النحل : آية ١١٢.

[٣] - الفاسي: شفاء الغرام ، ج١، ص٦٧، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٤٨٥، كيفي : هذه بلادنا ، ص٣٣ .

[٤] - الطبري : جامع البيان ، ج١٤، ص٣٨٢.

[٥] - ابن عطية : المحرر الوجيز ، ج٣، ص٤٢٦، ابن حيان : البحر المحيط ، ج٦، ص٦٠٣.

[٦] - سورة محمد : اية ١٣.

[٧] - الطبري: جامع البيان ، ج٢١، ص١٩٧.

إلي الله ، وانت أحب بلاد الله إلي ، فلو أن المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك ، فأعتى الأعداء من عتا على الله في حرمه ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول الجاهلية ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (وكأين من قريةٍ هي أشد قوةً من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)[1] .

- البلد – البلدة – البلد الأمين :

يعتبر اسم البلد من أول الأسماء التي أطلقت على مكة المكرمة ، فبعد أن أسكن ابراهيم عليه السلام زوجه هاجر وولده اسماعيل عليهما السلام دعا لأهل هذا البلد وساكنيه بالأمن كما في قوله تعالى : " واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الي عذاب النار وبئس المصير "[2] .

وقد جاء ذكر البلد على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما سأل ربه أن يجعل هذا المكان القفر بلداً من بلدان الناس يسكنونه، قال تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام)[3] .

وبعد أن أحلها الله عزوجل لنبيه عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة للقتال فيها ساعة من نهار[4]، أقسم بها سبحانه وتعالى في قوله : " لا أقسم بهذا البلد * وانت حلَ بهذا البلد "[5] .

فالبلد هي مكة المكرمة على قول جميع المفسرين ، يقول القرطبي رحمه الله : أجمعوا على أن البلد مكة[6] .

وعرفت مكة المكرمة كذلك بالبلد الأمين فقد أقسم بها عزوجل في سورة التين ، قال تعالى : " والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين "[7] .

فالبلد لغة صدر الشيء ، وأوله ، وأرفعه ، ومكة صدر القرى وأرفعها مقاماً[8] .

---

[1] - الطبري : جامع البيان ، ج٢١، ص١٩٨، الشوكاني : فتح القدير ، ج٥، ص٤٣.
[2] - سورة البقرة : آية ١٢٦ .
[3] - سورة إبراهيم : اية ٣٥ .
[4] - الطبري : جامع البيان ، ج٢٤، ص٤٠٥، الشوكاني : فتح القدير ، ج٥، ص٥٣٩.
[5] - سورة البلد : آية ١، ٢ .
[6] - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج٢٠، ص٦٠.
[7] - سورة التين : آية ١-٣.
[8] - الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٤٨٥ ، طاشكندي : أسماء مكة ، ج٢ ، ص٤٩٩.

وعرفَت أيضاً بالبلدة ، قال تعالى : " إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها "[1] ، وقال تعالى : " بلدة طيبة ورب غفور "[2] .

- **معاد :**

من أسماء مكة المكرمة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، قال تعالى : " إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد "[3] .

نزلت هذه الآية تبشر النبي عليه الصلاة والسلام بعودته إلى مكة المكرمة بعد أن خرج منها مكرهاً بسبب حصار الكفار إلى المدينة المنورة ، فلما وصل الجحفة أتاه جبريل عليه السلام ، وقال : أتشتاق الى بلدك ومولدك ؟ قال: نعم ، قال : فإن الله تعالى يقول : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد)[4] .

- **الوادي :**

قال تعالى : " ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم "[5] .

مكة هي الوادي المذكور في هذه الآية ، وقد أورد الفاسي : " والوادي ، من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لنافع بن عبد الحارث الخزاعي ، عامله على مكة ، لما لقيه بعسفان ، حين استخلف نافع على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزي : من استخلفت على أهل الوادي "[6] .

- **البيت – البيت العتيق – البيت المحرم :**

قال تعالى : " واذ جعلنا البيت مثابةً للناس "[7] ، وقال تعالى : " ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق "[8] ، وقال تعالى : " ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم "[9] .

---

[1] - سورة النمل :آية ٩١.
[2] - سورة سبأ : آية ١٥.
[3] - سورة القصص: آية ٨٥.
[4] - ابن عطية : المحرر الوجيز ، ج٤، ص٢٧٥، ابن الجوزي : زاد المسير ، ج٣، ص٣٩٦، الرازي : مفاتيح الغيب ، ج٢٥، ص١٩.
[5] - سورة ابراهيم : آية ٣٧.
[6] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٧٢.
[7] - سورة البقرة : آية ١٢٥.
[8] - سورة الحج : آية ٣٣.
[9] - سورة ابراهيم : آية ٣٧.

اعتبر بعض العلماء أن (البيت) من أسماء مكة المكرمة[1] ، وذلك من باب اطلاق الجزء على الكل على سبيل المجاز[2] .

وهذه الأسماء هي مجمل ما ورد في القرآن الكريم عن مكة المكرمة ، وقد نالت أسماء مكة المكرمة من الاهتمام والرصد والتتبع ما لم تحظى به سواها ، فقد اجتهد المفسرون وعلماء الحديث والمؤرخون في استنباط أسماء أخرى لمكة المكرمة[3] لم تعرف بها من قبل ولم يرد ذكرها في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة وانما كانت عبارة عن اجتهادات منهم لاستنباط أسماء لمكة استمدت من وقائع أو نصوص معينة أو دلالات معينة ، ومن هذه الأسماء :

الباسة – البساسة – الناسة – الحاطمة – العرش – العروش- العريش – أم راحم – أم صبح – أم صبيح – أم الصفا – المقدسة – قادس – القادسية – القادسة – الرأس - المكتان – كوثى – قرية النمل – نقرة الغراب – قرية الحمس – رتاج – بساق – فاران – العروض – صلاح – طلاح – عامر – الأمون – سبوحة – برة – برد – الثنية – السلام – سيل – العذراء – مخرج صدق – المعطشة – البنيّة – طيبة – المحبة – المتحفة – المذهب – المروية – مقام .

---

[1] ـ الطبري : جامع البيان ، ج١٦، ص٥٤٧، القرطبي : (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ت٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القران "تفسير القرطبي" ،تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ج٩، ص٣٧٣.

[2] ـ طاشكندي : أسماء مكة ، ج٢، ص٤٩٩.

[3] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٣٩٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٢٨٠، ٢٨١، النويري : نهاية الأرب ، ج١، ص٣١٣، ٣١٤، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ٦٥، ٦٦، الشامي : سبل الهدى والرشاد ، ج١، ص١٩٥- ٢٠٠، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٤٨٦- ٤٨٨.

المبحث الثالث

اهتمام الخلفاء والحكام بمكة المكرمة

تمتعت مكة المكرمة باهتمام ورعاية الخلفاء المسلمين على مر العصور ، باعتبارها بلد الله الحرام ، ومنبع ظهور الإسلام ، ومهبط الوحي ، ولكونها أيضاً تضم بيت الله الحرام ، لذلك فقد تعاقبت جهودهم على الاهتمام بها من عدة جوانب ، وأهم ملامح هذا الاهتمام :-

الاهتمام بالنواحي الإدارية :

اهتم الخلفاء الأمويين والعباسيين منذ أن تسلموا أمر الخلافة بإدارة أقاليم الدولة الإسلامية ، وكانت أرض الحجاز " مكة المكرمة والمدينة المنورة " مهمة لأي خليفة ، وذلك لمكانتها وأهميتها الإسلامية وكونها أراضي مقدسة بها الحرمان الشريفان ، لذا اتسمت سياستهم في تعيين ولاة مكة بالحرص على أن يكونوا ذوي قرابة شديدة بالخلفاء أو ممن يوالونهم ، وذلك لثقتهم بهم ولحاجة الدولة إلى تثبيت دعائم الأمن والاستقرار فيها ، فيتسنى لهم بذلك ضبط أحوالها ورعاية شئونها .

ففي بداية عهد الدولة الأموية نجد أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان اختار ولاته من أبناء بيته من بني أمية ولاة على الحجاز كمروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعتبة بن أبي سفيان ليقموا بدور الجواسيس لمراقبة بني هاشم[1] ، وهكذا نهج الخلفاء من بعده في تعيين ولاتهم على مكة من ذوي القربى أو ممن تربطهم بهم علاقة المصاهرة والنسب ، فالخليفة يزيد بن معاوية ولى ابن عمه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان الحجاز ، ثم عزله وولى عمرو بن سعيد الأشدق[2] ، كما ولى الخليفة الوليد بن عبد الملك ابن عمه عمر بن عبد العزيز على مكة سنة ٨٩هـ ، ثم عزله وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري[3] ، كما ولى الخليفة العباسي أبو العباس السفاح عمه داود بن علي على مكة سنة ١٣٢هـ ، وبعد وفاته استخلف ابنه موسى بن داود على عمله وظل والياً عليها حتى وفاته فولى العباس مكانه وعندما بلغه نبأ وفاته ولى خاله زياد بن عبيد الله الحارثي ثم عزله وولى العباس بن عبد الله بن عباس [4]، وسار الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور على نهج أخيه السفاح في تعيين

---

[1] ـ عبد اللطيف : عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، دار الإتحاد التعاوني ، مصر ، ط٣ ،١٩٩٦م ، ص١١٦ ، عفاف صبره ومصطفى الحناوي : دراسات في تاريخ الدولة الأموية ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ،٢٠٠٨م ، ص٤٧.

[2] ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥، ص٣٤٣، الفاسي : (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي ت٨٣٢هـ) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ج٦، ص١٩٥.

[3] ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦، ص٤٦٤، الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص١٦، ج٥، ص٣٥٥.

[4] ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٦٣، ٦٤.

ولاته من أبناء البيت العباسي ، يؤكد ذلك ما ذكره اليعقوبي بقوله : " وولى أبو جعفر أهل بيته البلدان "[1] ، كما ولى المأمون عبيد الله بن العباس مكة[2]، واختار الخليفة العباسي المتوكل امارة مكة من آل البيت العباسي [3].

غير أن ذلك لم يمنع الخلفاء من اتخاذ اجراءات الحيطة والحذر في تعاملهم مع ولاتهم ، لذلك نجد أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يأمر بعزل الحجاج بن يوسف الثقفي عن ولاية الحجاز ، بسبب كثرة الشكاوي عليه ، خاصة بعد أن اشتكى ابراهيم بن طلحة التيمي بطش وقوة الحجاج وجبروته لأهل الحجاز ، حيث يقول : " يا أمير المؤمنين لقد عمدت إلى الحجاج في تغطرسه وتعجرفه ...فوليته الحرمين وهما هما وبهما ما بهما من المهاجرين والأنصار والموالي الأخيار يطؤهم بطغام أهل الشام ويسومهم الخسف بعد الذي كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمهم "[4]، كما نجد في موقف آخر للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك يأمر بعزل ابن عمه عمر بن عبد العزيز وواليه على مكة وذلك بعد أن وشى به الحجاج بن يوسف الثقفي محاولاً الانتقام منه لاسيما وأن بلاد الحجاز قد أصبحت ملاذاً للفارين من عسف الحجاج وظلمه ، حيث كتب إلي الخليفة : " إن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ، ولجأوا إلى المدينة ومكة ، وإن ذلك وهن ... فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حبان ، وخالد بن عبد الله القسري ، وعزل عمر بن عبد العزيز"[5] ، لذلك عجل الوليد بعزل والي الحجاز عمر بن عبد العزيز بناء على مشورة الحجاج.

فالقرابة والمعرفة لم تكن هي العامل الأساسي في اختيار الولاة وتقديمهم على ذوي القوة والأمانة ، يؤكد ذلك ما ذكره الخليفة العباسي المنصور للربيع بن يونس حين قال له : " إن لفلان حقاً فإن رأيت أن تقضيه وتوليه ناحية ، فقال : يا ربيع إن لاتصاله بنا حقاً في أموالنا لا في أعراض المسلمين وأموالهم ، انا لا نولي للحرمة

---

[1] - اليعقوبي : (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، المكتبة المرتضوية ، النجف ، ١٣٥٨هـ ، ج٣، ص١١٧.

[2] - ابن خياط : (أبو عمرو خليفة بن خيّاط بن خليفة الشيباني العصفري البصري ت٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خيّاط ، تحقيق : أكرم العمري ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٣٩٧هـ ، ص٤٧٥.

[3] - الشريف : (حسن بن علي بن عون ذوى علي الحارثي)، الرقابة الادارية في الدولة العباسية منذ قيامها سنة ١٣٢هـ حتى سنة ٢٤٧هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٩٩٣م، م١، ص١٣٩.

[4] - ابن عبد ربه : (أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم ت٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٠٤هـ ، ج١، ص٣٢٨.

[5] - الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٣٥٥.

والرعاية بل للاستحقاق والكفاية ، فمن كان منكم كما وصفنا شاركنا في أعمالنا ، ومن كان عطلاً لم يكن لنا عند الناس عذر في توليتنا إياه ، وكان العذر في تركنا له ، وفي خاص أموالنا ما يسعه "[1].

الاهتمام بعمارة المسجد الحرام :

لقد كان المسجد الحرام ولا زال موضع عناية واهتمام الخلفاء والولاة في هذه البلدة المباركة على مر التاريخ ، فقد شهد العديد من التوسعات وأعمال العمارة والترميم والاصلاح والتي تفاوتت في الحجم والأهمية والمساحة والجودة المرتبطة بالظروف والدوافع والامكانيات المتاحة في كل عصر ، ففي السنة السابعة للهجرة نفّذ الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول توسعة للمسجد الحرام بعد أن ضاق بالمصلين فاشترى البيوت المجاورة للمسجد الحرام ، وهدمها وأدخل أرضها في المسجد الحرام ، ثم قوّم رضي الله عنه الدور التي امتنع أهلها عن بيعها ، ووضع أثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها ، كما أنه أول من جعل للمسجد الحرام جدراً وجعل له أبواباً[2] ، فمن المعروف قبل ذلك أن البيوت تحيط بالكعبة من جميع جوانبها مع وجود ممرات بينها توصل إلى الساحة المتروكة حول الكعبة للطواف ، وظل المسجد الحرام على هذا الحال طوال فترة خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فلم يكن هناك حاجة إلى توسعته لقلة سكان مكة في ذلك الوقت ، فمدار المطاف كان كافياً لصلاة المسلمين المقيمين بمكة[3].

وبتدفق أعداد المسلمين وازدياد اقبالهم على المسجد الحرام اقتضت الضرورة اضافة مساحات تواكب الزيادة المتوالية في أعداد المصلين ، فأزيل عدد كبير من

---

[1] - ابن حمدون : (أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ت٥٦٢هـ) ، التذكرة الحمدونية ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ، ج١، ص٤٢٤.

[2] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٥٩٣ ، ابن فهد : (عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن فهد ت٨١٢هـ) ، إتحاف الورى بإخبار ام القرى ، تحقيق : فهيم شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٥م ،ج٢، ص٣٣٤ ، الجزيري : (عبد القادر محمد بن عبد القادر بن ابراهيم الانصاري الجزيري الحنبلي)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، دار اليمامة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ج١ ، ص٤١٧، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٣٣٤ ، باشا: مرآة الحرمين ، ج١ ، ص٢٣٦ ، يوسف أحمد : المحمل والحج ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٣٧م ، ج١ ، ص١٤٦، باسلامة : حسين عبد الله ، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر ، تحقيق : عمر عبد الجبار ، دار مصر للطباعة ، ط٢ ، ١٩٦٤م ،ص٣٩ .

[3] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٥٩٣، الصباغ : المرجع السابق، ج١ ، ص٣٣٤، باشا : المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٣٥ ، يوسف أحمد : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٤٥ ، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٣٥ .

المنازل المجاورة للمسجد الحرام وأضيفت لمساحته ، كما حصل ذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان وابن الزبير رضي الله عنهما ، وكذلك في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[١] .

ويأتي الخليفة العباسي محمد المهدي في طليعة من أضاف إلى المسجد الحرام أكبر توسعة له ، فجمع بين توسعتين وعمارتين أضافت للمسجد الحرام ضعفي المساحة السابقة ، جرت الأولى في سنة ١٦٠هـ ، وبعد اكتمالها حج الخليفة المهدي حجته الثانية عام ١٦٤هـ فساءه أن يرى العمارة الأولى التي أمر بإجرائها جعلت المسجد الحرام يظهر بصورة غير منتظمة ، لكون الكعبة المشرفة غير متوسطة في المسجد الحرام ، والسبب في ذلك أن المسجد الحرام اتسع من جهاته الثلاث ماعدا الجهة الجنوبية لوجود مجرى سيل وادي إبراهيم ، فأمر بزيادة مساحة المسجد الحرام ، فلم يقتصر عمله على أكبر توسعتين للمسجد الحرام فحسب ، بل شمل حمايته وذلك بتحويل مجرى الوادي الذي كان يشكل عائقاً للتوسعة ودخوله في المسجد الحرام رغم كثرة النفقات المترتبة إلا أنه اصراره على المضي في تنفيذ المشروع أكد سعيه الحثيث وبحثه الجاد في التخلص من كافة المعوقات والعراقيل التي تحول وتعيق دون اتمام انجازه[٢] ، يؤكد ذلك قوله : " لا بد لي من أن أوسعه حتى أوسط الكعبة ... ولو أنفقت ما في بيوت الأموال "[٣] .

وأما العمارات والترميمات التي تمت بعد ذلك هي عمارة الخليفة موسى بن المهدي ، والموفق بالله ، والمعتضد بالله ، والمقتدر بالله[٤]، فعندما تهدمت جدران المسجد الحرام في عهد المعتمد على الله من جهته الغربية بسبب سقوط دار بجوار باب إبراهيم ، أمر بإصلاح ما تهدم من الجدران ، وأعاد بناء الاسطوانات ووضع عليها العقود[٥]، وكتب حجبة البيت الى الخليفة المعتضد بالله سنة ٢٧٩هـ يصفون حال دار الندوة وما أصابها من خراب ، وما أصاب الكعبة من تكسر رخام أرضيتها وجدرانها ويطلبون مساعدته فاستجاب المعتضد لذلك وأرسل أموالاً عظيمة إلى

---

[١] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٥٩٣- ٦٠٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٥٨- ١٦٥.

[٢] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٦٠٢ -٦١٢ ، الفاكهي : المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٦٥- ١٧٤، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٥٣- ٥٧ .

[٣] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٠٩.

[٤] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٧٤- ١٧٦، بن صالح : محمد بن عبد الله ، الحرمان الشريفان نشوءهما وتوسعتهما وتأثيرهما على المحيط العمراني على مر العصور ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ٢٠٠٣م ، ص٤١.

[٥] - القدحات : محمد بن عبد الله ، جهود الخلافة العباسية في عمارة الحرمين الشريفين ومشاعر الحج في الحجاز ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، ١٤٢٦هـ ، ص١١٥.

القاضي يوسف بن يعقوب فأنفذ بعضه سفاتجاً ، وأنفذ بعضه في أيام الحج مع ابنه أبي بكر لإصلاح ما تخرب وأمره بهدم دار الندوة وبناه مسجداً ووصله بالمسجد الحرام [١] ، أما في خلافة المقتدر بالله سنة ٢٩٥هـ فقد أدخل دار الندوة بالمسجد الحرام ووصله وصولاً أحسن من العمل الأول فأصبح المصلين في دار الندوة يستقبلون الكعبة ، كما أنه زاد في عدد أبوابها وبنى لها منارة ، وجعل في آخرها خزانة ، واستبدل أساطينها التي عملها المعتضد بالله بأساطين حجارة مدورة [٢] .

ولم يكتف الخلفاء المسلمين بإجراء التوسعات في المسجد الحرام فحسب ، بل تفننوا في عمارته واستخدموا أرقى فنون العمارة ، فقام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بتسقيفه بالساج [٣] بعد أن رفع جدرانه ، وزينه بالذهب حيث جعل على رأس كل اسطوانة ما يوازي خمسين مثقالاً من الذهب [٤] ، كما شيد الخليفة الوليد بن عبد الملك الشرفات ، وأزر داخل المسجد بالرخام ، وسقف أروقة المسجد بالساج المزخرف ، وزين رؤوس الأساطين بصفائح الذهب الأصفر وعمل رواقاً بأساطين الرخام [٥] ، وزخرف الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور المسجد الحرام بالفسيفساء الأسود والمذهب وعمل رواقاً بأساطين الرخام [٦] ، وشيّد ابنه محمد المهدي المسجد الحرام بالأعمدة الرخامية قدم بها من الشام إلى جدة ثم نقلت العربات ذات عجل من جدة إلى مكة المكرمة [٧] ، كما استقدم عدداً من الحرفيين من بنائين ونقاشين ومخططين ومهندسين من مصر والشام والعراق أثناء توسعة المسجد الحرام [٨] .

---

[١] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٦٥٢ ، ٦٥٣ .

[٢] - الازرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦٥٤ ، ٦٥٥.

[٣] - الساج : ضرب من الشجر ، ينبت في الهند ويجلب منها ، وقيل شجر يظم جداً ويذهب طولاً وعرضاً وله ورق أمثال التراس الديلمية يتغطى الرجل بورقه منه فتكنه من المطر وله رائحه طيبه تشابه ورق الجوز مع رقه ونعومه .
أنظر : الجوهري : (أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت٣٩٣هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤، ١٩٨٧م ، ج١ ، ص٣٢٣ ، الزبيدي : تاج العروس ، ج٢ ، ص٤٩.

[٤] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص ٥٩٧ ، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤٥.

[٥] - الازرقي : المصدر السابق ،ج١ ، ص٥٩٨ ، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤٨ .

[٦] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٩٩ ــ ٦٠٢ ، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٦٤، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٥٠ .

[٧] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٦٠٢- ٦٠٥ ، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٥٣ ، ٥٥.

[٨] - الازرقي : المصدر السابق، ج١، ص٦١٠، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٧٣، مطر : فوزية حسين ، تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف ، جدة ، ط٢ ، ٢٠٠٢م، ص١٤٤، ١٤٥.

وإلى جانب ذلك أدخل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان في المسجد الحرام منبر[1] صغير مكون من ثلاث درجات قدم به من الشام في سنة أربع وأربعين من الهجرة ليؤدي فريضة الحج ، خطب عليه فكان أول من خطب على منبر في مكة المكرمة ، ذلك أنه لم يكن للمسجد الحرام على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الرشدين منبر فكانوا يخطبون قياماً على أرجلهم في وجه الكعبة والحجر[2] ، وفي عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد استبدل هذا المنبر بمنبر منقوش مزخرف عال مكوّن من تسع درجات أهدي له من عامله بمصر موسى بن عيسى فأمر الرشيد بإقامته في المسجد الحرام في تلك السنة التي حج فيها [3]، ثم توالى إرسال المنابر بعد ذلك إلى المسجد الحرام ، منها المنبر الذي أرسله الخليفة العباسي الواثق بالله سنة ٢٢٧هـ [4]، والمنبر الذي بعث به الخليفة المتوكل وحل محل المنبر القديم ، والمنبر الذي أمر بعمله وزير الخليفة المقتدر العباسي وأحرقه المصريون[5] .

ومن الخدمات التي حرص الخلفاء على توفيرها في المسجد الاضاءة ، وقد كانت إنارة المسجد الحرام تعتمد في البدايات على الجهود الفردية الذاتية لسكان مكة من تعليق المصابيح على المنازل ، مثل المصباح الذي وضعه عقبه بن الازرق الغساني على داره لإضاءة وجه الكعبة والمقام وأعلى المسجد[6]، وظل الحال على ذلك حتى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنار المسجد الحرام بالمصابيح التي وضعها عليه[7]، كما أضاء معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه المسجد الحرام بقناديل تضاء بالزيت[8]، واستمر ذلك إلى أن كانت ولاية خالد القسري في عهد عبد الملك بن مروان فوضع مصباح على عامود عند بئر زمزم مقابل الركن الأسود[9] ، وأمر بالصلاة حول الكعبة فأدار الصفوف [10]،وأمر بالتفريق

---

[1] - المنبر: مرقاة يرتقيها الخطيب ، وسمي منبراً لارتفاعه وعلوه .
انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص١٨٩، الزبيدي : تاج العروس ، ج١٤ ،ص١٦٤ .
[2] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ،ص٦٣٦، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٤، الجزيري : الدرر الفرائد المنظمة ، ج١ ، ص٤٢٤، ابن ضياء المكي : تاريخ مكة المشرفة ، ص١٦٠.
[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٦٣٦ ، ٦٣٧ .
[4] - الازرقي : المصدر السابق،ج١ ، ص٦٣٧ .
[5] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٣٢٢.
[6] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٤٠٠.
[7] - ابن ضياء : تاريخ مكة المشرفة ، ص١٢٣.
[8] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٨٧٨، ٨٧٩، ابن ضياء : المرجع السابق ، ص١٢٣.
[9] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٤٠٠.
[10] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٥٨٨، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤٦.

بين الرجال والنساء في الطواف [1]،وأضاء الخليفة العباسي المعتصم ما حول الكعبة بالأعمدة الصفر التي أرسلها من أرمينية حيث كانت في قصر بابك الخرمي [2]فلما قُتل أرسلها المعتصم إلى مكة المكرمة ووضعت حول الكعبة المشرفة[3] .

ولما آلت الخلافة الى الواثق بالله العباسي أمر بإنشاء عشرة أعمدة توضع حول الكعبة لإضاءة المطاف وثمانية ثريات توزع على المسجد الحرام[4]، وبذلك تمكن من إضاءة عموم المسجد الحرام وفي سنة ٢٤٠هـ ، كما أمر الخليفة العباسي المتوكل بإيقاد الشمع عند المشعر الحرام وسائر المشاعر بدلاً من الزيت والنفط[5] .

الاهتمام بعمارة وكسوة الكعبة المشرفة :

أوليت الكعبة المشرفة بعناية كبيرة منذ ما قبل الإسلام ، وزادت العناية بها في العصر الإسلامي بعد أن أصبحت قبلة المسلمين ، فبعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة قام عليه الصلاة والسلام بتطهيرها من الأوثان المتزاحمة حولها لتهيئة المسجد الحرام للطائفين والركع السجود ، وكان بيده الشريفة قضيب فجعل يطعن في وجوهها وعيونها وهو يتلو قوله تعالى " وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا "[6] ، فلا يشير إلى صنم منها إلا سقط على وجهه[7] .

وفي ذلك يقول الرازي: " إن فتح مكة كان سبباً لتطهير بيت الله تعالى من رجس الأوثان ، وتطهير بيته سبباً لتطهير عبده "[8]، وبعد تطهيرها قام عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه رضوان الله عليهم بغسل الكعبة بماء زمزم ، فعن ابن عمر

---

[1] ـ الازرقي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٥١٨.

[2] ـ بابك الخرمي رجلٌ زنديق ظهر أيام المعتصم وعاث في البلاد فساداً وأراد أن يستولي على الممالك ، وكان يرى رأي المزدكية الذين خرجوا أيام قباذ وأباحوا النساء والمحرمات وقتلهم انوشروان .
أنظر : الذهبي : (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسه الرسالة ، ط٣ ، ١٩٨٥م ، ج١٣ ،ص ٤٦٩ ، الزبيدي : تاج العروس ،ج٣٢ ،ص ٧٠ .

[3] ـ الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص ٤٠٢ .

[4] ـ الازرقي : المصدر السابق ، ج١ ،ص٤٠١ .

[5] ـ ابن الجوزي : (جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق: محمد عبد القادر عطار ومصطفى عبد القادر عطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، ١٩٩٢م ،ج١١ ، ص٣٤١ .

[6] ـ سورة الإسراء : آية ٨١ .

[7] ـ الكلبي : (أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي ت٢٠٤هـ)، الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٠م ، ص٣١ ،الازرقي : أخبار مكة ، ج ١، ص١٩١.

[8] ـ الرازي : مفاتيح الغيب ، ج٢٨ ، ص٦٦.

رضي الله عنهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة يوم الفتح أمر بلالا فرقى على ظهر الكعبة ، فأذن بالصلاة وقام المسلمون وتجردوا في الأزر وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم ، فغسلوا الكعبة ظهرها وبطنها ، فلم يدعوا أثراً من آثار المشركين إلا محوه وغسلوه[1].

وجعل علية الصلاة والسلام " سدانة البيت[2] " في بني شيبة، وأخذ مفتاح الكعبة من " عثمان بن طلحة "[3]،فأنزل الله عزوجل قوله : " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها "[4]، لذلك دعا عليه الصلاة والسلام عثمان بن طلحة تنفيذاً لأمر الله ، وقال له : " خذوها يا بني أبي طلحة ، تالدة خالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنك على بيته فخذوه بأمانة الله "[5] .

وبعد أن أصابت منجنيقات الجيش الأموي المحاصر لابن الزبير في عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية الكعبة المشرفة أعاد عبدالله بن الزبير رضي الله عنه بنائها بعد وفاة يزيد بن معاوية حتى انتهى إلى أساس إبراهيم عليه السلام وذلك على نحو ما أراد عليه الصلاة والسلام في حياته مستندا إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، حيث ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : أن النبي صلى

---

[1] - يوسف أحمد : المحمل والحج ، ج١، ص٢٠٣ .

[2] - عندما تولى قصي بن كلاب ولاية مكة المكرمة قسم أمور مكة وهي " السدانة ،ودار الندوة ، وللواء ، والسقاية والرفادة والقيادة " بين ولدية عبد مناف وعبد الدار ، فأسند الى عبد الدار – وهو جد بني شيبة – السدانة وهي خدمة البيت الحرام والقيام بشؤونه وتولي أمر الكعبة من فتح وإغلاق الباب ، وتغير كسوة الكعبة وتطيبها ، ولما توفي صارت في يد ابنه " عثمان بن عبد الدار " ثم وليها عبد العزى ثم ابو طلحه ثم وليها عثمان من بعده .
أنظر : الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٢٥٦، ٢٥٧، باشا : مرآة الحرمين ، ج١ ، ص٢٩٨، ٢٩٩، باسلامة : حسين عبد الله ، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها ، الرياض ، ١٩٩٩م ، ص٣٧٧.

[3] - هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مره القرشي العبدري الحجبي ، شهد فتح مكة ، وأسلم مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص زمن الحديبية .
أنظر : ابن الأثير : (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ت٦٣٠هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : علي معوض وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٤م،ج٣، ص٥٧٢ ، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٤ ، ص٣٧٣، الخزرجي : (أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الانصاري الساعدي اليمني ت٩٢٣هـ)، خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، دار البشائر ، حلب ،ط٥ ، ١٤١٦هـ ، ص٢٦٠.

[4] - سورة النساء : آية ٥٨.

[5] - الازرقي : أخبار مكة ،ج١، ص٣٧٠- ٣٧٤ ، السنجاري : منائح الكرم ،ج١ ، ص٣٩٧ ، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٢٥٧- ٢٦١ ، يوسف أحمد : المحمل والحج ،ج١، ص٢٠٠ ، باشا : مرآة الحرمين ، ج١، ص٢٩٩، باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص٣٧٧.

الله عليه وسلم قال لها : " يا عائشة ، لولا أن قومك حديث عهدٍ بجاهليةٍ لأمرت بالبيت ، فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه ، و الزقته بالأرض ، وجعلت له بابين ، باباً شرقياً ، وباباً غربياً ، فبلغت به أساس ابراهيم "[1]، وقد حرص رضي الله عنه على استخدام أجود المواد المستعملة في بنائها لتحقيق أعلى مستويات الجودة ، فأرسل مبلغاً من المال إلى صنعاء يطلب القصة[2]التي كانت تعتبر في ذلك الوقت من أحسن وأجود أنواع القصة[3] .

وبعد محاصرة الحجاج بن يوسف الثقفي مكة وقتل عبدالله بن الزبير نقض البناء من جهة الحجر وسد الباب الذي فتحه ابن الزبير وأعاده إلى بناء قريش فخالف بذلك ما تمناه عليه الصلاة والسلام في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها المذكور آنفاً ، وبقيت الكعبة على بناء عبدالملك بن مروان .

وفيما يتصل بالترميمات والاصلاحات والتجديدات فقد عني الخلفاء والأمراء بالكعبة المعظمة عناية كبيرة ، ويعتبر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أول من ذهّب الكعبة في الإسلام ، حيث بعث الى واليه على مكة خالد القسري عامله سته وثلاثين ألف دينار وأمره بتحلية باب الكعبة والميزاب والأساطين بالذهب[4]، وفرش أرضية الكعبة المشرفة بالرخام الأحمر والأخضر أتى به من الشام ، وجعل عليها طوقاً من الذهب[5]، وأمر الخليفة العباسي المتوكل بتلبيس باب الكعبة صفائح الفضة بدلاً من خشب الساج الذي كان عليه، وعمل له حلقة من فضة علقها عليه وقفل من فضة ، وعندما وصله كتاب صاحب البريد وعامله بمكة وحجبة البيت يصفون ما أصاب الكعبة المشرفة من تصدع جدرانها وأرضيتها أمر باستبدال زاويتا الكعبة الملبستين فضة ذهباً ، وقلع الرخام المتساقط من جدران الكعبة ، كما استبدل صفائح الرصاص التي كانت تلبس كرسي المقام بصفائح من فضه واتخذ له قبه من خشب الساج[6] .

---

[1] - البخاري : (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ت٢٥٦هـ) ، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تحقيق : محمد زهير ، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ج٢، ص١٤٧ .

[2] - القصة : الجص ، وقصص داره أي جصصها .
انظر : الجوهري : الصحاح ، ص٣ ، ص١٠٥٢، ابن منظور : لسان العرب ، ج٧ ، ص٧٧ .

[3] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٢٩٩.

[4] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١، ص ٣٠٧ ، باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص٢٣٢.

[5] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨.

[6] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٤١٦، ٤١٧.

هذا وقد تسابق الخلفاء على كسوة الكعبة الشريفة ، فهي من أهم مظاهر التبجيل والتشريف لبيت الله الحرام ، لذلك فقد كساها الرسول عليه الصلاة والسلام الثياب اليمانية[1]، وكساها أبو بكر رضي الله عنه بالقباطي [2] ، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل للكسوة مخصصات ثابتة من بيت مال المسلمين ، وأصبحت تصنع بأمر من عمر رضي الله عنه في مصر التي دخلت في عهده، فحازت بذلك مصر بشرف صناعة كسوة الكعبة الشريفة ، وكساها الفاروق رضي الله عنه القباطي وكان ينزع كسوة الكعبة ويقسمها بين الحجاج[3]، واستمرت نفقات كسوة الكعبة من بيت المال في عهد الخليفة عثمان بن عفان وتحاك في مصر كذلك ، وكان رضي الله عنه أول من كسى الكعبة كسوتين القباطي المصرية والبرود اليمانية[4] ،حيث أمر عامله على اليمن " يعلى بن منيه "[1]بعملها[2] .

---

[1] - اختلفت آراء الإخباريين في أول من كسى الكعبة فقيل إن اول من كسى الكعبة إسماعيل عليه السلام ، وقيل عدنان بن أدد أول من كساها ، بينما تشير مصادر أخرى أن"تبع الحميري " أحد ملوك اليمن أول من كسى الكعبة ، وقد كساها " الخصف " وهي ثياب غلاظ ، ثم كساها "الأنطاع " وهي الجلود ، ثم كساها الوصائل وهي ثياب حبرة من عصب اليمن ، لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سب أسعد الحميري، وفي عهد قريش جاء ربيعة بن المغيرة المخزومي وكان من أثرياء قريش وتكفل بكسوة الكعبة ، فقال : أنا أكسو الكعبة وحدي سنة ، وجميع قريش سنة ، فظل يكسو الكعبة الى أن مات ، وأول امرأة كست الكعبة " نتيلة بنت خباب بن كليب بن مالك بن عمرو بن زيد مناة بن عامر الضحيان " وهي أم العباس بن عبد المطلب – جد الخلفاء العباسيين – .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج١١، ص٦٤٥، الزبيدي : تاج العروس ، ج٣٠ ، ص٤٥٢، الزركلي : الأعلام ، ج٨ ،ص٩ .
وقد كسيت الكعبة بالحرير والديباج وذلك وفاءً لنذر نذرته .
أنظر : الأزرقي ، أخبار مكة ، ج١ ،ص٣٥١-٣٥٦ ، ابن ضياء : تاريخ مكة المشرفة ، ص١١٩ ، السنجاري : منائح الكرم ، ج١ ، ص٣٧٠- ٣٧٤ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص١٠٥ ، يوسف أحمد : المحمل والحج ، ج١، ص٢٣٢-٢٣٥ ، باشا : مرآة الحرمين ، ج١ ، ص٢٨٢، باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص٢٨٩-٢٩٦.

[2] - القباطي : القبط ، جبل بمصر ، وقيل هم أهل مصر وبنكها ، والقبطية : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة الى القبط على غير قياس ، والجمع قباطي ، فالإنسان قبطي بالكسر ، والثوب قبطي بالضم فالقباطي ثياب الى الدقة والرقة والبياض .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ،ج٧ ،ص ٣٧٣ ، الزبيدي : تاج العروس ، ج٢٠ ،ص٦ ، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص١٥٣ ، يوسف أحمد : المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٣٥ ، عطار : أحمد عبد الغفور ، الكعبة والكسوة منذ أربعة الاف سنة حتى اليوم ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٧٧م ، ص١٣٧ ، باشا : مرآة الحرمين ، ج١ ، ص٨٢٨ ، باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص٢٩٧.

[3] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٣٥٧ ، الصباغ : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٥٧ ، عطار : المرجع السابق ، ص١٣٧ ، باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص٢٩٨ .

[4] - البرود : مفردها البُرد وهو ثوب فيه خطوط وخصَ به الوشي ، والجمع أبرادٌ وأبرد وبرودٌ.
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٣ ،ص٨٧.

وكان الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أول من أجرى الطيب للكعبة بكل صلاة ، حيث كان يبعث المجمر[3] والخلوق[4] في الموسم وفي رجب ، وخصص عبيداً لخدمة الكعبة المشرفة[5] ، وقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت :" طيبوا البيت فإن ذلك تطهيره "[6] ، ويسرت له كثرة المال في عهده كسوتها بالديباج يوم عاشوراء ، والقباطي في آخر شهر رمضان ، وعلّل الازرقي سبب كسوتها القباطي في آخر رمضان بقوله " للفطر " أي استعداد لعيد الفطر[7]، وبالرغم من تردّي الاوضاع السياسية في عهد ابنه يزيد إلا أنه حرص على ارسال كسوة الكعبة فكساها الديباج الخسرواني [8]، وكسى الوليد بن عبد الملك الكعبة المشرفة بالديباج ، فقد ذكر ابن كثير أن الوليد لما أتى المدينة كسى المسجد النبوي بكسوة الكعبة التي معه وهي من الديباج[9]، وخوفاً على الكعبة من انهدام جدارها لكثرة الكسوة التي كانت عليها أزال الخليفة العباسي المهدي كسوة الكعبة في سنة ١٦٠هـ وطلى جدرانها بالخلوق[10]، وفي عهد الخليفة المأمون أصبحت

---

[1] - يعلى بن أميه بن أبي عبيدة ويقال اسمه زيد بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظله بن مالك بن زيد مناة بن تميم أبو خلف ، ويقال ابو خالد ويقال أبو صفوان المكي حليف قريش

أنظر : ابن حجر العسقلاني : ابن حجر العسقلاني : (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ت٨٥٢هـ) ، تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ط١ ، ١٣٢٦هـ ، ج١١ ، ص٣٩٩ .

[2] - ابن ضياء : تاريخ مكة المشرفة ، ص١١٩ ، الازرقي : أخبار مكة ،ج١ ، ص٣٦٣ ، يوسف احمد : المحمل والحج ، ج١ ، ص٢٣٥، باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص٢٩٨ ، عطار : الكعبة والكسوة ، ص١٣٨.

[3] - المجمَر : ما يوضع فيه الجمر مع البخور والعود يتبخر به وقيل : انه العود .

أنظر : ابن منظور : لسان العرب، ج٤ ، ص١٤٤، الزبيدي : تاج العروس ، ج١٠ ، ص٤٦٤.

[4] - الخلوق : طيب معروف مركب مكون من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ولونه يميل الى الحمرة والصفرة .

أنظر : ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ، ج٢، ص٧١.

[5] - الازرقي : أخبار مكة ،ج١ ، ص ٣٥٨ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص١٧٣، ابن ضياء : تاريخ مكة المشرفة ، ص١٢٠ .

[6] - الازرقي : المصدر السابق ،ج١ ، ص٣٦٢ .

[7] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٣٥٧، ابن ضياء : تاريخ مكة المشرفة ، ص١١٩ ، يوسف أحمد : المحمل والحج ، ج١ ، ص٢٣٥ ، ٢٣٦ ، عطار : الكعبة والكسوة ، ص١٣٩.

[8] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٣٥٨، عطّار : الكعبة والكسوة ، ص١٤٠ ، با سلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص٢٩٩ ، يوسف احمد : المحمل والحج ، ج١ ، ص٢٣٧ .

[9] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩، ص٩٨ .

[10] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص١٣٣ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك الى خلافة المعتصم ، ج٣ ، ص٢٧٣ .

الكعبة تكسى ثلاث كسى بالديباج الأبيض والديباج الأحمر والقباطي[1] ، وحظيت الكعبة وكسوتها أيضاً باهتمام وعناية الخليفة المتوكل على الله الذي تولى الخلافة سنة ٢٣٢هـ ، فلما رفع إليه حجبة البيت أن إزار الديباج الأحمر يبلى بسبب لمس الناس للكعبة ، أسبل الديباج الأحمر حتى بلغ الأرض وأرسل إزارين لكسوة الكعبة فرأوا أنه لا حاجة للإزار الثاني ووضعوه في صندوق الكعبة[2] ، كما كسى أعمدة الكعبة بالديباج[3] .

الاهتمام بسكان مكة :

لقد حرص الخلفاء الأمويين والعباسيين على التودد والتقرب من أهل الحرمين " مكة المكرمة والمدينة المنورة " فكانوا يكرمونهم إذا وفدوا إليهم ، ويرسلون لهم العطايا ، وذلك طمعاً في السيطرة على بلادهم لوجود الحرمين الشريفين بهما ، فعمل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على الإحسان والتقرب من شيوخ الصحابة وابنائهم ، وكان محور اهتمامه بنو هاشم حيث كان يغدق عليهم الأموال الكثيرة لكسب ودهم لأن بعضهم كان يعتقد أنه أفضل وأولى منه بالخلافة وبالفعل استطاع أن يمتص غضبهم ويتقرب إليهم فاجتمعت عليه القلوب[4] .

وسواء أكان السبب اعتقاد بني هاشم بأحقيتهم بالخلافة منه أو لضمان البيعة لابنه يزيد ، إلا أنه من الثابت أنه : " خلف معاوية خلق كثير يحبونه ويتغالون فيه ، ويفضلونه ، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء ، و إما قد ولدوا في الشام على حبه ، وتربّى أولادهم على ذلك . وفيهم جماعة من الصحابة ، وعدد كثير من التابعين و الفضلاء "[5] ، وبهذه السياسة التي انتهجها معاوية رضي الله عنه خضع له أبناء المهاجرين و الأنصار ومن يعتقد انه أولى بالخلافة منه[6] .

ومن أجل ذلك أعطى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عائشة أم المؤمنين طوق بقيمة مائة ألف فقبلته ، وقضى عنها ثمانية عشر ألف دينار[7] ، وكذلك أكرم الحسن والحسين رضي الله عنهما عندما وفدوا إليه بالشام حيث أمر لكل واحد منهما بمائتي

---

[1] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٣٦٠ .
[2] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٦١ ، عطار : الكعبة والكسوة ، ص١٤٧.
[3] - يوسف أحمد : المحمل والحج ،ج١ ،ص١٧٦ .
[4] - عبد اللطيف : العالم الإسلامي ، ص١١٤، عفاف صبرة ، مصطفى الحناوي : دراسات في تاريخ الدولة الأموية ، ص٣٧.
[5] - الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص١٢٨ .
[6] - ابن طباطبا : (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ص٧٥ .
[7] - الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص١٨٦، ١٨٧.

ألف درهم[1] ، وكذلك حينما وفد إليه عبدالله بن الزبير والحسن بن أبي طالب رضي الله عنهما رحّب معاوية بهما وأمر للحسن بثلاثمائة الف وابن الزبير بمائة ألف[2].

لقد حرص معاوية رضي الله عنه أن يكرم من احتاج إليه ، فقد سأله الحسن بن علي وعبدالله بن جعفر المال ، فأرسل لكل واحد منهما مائة ألف درهم[3] ، وفي ذلك يقول ابن طباطبا عنه : أنه " كان كريما ، باذلا للمال ، محبا للرياسة ، مشغوفا بها . كان يفضل على أشراف رعيّته كثيرا ، فلا يزال أشراف قريش – مثل عبدالله ابن العباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر الطيّار وعبدالله بن عمر وعبدالرحمن بن أبي بكر وابان بن عثمان بن عفان وناس من آل ابي طالب رضي الله عنهم ، يفدون عليه بدمشق . فيكرم مثواهم ، ويحسن قراهم ويقضي حوائجهم ، ولايزالون يحدّثونه أغلظ الحديث ويجبهونه أقبح الجبة وهو يداعبهم تارة ، ويتغافل عنهم أخرى ، ولا يعيدهم إلا بالجوائز السنيّة والصلات الجمّة "[4] ، فكان معاوية رضي الله عنهم من أكرم الناس حتّى مع اعدائه .

وقد دأب ابنه يزيد على إكرام بني هاشم ، وذلك عملاُ بتلك السياسة التي رسمها معاوية في وصيّته ، وسار ابنه يزيد على خطاها ، حيث قال : " و أعرف شرف أهل المدينة ومكة فإنهم أصلك وعشيرتك "[5]، وقال أيضاً : " فأنظر أهل الحجاز فانهم أصلك ، وأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب "[6]، فأكرم عبدالله بن جعفر حينما وفد عليه وأعطاه ألف ألف درهم ، وحين وفد عليه عبدالله بن جعفر أعطاه يزيد ألف ألف درهم[7]، كما أعطى عبدالله بن حنظله مائة ألف درهم ، وكذلك أعطى أبنائه الثمانية لكل واحد عشرة آلاف درهم سوى كسوتهم وحملانهم[8].

وسلك الخلفاء العباسيين مسلك الأمويين في مهادنة وملاطفة أهل الحجاز والإحسان إليهم ، فيذكر البلاذري أن الخليفة العباسي أبو العباس السفاح أكرم عبد الله بن الحسن وأخوه الحسن بن الحسن عندما وفدوا إليه في العراق وقضى حوائجهم ، فأعطى عبد الله بن الحسن ألف ألف درهم وأقطعه قطائع ، كما أقطع أخوه الحسن

---

[1] - ابن عساكر : (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت٥٧١هـ) ، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو العمروي ، دار الفكر ، ١٩٩٥م ، ج١٤، ص١١٢ ، ١١٣.

[2] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨، ص١٤٦.

[3] - الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٣، ص١٥٥.

[4] - ابن طباطبا : الفخري ، ص٧٤ ، ٧٥ .

[5] - ابن كثير : ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٥٢ .

[6] - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١١٩ .

[7] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨، ص٢٥٢ .

[8] - ابن خيّاط : تاريخ خليفة بن خيّاط ،ج١ ، ٢٣٧ ، الطبري : تاريخ الرسل و الملوك ، ج٥ ، ص٤٩٥ .

[1]، وحرص الخليفة أبو جعفر المنصور على التقرب من أهل مكة المكرمة وخاصة القرشيين حيث أعطى كل واحدٍ منهم ألف دينار ، كهشام بن عروة وأعطى قواعد قريش صحاف الذهب والفضة وكساهن [2]، وعمل المهدي العباسي أيضاً على التقرب من أهل مكة المكرمة واستمالة قلوبهم بتوزيع الأعطيات عليهم ، ومما يؤكد ذلك قيامه بتوزيع ثلاثين ألف ألف درهم على أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة ، بالإضافة الى ما وصل إليه من مصر واليمن وقدَر بنصف مليون دينار ، ووزع مائة وخمسين ألف ثوب[3] ، وعندما حج خصَ بني هاشم بالنصيب الأكبر من الأعطيات التي وزعها في تلك السنة ، ونال القريشين نصيبهم من تلك الأعطيات[4] .

ولم يكتفي المهدي بتوزيع الأعطيات بل إنه أمر بإرسال محصول انتاج نهر الصلة الذي حفره في مدينة واسط في العراق إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة [5]، بالإضافة إلى تصدير الحبوب وخاصة القمح إليها [6]، وحرص الخليفة هارون الرشيد على بذل المال لأهل مكة ففرّق حين حج سنة ١٧٠هـ أموالاً كثيرة [7]بلغت كما ذكرت بعض المصادر ألف ألف وخمسين ألف دينار [8]، وحين عُزل وزير المعتصم أحمد بن عمَار البصري عن وزارته وجاور مكة المكرمة ، أرسل إليه المعتصم خمسة وعشرين ألف دينار ليوزعها على أهل مكة فسمي ذلك العام باسمه " عام ابن عمَار " [9]، واتسم عهد الخليفة الواثق بالله بكثرة الأموال وسعة العيش فقد كان كثير الإحسان لأهل الحرمين حتى قيل انه لم يبق في أيامه سائل[10]، كما حرص

---

[1] - البلاذري : أنساب الأشراف ، ج٣ ، ص٨٠ -٨٢ .

[2] - الزبير بن بكار : بن عبد الله القرشي الأسدي المكي ت٢٥٦هـ ، جمهرة نسب قريش ، تحقيق : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، ١٣٨١هـ ، ج١ ، ص٣٠٣ .

[3] - مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج٣ ، ص٢٧٢ .

[4] - الزهراني : ضيف الله يحي ، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٨٦هـ ، ص٤٢٢ ، ٤٢٣ .

[5] - البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٨٥ ، البغدادي : (قدامه بن جعفر بن قدامه بن زياد ت ٣٣٧هـ)، الخراج وصناعة الكتابة ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨١م ، ١٧٠ .

[6] - جريس : غيثان بن علي : دراسات في تاريخ الحجاز السياسي ، أعمال الخليفة المهدي الخيرية لأهل الحجاز ، ط١ ،٢٠٠٤م ،ص ١٧٤ .

[7] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ٢٣٤ .

[8] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ٢٧٥ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج٣ ، ص٣٠٣ .

[9] - الزمخشري : جار الله ، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ج١ ،ص ٧٣ .

[10] - القلقشندي : (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري ت٨٢١هـ) ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٥م، ج١ ،ص٢٢٥ .

الخليفة المتوكل على الله على الإنفاق على أهل الحرمين فعندما حج محمد بن عبد الله بن طاهر أمره أن يوزع مائة ألف دينار على أهل مكة المكرمة[1] ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أوقف الخليفة المقتدر بالله العباسي عدد من الضياع القريبة من العاصمة وفي منطقة السواد للنفقة على شؤون المسجد الحرام وأهله ، وأنفق القاهر في خلافته على الحرمين والثغور مبلغ قدر بخمسمائة الف دينار[2] .

أما بقية خلفاء بني العباس بعد القاهر ، فلم نتمكن من الحصول على معلومات توضح مواقفهم واهتمامهم بمكة المكرمة، إلا ما ورد في المصادر التاريخية عن حادثة سرقة الحجر الأسود سنة ٣١٧هـ على يد القرامطة ، فقد ظل عندهم اثنين وعشرين سنه ، وأعيد الى مكانه في سنة ٣٣٩هـ في فترة خلافة المطيع[3] .

ولم تقتصر جهود الخلفاء على ما كان يوزع من أعطيات على أهل مكة ، وإنما بذلت جهوداً طيبة في محاربة غلاء الأسعار ، فقد حرص الخلفاء على أن لا يقع سكانها في أزمات حادة دون تدخل منهم ، فعندما اشتكى الناس ارتفاع أسعار الزبيب في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصحهم باستبداله بالتمر حتى يقل الطلب عليه فيرخصوه مجبورين[4] ، وحينما غلا الزيت في عهده بدون مبررات ، كتب لهم رضي الله عنه : ارخصوه بالثمن أي لا تشتروه اتركوه فيعود سعره كما كان[5] ، وعندما أراد ابن الزبير رضي الله عنه مقاومة حصار الحجاج بن يوسف الثقفي الذي استمر أكثر من ستة أشهر كانت جملته : " نفوس أصحابي قوية "[6] .

كما أدرك الخلفاء والأمراء خطر السيول التي اجتاحت مكة فبادروا بالتدخل فوراً لمعالجة ما سببته السيول ، فعندما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبر السيل

---

[1] - ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١١، ص٣٤١ ، ابن تغري بردي : (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ت٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، مصر، ج٢ ، ص٣٢٢ .

[2] - الزهراني :النفقات وإدارتها ، ص٤٢٨ ، ٤٢٩.

[3] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٢٥٢ ، ابن ضياء : تاريخ مكة ، ص١٧٨.

[4] - ابن معين : (أبو زكريا يحي بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء البغدادي ت٢٣٣هـ) ، تاريخ ابن معين (رواية الدوري) ، تحقيق : أحمد سيف ، مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٧٩م ، ج٣ ، ص١١٣ .

[5] - البخاري : (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ت٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ج٣، ص٣٢٥.

[6] - البلاذري : أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص١٢١ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ،ص٩١ ، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢ ، ص٢٩.

الذي اجتاح مكة في السنة السابعة عشر من الهجرة المعروف بسيل "أم نهشل [1]" قدم بنفسه فزعاً ليقف على هذا الحدث ، فدخل مكة معتمراً ووجد محل المقام دثر ولا يعرف مكانه ، فسأل عن موضع المقام المطلب بن وداعه السهمي ، وبعد أن تثبت رضي الله عنه من موقعه أعاده مكانه ، وعمل ردم بأعلى مكة بناه بالضفائر والصخر العظام وكبسه صوناً للمسجد [2] ، وبالإضافة إلى ذلك بنى ابن الزبير أيضاً ردم بقعيقعان عند السويقة للحماية من أخطار السيول[3]، كما شيَد الحجاج بن يوسف الثقفي ثلاثة سدود بمكة المكرمة ، الغرض منها حجر الماء والاستفادة منه ولحماية مكة والبيت الحرام من اجتياح السيول وأكبر هذه السداد يسمى " أثال " يسكب مائه في صدر وادي مكة [4]، وعندما بلغ الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان نباء السيل الذي اجتاح مكة المكرمة سنة ٨٠هـ ، وهلك كثير من الحجاج وهدم الدور على الناس فزع الخليفة وأرسل إلى عامله على مكة مال لإصلاح ما خربته السيول

وأمره بعمل ضفائر حول المسجد الحرام والدور التي تشرع على الوادي من حوله لحمياتها من السيول ، وردوم على السكك (سكة الحزامية وردم بني جمح)[5]، كما قام الخليفة العباسي المأمون عندما بلغه خبر السيل الذي اجتاح مكة المكرمة سنة ٢٠٨هـ بإرسال الأموال وإصلاح ما تخرب من المسجد الحرام ، وعزق وادي مكة[6]، وأمر الخليفة المتوكل على الله ببناء ضفيرة في منى بالحجارة والنورة والرماد لحماية المسجد الحرام ودار الامارة من أخطار السيول[7] .

الاهتمام بتنظيم شئون الحج :

عني الخلفاء المسلمين بالاهتمام بشئون الحج ورعايته ، فقاموا بتولي إمارة الحج بأنفسهم مثل الخليفة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله

---

[1] - أم نهشل بنت عبيدة ابن سعيد بن العاص بن أمية ، قتل أبوها ببدر ، وكانت هي بمكة غرقت في السيل الذي حدث في خلافة عمر بن الخطاب .
انظر : ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٨، ص٤٨٤

[2] - الازرقي : أخبار مكة ،ج ٢ ، ص٧٥٨ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص٨، الجزيري : الدرر الفرائد المنظمة ، ج١ ، ص٤١٧، باشا : (أيوب صبري ١٢٩٠هـ) ، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب ، دار الآفاق ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ج٢ ، ص٥٣٠ ، ٥٣١ ، الصباغ : تحصيل المرام ، ج٢ ، ص٨٤٨ ، فيروزي : هاني ماجد ، ملامح من تاريخ مكة المكرمة ، دار العلم ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٩م ، ج١، ص٩٠ .

[3] - الازرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٣٧ .

[4] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤ ، ص١٢٠.

[5] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٥٨ ، ٧٦٠ .

[6] - الازرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٦٢ ، ٧٦٣.

[7] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٤١٩، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٣٠٨.

عنهم ، و الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وعبد الملك بن مروان وسليمان بن عبد الملك ، وسليمان وهشام أبناء عبد الملك بن مروان ، والخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، ومحمد المهدي ، وهارون الرشيد ، وحينما كانوا يتخلفون عن قيادة الحجاج فإنهم يكلفون أبنائهم أو ولاة مكة أو غيرهم من كبار رجال الدولة بتولي إمرة الحج وتدبير شئونه وتقديم التسهيلات والخدمات اللازمة للحجاج ، والخدمات اللازمة بالطرق أيضاً من حيث وضع الأميال وحفر الآبار واقامة البرك وبناء القصور وازالة العقبات وانارة الطريق .

ويعد توفير الطعام والشراب من أفضل الخدمات المقدمة للحجيج ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مهتماً بسقاية واطعام الحجاج ، فأقر عمه العباس[1] بعد فتح مكة على السقاية[2]، وذلك عندما رخص له الرسول صلى الله عليه وسلم بترك المبيت بمنى ، لكونه قائماً على سقاية الحجاج ، " فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : "استأذن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له "[3]، فسقاية الحجاج في بلد تفتقر الى الماء أمر في غاية الأهمية ، ففي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال: أن الرسول صلى الله عليه وسلم .قال : " ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية من دمٍ أو مالٍ تذكر وتدعى تحت قدمي ، إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت "[4]، كما اهتم عليه الصلاة والسلام بإصلاح وتجديد الآبار التي حفرت في العصر الجاهلي ،

---

[1] - العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين .
أنظر : ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ،ج٣، ص٥١١.

[2] - السقاية هي سقاية الحجاج الماء العذب ، وكان الماء على عهد قصي بن كلاب يجلب من الآبار الموجودة خارج مكة ، ويوضع في حياض من أدم بفناء الكعبة ، وبعد وفاته تولى الأمر من بعده ابنه عبد مناف ثم وليها ابنه هاشم ثم المطلب ثم عبد المطلب الذي أعاد حفر بئر زمزم ، وكان ينقل الماء الى تلك الأحواض ويقذف فيه التمر والزبيب ، وظل على ذلك الحال إلى أن آل أمر السقاية الى ابنه العباس .
أنظر : الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص١٧٧- ١٨٣، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص١١٦ ، السنجاري : منائح الكرم ، ج١ ، ص٣٩٠ ، ٣٩١ ، يوسف أحمد : المحمل والحج ، ج١ ، ص٩٣ ، ٩٤ .

[3] - البخاري : صحيح البخاري ، ج٢، ص١٥٥، حديث رقم ١٦٣٤، مسلم : صحيح مسلم ، ج٢، ص٩٥٣، حديث رقم ١٣١٥.

[4] - أبي داود : (أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي ت٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ج٤ ، ص١٩٥ ، حديث رقم ٤٥٨٨.

فقد أشرف عتاب بن أسيد[1] والي مكة على ذلك ، فعندما حج الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع استقى الحجاج من بئر السقيا والركايا في عرفات[2]، ولم تقتصر عناية الرسول عليه الصلاة والسلام على توفير الماء للحجاج فحسب ، وإنما شملت هذه العناية إطعام الحجاج في أيام موسم الحج حتى يرجعوا إلى بلادهم وهي ما يعرف ب "الرفادة "[3] ، فعمل أبوبكر الصديق رضي الله عنه بالمال الذي أرسله له النبي عليه الصلاة والسلام طعاماً لحجاج وذلك عند تأميره على الحج في السنة التاسعة من الهجرة [4]، واستمر الصديق رضي الله عنه يعمل الطعام للحجاج حتى وفاته[5].

ورغم قصر مدة خلافة أبوبكر الصديق رضي الله عنه (١١- ١٣هـ) وانشغاله بترتيب أمور الدولة بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قام بحفر بئر

---

[1] - عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي كان شجاعاً عاقلاً استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مكة عام الفتح في خروجه إلى حنين فحج بالناس سنة ٨هـ وحج المشركون على ما كانوا عليه فلم يزل على مكة حتى قبض الرسول صلى الله عليه وسلم واقره أبوبكر الصديق .
انظر : ابن ناصر الدين الدمشقي : (محمد بن عبدالله أبي بكر بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي ت٨٤٢هـ) ، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواه وانسابهم والقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣هـ ، ج٥، ص٢٨٢ ، ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، ج٧، ص٨٩، الزركلي : الاعلام ، ج٤ ،ص١٩٩.

[2] - مالكي : مرافق الحج ، ص٩٥ .

[3] - كانت قريش يخرجون في كل عام خرجاً يدفعونه إلي قصي ، لكي يصنع به طعاماً للحجاج ، وبعد وفاته تولى عبد مناف بن قصي أمر الرفادة ، وانتقلت بعد وفاته الى ابنه هاشم بن عبد مناف وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة ، ولذلك سمي هاشم لهشمه الخبز ثم انتقلت إلى أخيه المطلب بن عبد مناف ثم ولي بعده عبد المطلب بن هاشم ، وانتقلت بعد وفاته الي ابنه أبي طالب ثم إلى العباس .
أنظر : ابن حبيب : المنمق في أخبار قريش ، ص١٩٠ ، الازرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص١٧٧- ١٨٠ السهيلي : الروض الانف ، ج٢ ، ص٤١، السنجاري : منائح الكرم ، ج١، ص٣٩١- ٤٠٣ ، يوسف أحمد : المحمل والحج ، ج١ ،ص٩٤.

[4] - الازرقي : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٨٠ ، الجزيري : الدرر الفرائد المنظمة ، ج١ ، ص٤١٥ ، الردادي : سعد بن عودة ، أمن الحج قبل العهد السعودي ، دار المآثر ، المدينة المنورة ، ط١ ، ٢٠٠١ م، ص٤٥.

[5] - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف، ص١١٦.

الياقوتة بمنى[1]، وأمر بإصلاح وتجديد بعض الآبار كبئر السقيا وبئر الركايا والياقوتة[2].

ومع تزايد أعداد الحجاج أصبح إكرامهم وذلك بتوفير الطعام والشراب لهم والقيام بخدمتهم ضرورة اساسية ، لذلك اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه داراً ليعين الحاج والمنقطع، أطلق عليها " دار الدقيق " جعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه الحاج[3]، وخصص معاوية بن أبي سفيان أيضاً دار المراجل لإعداد طعام الحجاج والفقراء في شهر رمضان[4] ، وأجرى العيون بمكة[5] ، كما حفر ابن الزبير بئراً في قعيقعان[6]، وبئراً في الطريق بين مكة والمدينة عند النقيع[7]، وبئر السقيا عند مأزمي عرفة[8]، وكلف الخليفة الوليد بن عبد الملك عامله على مكة خالد القسري بحفر بئرين في ثنية طوى وثنية الحجون ، وكان ينقل ماؤها في أحواض من أدم إلى المسجد الحرام [9]، وحرص الخليفة سليمان بن عبد الملك على توفير الماء في مكة المكرمة فأمر عامله خالد القسري بإنشاء عين تخرج من الثقبة ، يظهر مائها بين زمزم والركن الأسود ، فعمل البركة وانبط مائها وبنى لها سداً ، ثم شق من هذه البركة عين تجري إلى المسجد الحرام ، فظهرت على شكل فوارة يصب مائها في حوض من رخام بين زمزم والركن والمقام[10]، وقام هشام بن عبد الملك في فترة خلافته سنة ١٠٥ هـ بسقاية الحجاج في موسم الحج شراب من أسوقة محلاة ومحمضة في فسطاط[11] على المروة [12].

---

[1] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٨٤٧ ، الردادي : أمن الحج ، ص٥٦ ، غباشي : عادل محمد نور عبد الله ، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني ، مطابع جامعة الملك عبد العزيز ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص٦٨ .

[2] - مالكي : مرافق الحج ، ص٩٥، الردادي : المرجع السابق ، ص٥٦ .

[3] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٣ ،ص ٢١٤.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٤، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٧.

[5] - الازرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٠- ٨٥٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٢١- ١٢٨.

[6] - الازرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ٨٨٧.

[7] - الحربي : ابو إسحاق إبراهيم بن ديسيم الحربي ، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق : حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨١م ، ص٣٤٠ .

[8] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٩٣٦.

[9] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٤٠ .

[10] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص ٦٤٧ ، ٦٤٨.

[11] - الفسطاط : بيت من شعر ، وجمعها فساطيط ، ، الجوهري : الصحاح ، ج٣ ، ص١١٥ ، ابن منظور : لسان العرب ، ج٧ ،ص٣٧١ .

[12] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢ ،ص٨٨٢ .

وأهتم الخليفة العباسي هارون الرشيد بالعيون التي اجراها معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه فأحياها وصرفها في عين واحدة يقال لها "الرشا" وذلك بعد انقطاع تلك العيون ، ثمّ سيّر مياه هذه العيون إلى بركته في المعلاة وعند المسجد الحرام [1] ، وعمل على توفير المياه فحفر الآبار والبرك فكانت له بركتان مربعتان الشكل في الغمرة ، وبركة في الروحاء [2] ، وبئر في السيّالة في الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة [3] ، وكان للسيدة زبيدة زوجته جهوداً عظيمة في توفير الراحة لحجاج بيت الله الحرام ، فعندما علمت بمعاناة مكة المكرمة من قلة المياه ومعاناة أهلها وتحملهم المشاق في سبيل حصولهم على الماء إلى جانب ارتفاع أسعارها ، أمرت في سنة ١٩٤هـ ببناء بركة بمكة المكرمة ، فأجرت لها عيناً من الحرم ، ولكن لم يفي هذا الماء باحتياجات أهل مكة المكرمة ، فأمرت حينئذٍ المهندسين بجلب مياه العيون من خارج حدود مكة المكرمة ، وبعثت إليهم أموالاً عظيمه لإصلاح عينها الأولى ، فقاموا بإيصال منابع الماء من الجبال ، ثم جلبوا عيوناً أخرى منها : عين حنين ولكن أبطلوها وجعلوها سداً تجتمع فيه السيول ، وأجروا لها عيوناً وجلبوا بذلك المياه الى مكة المكرمة عبر قنوات وغذوا القنوات بمجموعة من الروافد منها عين المشاش ، بالإضافة الى حفرها الآبار في منى [4] .

هذا وقد واصل الخلفاء العباسيين جهودهم في حل مشكلة نقص المياه التي كانت مكة المكرمة تعاني منها ، فحين تولي الخليفة المعتز الخلافة سنة ٢٥٢هـ أرسل الأموال الى واليه بمكة المكرمة لإصلاح عين حنين وقنواتها ، كما اتخذ المعتمد على الله ثلاثمائة من الحراس لحراسة عين حنين ليلاً ونهاراً [5] .

وبلغ من اهتمام المتوكل بمكة المكرمة حرصه على توفير المياه بها ، فعندما غارت مياه عين المشاش عين زبيدة وقلَ ماؤها ارتفعت أسعار المياه بمكة المكرمة حتى وصل سعر القربة ثمانين درهماً ، فأرسل الخليفة المتوكل الأموال لإصلاحها [6] ، وأمر في سنة ٢٤٦هـ بإجراء الماء من عرفات الى مكة المكرمة .

---

[1] - الازرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨٥٤ .
[2] - العلي : صالح أحمد ، منازل الطريق بين المدينة ومكة ، مجلة الدارة ، ع٨، ١٣٩٧هـ ، ص٣٠ .
[3] - العلي : المرجع السابق ، ص٢٨ .
[4] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٨٥٥، ٨٥٦ ، اليعقوبي : أحمد بن اسحاق ، مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق : وليام ملوّر ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٢م ، ص٢٦.
[5] - القدحات : محمد بن عبد الله ، جهود الخلافة العباسية ، ص١٣١.
[6] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣٨٢ .

وقد اهتم الخلفاء بتوفير السكن لحجاج بيت الله ، فنهى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل مكة أن يغلقوا أبوابهم في أيام موسم الحج لإقامة الحجاج بها ، . فعن مجاهدٍ رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " يا أهل مكة لا تبوبوا على دوركم لينزل البادي حيث شاء "[1] ، وأمر بهدم داره بين الصفا والمروة للتوسعة على الحجاج فجعلها رحبة ومناخاً للحاج ، واتخذت تلك الرحبة مقاعد يبيعون فيها ويضعون متاعهم فيها ، ثم صارت خياماً بالجريد[2] والسعف ، ثم بنيت باللبن النيء والآجر ، فصارت بيوتاً صغيرة[3] ، كما أمر رضي الله عنه أبو سفيان بن حرب[4] بهدم الدكان الذي أحدثه في طريق الحاج في المعلاة وذلك لراحة الحجاج وتسهيل أداء مناسكهم بكل يسر وسهوله[5] ، وتصدق عمر بن عبد العزيز عندما كان اميراً للحج في خلافة سليمان بداره التي اشتراها من بني الحارث بن عبد مناف على الحجاج والمعتمرين وكتب بذلك كتاباً ، وأشهد عليه شهوداً ، ووضعه عند الحجبة في خزانة الكعبة [6]، كما نهى عن كراء بيوت مكة وعن البناء بمنى[7]، ولعل السبب في ذلك يعود لئلا تضايق هذه الأبنية طرقات الناس في موسم الحج .

---

[1] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣ ، ص٢٤٥ .

[2] - الجريد : جمع جريدة ، وهو الخوص والجردان وهو الذي يجرد عنه الخوص ، ولا يسمى جريداً مادام عليه الخوص وإنما يسمى سعفاً .
انظر: ابن منظور : لسان العرب ، ج٣ ، ص١١٩، الزبيدي : تاج العروس ، ج٧، ص٤٩٢.

[3] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٩٠٣ ،٩٠٤ ، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢ ، ص٨٣، الردادي : أمن الحج ، ص٥٦ .

[4] - أبو سفيان صخر بن حرب بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن النضر بن كنانه ، والد معاوية بن أبي سفيان ، أسلم يوم فتح مكة ، وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة حنين وأعطاه الرسول من غنائمها مائة بعير واربعين أوقيه، وأعطى ابنيه يزيد ومعاويه ، توفي سنة إحدى وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وعمره ثمانيه وثمانين سنه .
انظر : البغوي : (أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاة ت٣١٧هـ) ، معجم الصحابة ، تحقيق : محمد الامين ، مكتبة دار البيان ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ج٣ ، ص٣٥٢ ، ابن حبان : (محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي الدرامي البستي ت٣٥٤هـ) ، الثقات ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،ط١، ١٩٧٣م، ج٣ ، ص١٩٣، ابن عبد البر : (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري ت٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق : علي البجاوي ، دار الجبيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ج٢ ، ص٧١٤ ،٧١٥ .

[5] - الازرقي : أخبار مكة ،ج٢ ، ص٨٦١.

[6] - الازرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨٦٩ ، ٨٧٠ .

[7] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج٥، ص٢٨٢.

ولقيت طرق الحج عناية فائقة من قبل الخلفاء المسلمين والأمراء والأعيان ، ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أذن لأهل المياه بإنشاء منازل في الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ليتمكن الحاج والمارة من النزول بها في أثناء سفرهم ، ولكنه شرط رضي الله عنه عليهم بأحقية الحاج وابن السبيل في الظل والماء[١] ، كما أمر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عامله على مكة عمر بن عبد العزيز بتسهيل الثنايا[٢] وبناء الأميال[٣] في الطرق لإرشاد المسافرين[٤] وتوزيع الأموال والدقيق على سكان القرى في طريق الحج الشامي [٥]، وحفر الآبار في هذا الطريق أيضاً[٦].

ورغم انشغال أبو العباس السفاح أول خلفاء الدولة العباسية بوضع دعائم الدولة ، وقصر مدة خلافته من (١٣٢- ١٣٦هـ)إلا أنه اهتم بطرق الحج ، حيث قام ببعض الإصلاحات في الطريق بين الكوفة ومكة ، فوضع الأميال للاستدلال على الطريق ، وضرب المنار[٧]، وإلى جانب ذلك اهتم الخليفة أبو جعفر المنصور بالطريق بين الكوفة ومكة ، وذلك لراحة الحجاج حيث حفر الآبار فيه ، حفر بئراً في الثعلبية عند المسجد وبئر في العسيلة ، وبنى البرك منها بركة في الخزيمة وحوض [٨]وبركة تعرف ب " القيصوم " [٩]،وبركة بوادي البعث تعرف ببركة امير المؤمنين [١٠]،

---

[١] ـ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص٤٣ ، الجزيري : الدرر الفرائد المنظمة ، ج١ ،ص٤١٧ ، الردادي : أمن الحج ، ص ٥٦.

[٢] ـ الثنايا : هي العقاب ، وهي جبال طوال بعرض الطريق ، وكل عقبة مسلوكة ثنية ، والثنية من الجبل ما يحتاج في قطعه وسلوكه الى صعودٍ وحدور فكأنه يثني في السير .
أنظر : الازهري : تهذيب اللغة ، ج١٥ ، ص١٠٢ ، الزبيدي : تاج العروس ،ج ٣٧ ،ص٢٩٤.

[٣] ـ الأميال : هي منار تبنى للمسافرين في أنحاء الارض ، وهي الاعلام المبنية في طريق مكة المشرفة لهداية المسافرين ، والميل مسافه من الارض متراخيه بلا حد معين ، وقيل الميل ، أربعة الاف ذراع طولها أربعه وعشرون اصبعا ، وقيل أربعة الاف خطوه ، كل خطوه ثلاثة أقدام بوضع قدم أمام قدم ويلصق به .
أنظر : الزبيدي : المرجع السابق ، ج٣٠ ، ص٤٣٦ .

[٤] ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٣٧ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ج٣ ، ص٤- ١٢ .

[٥] ـ طراوة : حجازي حسن علي ، مظاهر الاهتمام والحرمين الشريفين في العصر الاموي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ص١٧٨.

[٦] ـ مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج٣ ، ص١٢.

[٧] ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٤٦٥ .

[٨] ـ الحربي : المناسك ، ص ٢٩٤- ٣٠٠ .

[٩] ـ الحربي : المصدر السابق، ص٢٨٥ .

[١٠] ـ الحربي : المصدر السابق ، ص٣٤٣ .

وبركة في المسلح [1]، وحفر عين الحارة بفيد وسط الحصن والسوق [2]، بالإضافة الى بناء القصور فقد بنى القصر العتيق بالخزيمة [3]، وقصراً آخر بالخضراء ومسجد وبئر [4].

وفي سنة ١٦١هـ اهتم الخليفة العباسي محمد المهدي بعمارة طريق مكة المكرمة حيث عمل على تزويده بالمنافع والمرافق المتعددة ، وذلك حرصاً منه على راحة الحجاج أثناء تنقلهم من العراق الى مكة المكرمة ، فبنى القصور وجدد الأميال وحفر الآبار والبرك وأمر بنزع المقاصير [5] من مساجد الجماعات وتقصير المنابر وتصييرها إلى المقدار الذي عليه منبر الرسول صلى الله عليه وسلم [6] ، كما أمر في سنة ١٦٦هـ بإقامة البريد بين مكة المكرمة والمدينة المنورة واليمن ، مستخدماً البغال والإبل لهذا الغرض [7]، وبذلك يكون سهَل الاتصال بين هذه المدن ، وبفضل تلك الخدمات التي قدمها المهدي أصبح الطريق ميسراً ، حتى صار الثلج ينقل اليه من العراق إلى مكة المكرمة فكان بذلك أول من حمل له الثلج من الخلفاء إلى مكة[8].

واعتنى الرشيد كذلك بطرق الحج " طريق الحاج العراقي " فبنى القصور والحصون ، ووضع الأميال في الطريق ، وأصلح العقبات ، وعمل على تمهيد الأماكن الجبلية الوعرة ، بالإضافة إلى أنه خصص والٍ للإشراف على أعمال الإصلاح والبناء والترميم [9]، وبنى المصانع والثغور ودور للمرابطين في طريق مكة المكرمة [10] ، كما أقامت السيدة زبيدة زوجته الكثير من المصانع والبرك

---

[1] - الحربي : المصدر السابق ، ص٣٤٤ .
[2] - الحربي : المصدر السابق ، ص٣٠٩ .
[3] - الحربي : المصدر السابق ، ص٣٠٠ .
[4] - الحربي : المصدر السابق ، ص٣٣٢.
[5] - المقاصير : جمع مقصورة وهي المحاريب ونحوها .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٢ ، ص٤٣٩ ، الزبيدي : تاج العروس ، ج٦ ، ص٣٧١.
[6] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٨،ص١٣٦.
[7] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص١٦٢ .
[8] - ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص٢٣٩.
[9] - الردادي : أمن الحج ، ص١٠٩ .
[10] - اليعقوبي : مشاكلة الناس لزمانهم ، ص٢٤ ، ٢٥ .

والآبار والمنازل في الطريق من مكة المكرمة الى بغداد [1]، واشترت دار الأرقم وأوقفته وأمرت خادمها ياسر بإنشاء ميضآت على باب أجياد الكبير [2] .

[1] - ابن جبير : (محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ت ٦١٤هـ) ، رحلة ابن جبير ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م، ص١٤٢ .
[2] - السباعي : تأريخ مكة ،ج١ ،٢ ، ص١٥٧ .

المبحث الرابع

تطور الأوضاع الاقتصادية بمكة المكرمة

عوامل التطور الاقتصادي :

- حظيت مكة المكرمة بمكانة اقتصادية مرموقة ، فقد كان لموقعها دوراً هاماً في تطور الحياة الاقتصادية بها ، فبلاد الحجاز تقع في غربي شبه الجزيرة العربية ، وهي تمتد مسافة طويلة على ساحل البحر الأحمر ، وتتصل شمالاً حتى تعانق بلاد الشام ، كما تتصل جنوباً باليمن ، وتتصل براً وبحراً بمصر[1] ، وبذلك أصبحت مكة المكرمة ملتقى القوافل التجارية القادمة من الشام واليمن ، حيث كانت تتزود منها بالماء والمؤن والبضائع ومن ثم تواصل سيرها إلى بلادها شمالاً أو جنوباً[2] .

كما أن موقعها في وسط طريق التجارة البري المار بالحجاز ساعدها في السيطرة على زمام التجارة وجعلها بعيدة عن منطقة الصراع القائم بين الفرس والروم ، فبقي الطريق الوحيد الآمن ، فنجت بذلك مما أصاب غيرها من أطراف شبه الجزيرة العربية التي وقعت في مجال الحرب بينهم[3] .

وبعد ظهور الإسلام تعرضت مكة المكرمة لضغوط اقتصادية ، نتيجةً للحصار الاقتصادي الذي فرض على طرق تجارة قريش "الشام واليمن " مما اضطرهم إلى البحث عن طريق آخر غير الطريق الذي كانوا يسلكونه إلى الشام ، فسلكوا طريق العراق[4] .

وقد بدأت بعد ذلك الأوضاع الاقتصادية تتحسن بعد فتح الرسول عليه الصلاة والسلام مكة المكرمة في العام الثامن من الهجرة ، حيث نظم الإسلام المعاملات التجارية وبسط الأمن فيها ، كما أعاد تنظيم المعاملات التجارية والمالية وفق أحكام الشريعة الإسلامية .

---

[1] ـ مالكي : سليمان عبد الغني ، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٩٨٣م، ص٨٧ ، ضيف الله الزهراني وعادل غباشي : تاريخ مكة التجاري ، الغرفة التجارية الصناعية ، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٨م، ص٧.
Angawi: sami mohsin ,thesis submitted for the degree ,of ph. D. ,university of London ,1988, p.1

[2] ـ مالكي : بلاد الحجاز ، ص٨٨، الهمزاني : بندر محمد رشيد ، علاقات مكة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، رسالة ماجستير ،غير مطبوعة ، مكة المكرمة ، ١٩٨٩م ، ص٢٥٤.

[3] ـ أبو الفضل : مكة في عصر ما قبل الإسلام ، ص١٣٥ ، ضيف الله الزهراني وعادل غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص١٣.

[4] ـ ضيف الله الزهراني وعادل غباشي : المرجع السابق ، ص١٦ ، ١٧، خطاب : محمود شيث ، الرسول القائد ، دار الفكر ، بيروت ، ط٦، ١٤٢٢هـ ، ص١٦٤ .

- وكان لعلو المكانة الدينية لمكة المكرمة في الإسلام ، وفريضة الحج أكبر الأثر في انتعاش الحياة الاقتصادية بها ، فقد أتاحت فريضة الحج الفرصة للخلفاء للاطلاع على أحوال مكة المكرمة والتنافس على تقديم أفضل الخدمات لحجاج بيت الله الحرام طوال مدة إقامتهم ، وذلك من خلال الإنفاق على إسكان الحجاج وتوفير الطعام والشراب لهم ، وإقامة المشاريع العمرانية بمكة - خاصة ما يتعلق بتوسعة المسجد الحرام ، وإصلاح الطرق -[١] .

كما أسهم الوافدين من حجاج بيت الله الحرام في تنشيط الحركة الاقتصادية والعقارية ، فيزداد البيع والشراء في الأسواق ، وتكثر وتتنوع السلع ، ويزداد الطلب على المساكن[٢] .

- كثرة الفتوحات الإسلامية التي بدأت منذ عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي حارب المرتدين والممتنعين عن أداء الزكاة ، واستمرت الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما[٣]، ففتحت بلاد فارس والعراق وبلاد الشام وكذلك شمال إفريقيا ، وزادت الغنائم وأصبحت الأموال تتدفق على المسلمين من هذه المدن ،خصوصاً بعد الانتصارات التي حققوها على الفرس وامتلاكهم كنوزها[٤]، ففاض المال بأيدي المسلمين وتضخمت الثروات ، وواصل المسلمون فتوحاتهم فبلغت مشارف الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً .

ولاشك في أن هذه الفتوحات أسهمت في تطور الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة ، وذلك عندما اتسعت الدولة الإسلامية وزادت الموارد المالية للدولة وكثرت الخيرات وتعددت أوجه الإنفاق ، كان لابد من إحصاء هذه الموارد وضبطها ، وتنظيم مصروفاتها ، ومن ثم توزيعها بين الناس ، والقيام بجميع مصالح المسلمين ، من إنشاء وصيانة المرافق ، والقيام بالمشروعات كإصلاح وترميم المساجد ، وإنشاء

---

[١] - الجميح : إبراهيم عبد العزيز ، مظاهر النشاط الاقتصادي في مواسم الحج في العصر الأموي ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جدة ، ١٩٩٤م ، م٧ ، ص١٧٨ – ١٨٢ .

[٢] - البدر شيني : أحمد هاشم أحمد ، مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ، الجميح : مظاهر النشاط الاقتصادي، ص١٤٩ .

[٣] - ضيف الله الزهراني وعادل غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص ١٩ .

[٤] - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٦٤م ، ج١ ، ص٢٢١.

السدود والأسواق وحفر الترع والقنوات ، والنفقة على السجون وأسرى المشركين ، وشراء المعدات الحربية [١] .

لذلك جمعت كل تلك الموارد المالية في بيت المال ، فكان العطاء أهم مصروفات بيت المال ، وهو مقدار مقررٌ من المال تصرفه الدولة سنوياً لمعظم السكان ، وكان في ذلك الوقت يشكل المصدر الرئيسي للناس في معاشهم ، ويعتمد مقدار العطاء على الوضع المالي والاقتصادي للدولة ، ففي عهد الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن مقدار العطاء ثابتاً ، لأن موارد الدولة كانت محدودة وتوزع في وقتها [٢] ، أما في خلافة أبوبكر الصديق رضي الله عنه فإن توزيع العطاء كان على التسوية بين الناس دون النظر إلى تفاضلهم في السابقة إلى الإسلام والجهاد [٣] .

ونظم عمر بن الخطاب رضي الله عنه شؤون دولته بنظم الأقاليم المفتوحة ، فدون الدواوين لإحصاء الأموال ، وتدرج في العطاء بين الناس بحسب السبق في الإسلام والقرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم [٤] ، أما عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد زاد عطاء الجنود بمقدار مائة درهم لكل واحدٍ منهم [٥] ، واتخذ الخزائن نتيجةً لكثرة الأموال في عهده [٦] .

---

[١] - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٢٨٩

[٢] - العلي : صالح أحمد ، الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحواله العمرانية والإدارية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص٣٧٩.

[٣] - أبو يوسف : (يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري ت١٨٢هـ) ، الخراج ، تحقيق : طه سعد ،سعد محمد ،المكتبة الأزهرية للتراث ، ص٥٣ ، العلي : صالح أحمد ، العطاء في الحجاز تطور تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م٢٠ ، ١٩٧٠م ، ص٣٧ .

[٤] - إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ، ففرض لأهل السوابق والقدم من المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً خمسة الاف خمسة الاف ، ولمن لم يشهد بدراً أربعة الافٍ أربعة الافٍ ، وفرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدرٍ دون ذلك ، أنزلهم على قدر منازلهم من السوابق ".
أبو يوسف : المصدرُ السابق ، ص٥٣ ، ابن طباطبا : الفخري ، ص٥٨.

[٥] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص١٦٦.

[٦] - السيوطي : (عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص١٢٣ ، العلي : العطاء في الحجاز ، ص٥٣ .

واستمر العطاء في العهد الأموي وكانت الأموال توزع على مستحقيها بواسطة "العرفاء " إذ كان يخصص لكل قبيلة "عريف " يتولى مسؤولية توزيع تلك الأعطيات وفق قوائم الأسماء المثبتة في الديوان[١] .

فعندما حج معاوية بن أبي سفيان أخرج لكل قبيلة أعطياتها المخصصة لها[٢] ، وفرض العطاء للأحابيش[٣] والوليد بعد الفطام ، وكان مقدار العطاء ألفي درهم ، كما أنه فرض لكل واحدٍ من الموالي خمسة عشر درهماً[٤] ، كما أمر عبد الملك بن مروان للناس بالعطاء في إحدى السنوات التي حج فيها[٥] ، وفرض سليمان بن عبد الملك عندما حج سنة ٩٧هـ لقريش وحلفائهم ومواليهم أربعة الاف فريضة[٦] ، أما بالنسبة لسياسة عمر بن عبد العزيز في توزيع المال فكانت تهدف الى إقامة العدل والتوازن وعدم تضخم المال وانحساره في أيدي التجار ، لذلك لم يفرض العطاء للتجار لأن لديهم من الموارد ما يكفيهم عن العطاء[٧] ، فقد ساوى رضي الله عنه العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء[٨] ، كما أنه فرض للمواليد العطاء . فقال : "ارفعوا كل منفوس نفرض له "[٩] ، ولكن كان مقدار عطاء المواليد يختلف عن عطاء المقاتلين ، وقد حدد سن العطاء لمن بلغ خمسة عشر سنة ، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله " أن يفرضوا لابن خمسة عشرة ويلحقوا ما دون ذلك في العيال "[١٠] ، وشمل العطاء في عهد هشام بن عبد الملك المسنين فقد طلب رجلَ من الأنصار من بني حارثة من هشام أن يفرض له ويسجل في الديوان ، فقال هشام ." والله لا أفرض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة "[١١] .

---

[١] - الزبيري : :(أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ت٢٣٦هـ)، نسب قريش ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ص١٥٤، العلي : العطاء في الحجاز ، ص٥٢ .

[٢] - السيف : عبد الله محمد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، ١٩٨٣م، ص١٨٦.

[٣] - العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٣٩٩.

[٤] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص١٩١- ١٩٣ .

[٥] - ابن بكار : (الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي ت٢٥٦هـ) ، الأخبار الموفقيات ، تحقيق : سامي العاني ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٦م ، ص٢١٧.

[٦] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٨٨ ، العلي : العطاء في الحجاز ، ص٥٧.

[٧] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٦٦ ، العلي : العطاء في الحجاز ، ص٦٠، ٦١.

[٨] - العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٤١٨ .

[٩] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٦٧.

[١٠] - ابن سعد : المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٠٧.

[١١] - العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٤١٠.

كما حرص الخلفاء العباسيين على التقرب من أهل الحجاز وتوزيع الأعطيات عليهم ، فعندما حج أبو جعفر المنصور أعطى أشراف القرشيين ألف دينار ، وأعطى قواعد قريش صحاف الذهب والفضة [1] ، كما أمر الخليفة المهدي بحفر نهر الصلة وإحياء ما عليه من الأرضين ووقف كامل غلته على نفقات الحرمين [2] ، وعندما حج سنة ١٦٠ هـ قام بتوزيع الأعطيات على أهل مكة المكرمة ، ويبدو أن مقدار تلك الأعطيات لم يكن متساوياً كما وصفت ذلك الرواية الواردة التي رواها الزبير عن يحي بن محمد والتي اتضح من خلالها أن النصيب الأكبر من تلك الأعطيات كان لبني هاشم يليهم قريش ثم الأنصار ثم الموالي [3] .

وحرص الخليفة هارون الرشيد على بذل المال فقد ذكر الطبري أنه وزع على أهل مكة عطاءً كثيراً سنة ١٧٠ هـ ولكن لم يذكر مقدار تلك الأعطيات [4] ،وبلغ عطاءه في إحدى السنوات التي حج فيها مليوناً ونصف المليون دينار [5] ، وأرسل الخليفة المعتصم إلى وزيره أحمد بن عمار البصري خمسة وعشرين ألف دينار ليوزع على أهل مكة فسمي ذلك بعام ابن عمار [6] .

كما كان الخليفة الواثق بالله كثير الإحسان على أهل الحرمين حتى قيل أنه لم يبق في أيامه سائل [7] ، وأمر الخليفة المتوكل على الله محمد بن عبد الله بن طاهر حين حج أن يوزع مائة ألف دينار على أهل مكة [8] ، وأوقف الخليفة المقتدر بالله العباسي عدداً من الضياع القريبة من العاصمة ومنطقة السواد للنفقة على شؤون الحرمين وأهله وخصص لذلك مبلغاً سنوياً قدر ب ٣٥١٤٢٦ دينار ، وأنفق القاهر خمسمائة ألف دينار على الحرمين والثغور [9] .

وإلى جانب العطاء تحمل الديوان مسؤولية الإنفاق على المنشآت والمرافق العامة ، كإصلاح وتوسيع المسجد الحرام والزيادة فيه ، وحفر الآبار وشق الطرق وإقامة

---

[1] ـ الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش ، ص٣٠٣ ، العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٤١١ .

[2] ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٨٥ .

[3] ـ الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش ، ص١١١.

[4] ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٣٤ ، ابن فهد : إتحاف الورى، ج٢ ، ص٢٢٢.

[5] ـ السباعي : تأريخ مكة ، ج١ ،٢ ، ص١٥١ .

[6] ـ الزمخشري : ربيع الأبرار ونصوص الأخيار،ج١ ، ص٧٣ .

[7] ـ القلقشندي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، ج١ ، ص٢٢٥ .

[8] ـ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج١١ ، ص٣٤١ ، بن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٣٢٢.

[9] ـ الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص٤٢٨ ، ٤٢٩.

السدود [1]، ولاشك أن ما أنفقه الخلفاء على هذه المشاريع خاصة ما يتعلق بعمارة المسجد الحرام دليل واضح على وجود السيولة النقدية ورؤوس الأموال اللازمة لإنجاز تلك المشاريع ، فشراء البيوت المجاورة للمسجد الحرام وهدمها وإدخال أرضها في المسجد الحرام للتوسعة ، وتعويض أصحاب هذه البيوت[2] ، كما فعل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم والخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ومحمد المهدي حين وسعوا المسجد الحرام ، وبناء الجدران والأبواب[3] والأروقة للمسجد الحرام وإنارته بالمصابيح[4] ، كل ذلك يعكس مدى تحسن الحالة الاقتصادية لمكة المكرمة .

وعندما احترقت كسوة الكعبة في عهد ابن الزبير ووهن بنائها بسبب محاصرة جيش يزيد بن معاوية ابن الزبير لامتناعه عن البيعة ورميهم الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت كسوتها[5] ، أرسل ابن الزبير أربعمائة دينار إلى صنعاء لشراء أجود وأحسن أنواع القصة[6] ، كما قام بنقل رخام يقال له " البلق " سقف به الكعبة [7]، وبعد انتهائه من البناء مسح داخل الكعبة بالمسك والعنبر ، وكان يبخرها كل يوم برطل من العود ، ويضاعفها إلى رطلين يوم الجمعة[8] ، كما قام بتحلية الكعبة بالذهب بعد أن كساها الديباج والقباطي [9] .

[1] ـ السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص١٩٩.
[2] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٥٩٣ .ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص٨- ١٩، الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة ، ج١، ص٤١٧، يوسف أحمد : المحمل والحج ، ج١ ، ص١٤٦ ، باشا : مرآة الحرمين ،ج١ ، ص٢٣٦ ، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٣٩ .
[3] ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٨٧ ، ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة ، ص١٥١ ، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٣٣٣،
[4] ـ يوسف أحمد : المحمل والحج ،ج١ ، ص١٤٦، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤١ ، الصباغ : المرجع السابق ، ج١ ، ص٣٣٤.
[5] ـ الازرقي : أخبار مكة ،ج١ ، ص٢٩٦، يوسف أحمد : المحمل والحج ، ج١ ، ص١٧٠ ، باشا : مرآة الحرمين ، ج١ ، ص٢٧١، عطار : الكعبة والكسوة ، ص١٤٢.
[6] ـ الأزرقي : المصدر السابق ،ج١، ص ٢٩٩، يوسف أحمد : المرجع السابق ،ج١ ، ص١٧١ ، باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص١١٧.
[7] ـ باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص١٢١.
[8] ـ السنجاري : منائح الكرم ، ج٢ ، ص٢٣، يوسف أحمد : المحمل والحج، ج١ ، ص١٧٢، باشا : مرآة الحرمين ،ج١ ، ص ٢٧٢، عطار : الكعبة والكسوة ، ص١٤٤ .
[9] ـ باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، ص ١٢٣.

وفي عهد عبد الملك بن مروان قام بتزيين أعمدة المسجد الحرام ، حيث أمر أن يجعل في رأس كل عامود خمسين مثقالاً من الذهب[1] ، وأرسل الوليد بن عبد الملك إلى واليه خالد القسري ستة وثلاثين ألف دينار لتزيين الكعبة المشرفة بالذهب[2] ، فصفح باب الكعبة والأعمدة التي بداخلها والميزاب بالذهب [3]، كما أنفق أبو جعفر المنصور الكثير من الأموال لتوسعة المسجد الحرام ، فرغَب أصحاب البيوت المجاورة المحيطة بالحرم بالأموال الوفيرة ، تعويضاً عن أملاكهم التي تركوها وهدم البيوت وضمها الى المسجد الحرام [4] .

ولم يدَخر الخليفة محمد المهدي جهداً أو مالاً إلا وبذله في سبيل تحقيق توسعة المسجد الحرام ومحيطه وإنجاح هذه الغاية ، ويبدو أن أسعار الأراضي المحيطة بالمسجد الحرام ارتفعت ، بدليل أنه بلغ إجمالي ما أنفقه المهدي على التوسعة الأولى للمسجد الحرام سنة ١٦٠هـ وشراء البيوت المجاورة له ثلاثين مليون وخمسمائة ألف دينار[5]، فقد اشترى دور الصدقات (الأربطة والأوقاف) التي كانت بين المسجد الحرام والمسعى مقابل تعويض أصحابها دوراً في ضواحي مكة المكرمة ، واشترى كل ذراع مكسراً في مثله مما دخل في المسجد الحرام بخمسة وعشرين ديناراً ، ومن تلك الدور الجزء المتبقي من دار الأزرق الذي أدخل ابن الزبير أكثره في المسجد الحرام بثمانية عشره ألف دينار ، وكذلك دار خيرة بنت سباع الخزاعية الشارعة على المسعى اشتراه بثلاثة وأربعين ألف دينار ،واشترى دار لآل جبير بن مطعم ودار شيبة بن عثمان فهدم تلك الدور وأدخلها في المسجد الحرام ، وتمت توسعة المسجد الحرام من جهته الشمالية والشرقية والغربية[6] .

وعندما حج المهدي سنة ١٦٤هـ لاحظ أن الكعبة المشرفة غير متوسطة ، وذلك لأن المسجد الحرام اتسع من جهاته الثلاثة الشمالية والشرقية والغربية ولم يتسع من جهته الجنوبية ، لأنها كانت مجرى سيل وادي إبراهيم وكان خلف المجرى بيوت فكره المهدي ذلك ، وشاور المهندسين فقالوا له : إن توسيط الكعبة لا يمكن أن يتم بسهولة ، إلا إذا اتسع المسجد الحرام من الجهة الجنوبية جهة مجرى الوادي ،

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٥٩٧،السنجاري : منائح الكرم ، ج٢ ،ص ٤٥ ، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤٥ ،

[2] - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص١١٩،السنجاري : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٥١ ، مطر: تاريخ عمارة الحرم المكي ، ص١٢٥ .

[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٥٩٨،إبن فهد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١١٩، باشا : مرآة الحرمين ، ج١، ص ٢٣٦ ، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤٨.

[4] - باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٥٠ ، مطر : المرجع السابق ، ص١٣٣.

[5] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١ ،٢ ، ص ١٦٠ ، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ٥٣.

[6] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٦٠٣، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٥٣.

فيدخل بذلك مجرى الوادي في المسجد الحرام وتهدم البيوت التي على حافة الوادي وينقل الوادي مكانها ، وحذروه من القيام بذلك المشروع لأنه سيكلفه مبالغ مالية كبيرة ، ولكنَ المهدي أصر على تنفيذ المشروع بقوله " لابد لي أن أوسعه حتى أوسط الكعبة في المسجد الحرام على كل حال ، ولو أنفقت ما في بيت الأموال "[1] .

وهذا بدوره يعكس لنا جدية التزام الخليفة المهدي بتوسعة المسجد الحرام وتسخير كل موارد الدولة في سبيل تحقيق هدفه وهو توسيط الكعبة المشرفة.

لقد كرَس الخلفاء جهودهم ومواردهم في سبيل توفير المياه بمكة دون النظر في النفقات التي تصرف على تمويل ودعم هذه المشاريع ، فها هي السيدة زبيدة رحمها الله تحملت الكثير من التكاليف المالية لإنفاذ مشروع إيصال الماء إلى مكة المكرمة، فقد بلغ إجمالي تكاليف هذا المشروع ألف وسبعمائة ألف مثقال ذهباً[2] ، حيث قامت رحمها الله بشراء عين في منطقة حنين كان منبع هذه العين " جبل طاد " وأجرت الماء إلى مكة المكرمة عبر قنوات ، ولم تكتفي بذلك بل قامت بإجراء عين تنبع من جبل كرا تصل إلى بئر مطوية تسمى " بئر زبيدة " عبر قنوات[3] .

لقد تمكنت السيدة زبيدة من تخطي الصعاب وتحقيق إنجاز مشروعها ، دون أن تطلع على المبالغ التي صرفت على مشروعها الخيري ، فعندما أحضر إليها العمال دفاتر الحساب لأجل الحساب قالت : " تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقي له عندنا شيء أعطيناه " وألبستهم الخلع الثمينة[4] ، وعندما بلغها أن أمير مكة صالح بن العباس استأذن الخليفة المأمون ببناء البرك في مواضع مختلفة بمكة سنة ٢١٠هـ ، وذلك لعدم وصول الماء من بركة زبيدة إلى بعض الأحياء فأذن له ببناء هذه البرك ، حزنت لذلك حزناً شديداً لأنها أرادت أن تكمل هذا العمل مهما بلغت التكاليف والجهد والوقت الذي يحتاجه هذا المشروع ، ولامت صالح بن العباس على ذلك بقولها " هلا كتبت إلي حتى أسأل أمير المؤمنين أن يجعل ذلك إلي ، فأقوم بالنفقة فيها كما أنفقت في البركة التي عملتها حتى أستتم ما نويت في أهل حرم الله "[5]، وأرسلت أم الخليفة المتوكل على

---

[1] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٦٠٩ ، يوسف أحمد : المحمل والحج ، ج١ ، ص١٤٧،السباعي : تأريخ مكة ،ج١ ،٢ ،ص١٥٩ ، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٥٥ ، مطر : تاريخ عمارة الحرم المكي ، ص١٤٣.

[2] ـ الصباغ : تحصيل المرام ، ج٢ ، ص٦١٠ ، غباشي : المنشآت المائية ،ص٨٠.

[3] ـ الصباغ : المرجع السابق ، ج٢ ، ٦١٠ ، ٦١٢، الزهراني : النفقات وإدارتها، ص٤٢٥، ٤٢٦.

[4] ـ الصباغ : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٦١٠ ، باشا : مرآة الحرمين ، ج١ ، ص٢١٤ .

[5] ـ الفاكهي : أخبار مكة ،ج٣ ، ص١٥٤ ، ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ،ص ٢٨٤ ،٢٨٥.

الله في سنة ٢٤٥هـ أموال لإصلاح عين حنين ، وفي سنة ٢٤٦هـ أرسلت مائة ألف دينار .

إن في ضخامة هذه المبالغ التي صرفها الخلفاء على توفير المياه بمكة المكرمة ما يشير بوضوح إلى كثرة تلك الأموال التي تدفقت على أهلها [١]، وبالتالي يمكن إدراك الوفر النقدي الذي تمتع به سكان مكة المكرمة خلال تلك الفترة.

مظاهر النشاط الاقتصادي :

لقد ترتب على تلك العوامل السابقة نتائج وآثار بعيدة المدى ، فساعدت الأموال التي تدفقت على مكة المكرمة على تطور النشاط الاقتصادي فيها وما حولها ، ويمكن مشاهدة مظاهر هذا التطور في النواحي التالية :

- **الزراعة :**

فمع بوادر الانتعاش الاقتصادي وارتفاع مستوى المعيشة لمكة المكرمة ، وجه الخلفاء اهتماماتهم لدعم الزراعة بإصلاح الكثير من الأراضي الزراعية وإقامة البساتين في ضواحي مكة المكرمة ، والتنافس في حفر الآبار والقنوات والترع لإنتاج المحاصيل الزراعية ، وقد حققت هذه المشروعات نجاحاً كبيراً ، ونتيجةً لهذا النجاح أنشأوا السدود للاستفادة من مياه السيول واستصلاح الأراضي الصالحة للزراعة والتوسع في الزراعة ، فكان لذلك أثره العظيم في تطور الحياة الاقتصادية بها .

فتميزت مكة المكرمة بإنتاجها العديد من المزروعات كالتمور والحبوب والفواكه والخضروات ، ولاريب أن كثرة الأيدي العاملة في المزارع المحيطة بمكة كانت من العوامل التي ساعدت على ازدهار الزراعة[٢] .

لقد تحولت مساحات من الأراضي بمكة الى أراضي مزروعة بمختلف المحاصيل الزراعية ، فقد أنشأ معاوية بن أبي سفيان عشرة بساتين تغذيها العيون التي أجراها ، وكانت هذه البساتين فيها النخل تنتج التمور وغيرها من المزروعات[٣] .

كما بذل ابن الزبير جهوداً كبيرة لتنمية الزراعة بإنشاء بساتين النخيل من ماله الخاص في ضواحي مكة ، وحث أصحاب الثروات الضخمة من قريش على أن

---

[١] - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٢٤.

[٢] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢ ، ص٨٢.

[٣] - الصباغ : تحصيل المرام ، ج٢ ،ص ٦٠٩ ،السباعي : المرجع السابق ، ج١ ،٢ ،ص ١٢٥ ،السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٦٢.

يفعلوا مثله لتوفير الحبوب والخضروات لأهل مكة وزوارها من الحجاج والمعتمرين ، وبذلك انتشرت المزارع والبساتين الخصبة في شمال مكة وجنوبها ، وغمرت المنتوجات من الحبوب والخضروات أسواقها [1] .

- **التجارة :**

إن الرخاء الاقتصادي الذي عم مكة المكرمة نتيجةً للعوامل السابقة أثر على نحو واضح في الاهتمام بالأسواق باعتبارها مركز النشاط التجاري والمحطة النهائية لحركة البيع والشراء[2] .

فقد زاد النشاط التجاري وذلك بتنوع الأنشطة المالية والتجارية مما أسهم في تنشيط البيع والشراء بها ، فظهرت الأسواق الدائمة في مكة ومنى وعرفات ، وحلت محل الأسواق الموسمية التي كانت تعقد في مواسم الحج كسوق عكاظ ومجنة وذي المجاز والتي استمرت حتى أواخر العصر الأموي [3] .

وانتعشت الحياة الاقتصادية بمكة نتيجة لتنوع الأنشطة التجارية ، كتجارة المواد الغذائية ، وتجارة المنسوجات والملابس بأنواعها ، وتجارة الرقيق ، وتجارة الماشية والطيور والأسماك ، وتجارة الأدم .

فتعددت الأسواق في مكة بتنوع تلك التجارات ، وحظيت تلك الأسواق بالتنظيم حيث كان أصحاب المهن يجتمعون داخل الأسواق الكبيرة مكونين سوقاً فرعياً ، كالبزازين والحجامين والحدادين والعطارين والحمارين وغيرهم [4] .

كما كان لفريضة الحج دور في تطور الحياة الاقتصادية بمكة ، فتنوعت المنتجات وازداد التبادل التجاري ، وذلك بما يجلبه الحجاج معهم من تجارات من شتى النواحي ، كما ازداد الطلب على المساكن [5] .

ومن مظاهر التجارة التي يمكن رصدها بوضوح اقتناء البيوت والتي أضحت تجارة رائجة في مكة ومن أمثلتها شراء معاوية بن أبي سفيان دار الندوة من ابن الرهين بمائة ألف درهم[6] ، وشراء عبد الله ابن الزبير ثلاث دور بقعيقعان من آل عفيف بن

---

[1] ـ السباعي ، تاريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٢٥، ١٢٦ .
[2] ـ ضيف الله الزهراني وعادل غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص٨٣ .
[3] ـ الأزرقي : أخبار مكة ،ج١، ص٢٨٣ .
[4] ـ السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٩٩ .
[5] ـ الجميح : مظاهر النشاط الاقتصادي ، ص١٤٩ .
[6] ـ الأزرقي : أخبار مكة ،ج١، ص٣٧٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣١١ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص٣٤ .

نبيه السهمين وعرفت بدور الزبير[1] ، كما اشترى عمر بن عبد العزيز دار عند المروة من بني الحارث بن عبد مناف ثم تصدق على الحجاج والمعتمرين[2] .

المستوى المعيشي :

لقد اتسمت الأحوال المعيشية بالبساطة والميل للتواضع والخشونة ، رغم الرخاء الاقتصادي الذي شهدته مكة المكرمة في ذلك العهد ، وذلك مواساةً للفقراء وكسراً لشهوات النفس[3] ، فلم تؤثر هذه الأموال التي اكتسبوها من الفتوحات على زهدهم، فكان الإزار[4] والقميص والسراويل من أهم الألبسة الداخلية ، وقد شاع لبسها من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام واقتدى به أصحابه رضوان الله عليهم واستمرت هذه الألبسة طوال فترة الدراسة ، فكان الإزار يبدأ من تحت السرة أو فوقها إلى نصف الساق ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزر تحت سرته ، كما كان عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يأتزران فوق السرة[5] .

أما القميص فقد تنوعت أشكاله ، منه ما كان قصيراً إلى نصف الساق ، وطويلاً الى الكعبين وبعضه بأكمام ومنه ما كان بغير أكمام[6] ، وغالباً ما يكون أبيض اللون وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلبس قميصاً أبيض[7] ، ومنه ما يكون أصفر اللون فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه كلها بالزعفران[8] ، ويبدو أنه من نسج القطن[9] ، كما شاع لبس السراويل بين الناس وهو لباس فارسي الأصل وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن لبس السراويل ، ولكنه استثنى من هذا المحرم في حالة عدم وجود الإزار ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى

---

[1] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٨٨٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣ ، ص٣٠٨ .
[2] ـ الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨٦٩ ، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٩١.
[3] ـ ابن طباطبا : الفخري ، ص٥٠.
[4] ـ الإزار : ما يستر أسفل البدن ولا يكون مخيطاً .
الزبيدي : تاج العروس ، ج١٠ ، ص٤٣ .
[5] ـ الشامي : سبل الهدى والرشاد ، ج٧، ص٣٠٣ .
[6] ـ بابطين :الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٣٢٦.
[7] ـ الشامي : سبل الهدى والرشاد، ج٧، ص٢٦٩.
[8] ـ ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج١ ، ص٣٤٩.
[9] ـ ابن سعد : المصدر السابق ، ج١ ،ص٣٥٥، الشامي : سبل الهدى والرشاد ، ج٧، ص٢٩٥.

الله عليه وسلم يخطب بعرفات : " ومن لم يجد إزاراً فليلبس سراويل للمحرم "[1] ، كما حذرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من لبسه والعودة إلى لبس الإزار[2] .

كما شاع لبس العمائم لغطاء الرأس ، فحين دخل عليه الصلاة والسلام مكة المكرمة عام الفتح كانت عليه عمامة سوداء[3] .

وقد اختلفت ألوان العمائم فقد ذكر أن عمامة النبي عليه الصلاة والسلام في السفر بيضاء وفي الحضر سوداء[4] ، ومنها العمامة الصفراء فكان عليه الصلاة والسلام يصبغ العمامة بالزعفران[5] ، وتعد العمامة فخر العرب وعلامة عزهم ، وفي هذا يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه " العمائم تيجان العرب "[6].

وازداد إقبال الخلفاء الأمويين على الترف والبذخ نتيجة الاختلاط بالأعاجم ، فكانوا يسرفون في اقتناء الملابس الفاخرة المستوردة من العراق واليمن ومصر وخراسان ، والمصنوعة من أجود أنواع الأنسجة وأغلاها[7] .

فشاع لبس العباءة من وبر الجمل فوق القباء الطويل الذي يتدلى إلى العقب مشقوقاً من وسطه[8] ، كما لبسوا البرود الفاخرة وقد تعددت أنواعها ، منها برود العصب والبرود الحضرمية والقطرية والجوزية والتزيدية والبرد الذنيبي ، وقد لبس عثمان بن عفان رضي الله عنه برداً يمانياً ثمنه مائة درهم[9]، وكانت برود الحبرة غالية الثمن فقد وصل سعرها إلى مائة دينار .

كما بلغ سعر الطيلسان أربعة مائة درهم[10]، وهو عبارة عن منديل كبير يلف فوق العمامة ويتدلى الى الكتفين[11] ، وقد لبس عروة بن الزبير[12] وسعيد بن جبير

---

[1] - البخاري : صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٦ ، حديث رقم ١٨٤١.
[2] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٣٢٥.
[3] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٣٥٢، الشامي : سبل الهدى والرشاد ، ج٧ ، ص٢٧٢ .
[4] - الشامي : المرجع السابق ، ج٧، ص٢٧٦.
[5] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج١ ، ص٣٥٠ .
[6] - السهيلي : الروض الأنف ، ج٥ ، ص٩٥ .
[7] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٦٩.
[8] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٢١.
[9] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٢.
[10] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٣٣٥ .
[11] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١،٢ ، ص١٢١.
[12] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص١٣٧.

الطيلسان[1] المزررة بالديباج ، فيما بلغ سعر الخميصة من الخز خمسين ديناراً ، وقد لبسها علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2] .

وزادت مظاهر الترف والبذخ واستخدم الكتان والصوف والقطن والديباج والخز في صناعة القمصان والطيالسة والمآزر والخمائص والعمائم والمطارف .وقد ظهر النمط الفارسي على ملابس الخلفاء العباسيين ، فقد ألزم الخليفة أبو جعفر المنصور رعيته بلبس القلانس الطويلة المخروطة الشكل المزينة بالجواهر الغالية[3] ، كما كانوا يرتدون الملابس المحلاة بالذهب[4] ، وكانت ملابسهم عبارة عن قباء لونه أسود أو بنفسجي أشبه بالثياب مفتوحة من عند الرقبة يصل طوله إلى الركبة ، أكمامه ضيقه ، كان يتمنطق عليه الخليفة بمنطقة مرصعة بالجواهر ، ويتشح بعباءة سوداء[5] .

ويبدو أن هناك تفاوت بين العباسيين في المستوى المعيشي برز ذلك التفاوت بشكل واضح في الفرق بين ملابس الأغنياء "الطبقة الراقية " وملابس العامة " الطبقة العادية " فكانت ملابس الأغنياء تتكون من قميص ودراعة وسترة وقفطان وقباء وقلنسوة وسرواله فضفاضة وجوارب مصنوعة من الحرير أو الصوف أو الجلد يسمونها " موازج "، أما النساء اتخذن البرنس المرصع بالجواهر محلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة غطاءً للرأس ، كما اتخذت السيدة زبيدة النعال المرصعة بالجواهر ، والثوب الوشي الرفيع ويزيد ثمنه على خمسين ألف دينار ، واشتملت ملابس العامة على إزار وقميص ودراعة وستره طويلة وحزام يسمى " قمبرند " وكانوا يلبسون الأحذية والنعال[6] .

أما الأطعمة والأشربة فكانت بسيطة ومحدودة رغم تغير الأوضاع الاقتصادية ، فكان أكثر أكلهم التمر يأكلونه مع الزبد واللبن والسمن والاقط والقثاء ، كما كانوا يفتون الخبز ويستخدم معه الزيت وينثرون عليه الفلفل ، ويعتبر الثريد أفضل أطعمتهم وكان ابن الزبير يأمر بعمله ويؤتي به إلى المسجد الحرام ، وقد تعددت أنواع الثريد منه " الثريد الخالدي " الذي أدخله خالد القسري إلي مكة[7] .

---

[1] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٢٧٧.

[2] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩ ، ص١٢٦.

[3] - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٢ ،ص٢٠ .

[4] - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٤٢٨ .

[5] - حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٤٢٨ ، السباعي : تأريخ مكة ، ج١ ، ٢ ، ص١٨١ .

[6] - حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٤٢٨ ، ٤٢٩ .

[7] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ج٣٠٢ ، ٣٠٩ .

وبعد أن كثر المال بسبب الفتوحات أدرك الخلفاء العباسيين خطورة التنعم والترفه ، فعاشوا حياة التقشف ولم يعرفوا رفاهية العيش ، بل كانوا مقتصدين في طعامهم لا يأكلون اللحم إلا في النادر ربما يعود السبب في ذلك إلى غلاء سعره ، فعندما اشتكى الناس إبراهيم بن أدهم غلاء اللحم ، قال رحمه الله :" ارخصوه أي : لا تشتروه حتى ينزل سعره "[1].

وقد تعددت طرق طهي اللحم ، منه ما يغلى أو يشوى ، فكانوا يأكلون الحنيذ[2] والخزير[3] ، كما كانوا يأكلون لحوم الطيور "الدجاج والحمام "، ولحوم الحيوانات البحرية " الأسماك والحيتان "[4].

وقد ساهم الاختلاط بالأمم المجاورة نتيجة الفتوحات في إدخال أنواع من الأطعمة ، بالإضافة إلى التعرف على طرق طهيها ، فقد ظهر التأثير الفارسي في أطعمتهم كالخبيص الذي صنعه عثمان بن عفان رضي الله عنه[5] ويتكون من العسل والسمن والبر والطباهج والسكباج[6] .

وزاد اتصال المسلمين بغيرهم من الأمم فعرفوا ألوان الطعام وأدواته ، فأدخل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الألوان في الأطعمة[7] ، كما اشتهر سليمان بن عبد الملك بتفننه في اختيار ألوان الأطعمة[8] ، وكان الخليفة أبو جعفر المنصور يكثر

---

[1] - الأصبهاني : (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ت٤٣٠هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،السعادة ، مصر ، ١٩٧٤م ، ج٨ ، ص٣٢ .

[2] - الحنيذ : أن يقطع اللحم أعضاء وينصب له صفيح الحجارة ويجعل له بابان ثم يوقد في الصفائح بالحطب فإذا حميت واشتد حرها وذهب كل دخان فيها ولهب أدخل فيه اللحم وأغلق الباب بصفيحتين ويترك حتى ينضج .
انظر : ابن سيدة : (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي ت٤٥٨هـ) ، المخصص ، تحقيق : خليل جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ج١ ، ص٤١٩ .

[3] - الخزير : هو أن يطبخ اللحم بالماء الكثير والملح فإذا نضج يذر عليه الدقيق فعصد به .
انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٤ ، ص٢٣٧ .

[4] - بابطين ، الحياة الاجتماعية في مكة ، ص ٣٠٣، ٣٠٥ .

[5] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٣٨.

[6] - السكباج : هو اللحم المطبوخ مع الخل .
انظر : الزبيدي : تاج العروس ، ج٦ ،ص٤١ .

[7] - الأصفهاني :(أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـ) ،محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ،شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ،ج١ ، ص٧٢٢ .

[8] - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٥٤٣ .

من تنوع الأطعمة ، ولم يمتثل لنصائح الأطباء ، حتى أن ذلك كان سبباً من أسباب ضعف صحته ووفاته[1] .

وعرف الأمويين كثيراً من أدوات المائدة فاستعملوا الفوط والملاعق ، وكانت الملاعق تصنع من الخشب ، وتجلب بعض ملاعق الفخار من الصين ، وكانوا يجلسون على الكراسي أمام المائدة التي يغطونها بمفرش من القماش[2] .

كما أدخل العباسيين الكثير من مظاهر البذخ والترف على موائد أطعمتهم ، فكان الخليفة هارون الرشيد ينفق على طعامه عشرة الاف درهم ، فقد حفلت مائدته بألوان الطعام ، فكان الطهاة يطهون ثلاثين لوناً في اليوم ، وعنما تزوج بالسيدة زبيدة أقيمت في قصره وليمه بلغت كلفتها خمسة وخمسين ألف ألف درهم[3] .

ومن الأطعمة الشائعة بمكة ، السويق[4] ويعتبر أفضل أنواع الزاد والمونة ، لسهولة حمله في الأسفار ، والسخينة[5] ، والعصيدة[6] ، والحريرة[7] .

ومن أنواع الأشربة اللبن وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يأكله مع التمر ويسميه الأطيبين[8] ، وكان يأكل اللبن مع الخبز ويخلط في بعض الأحيان مع العسل أو السكر ، وكذلك النبيذ غير المسكر ، والحلواء والجلاب[9] .

---

[1] - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٤٢٤.

[2] - حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ج١ ، ص٥٤٣ ، السباعي : تأريخ مكة ، ج١ ، ٢ ، ص١٢٠.

[3] - حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٤٢٤ .

[4] - السويق : ما يتخذ من الحنطة والشعير .
انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج١٠ ، ص ١٧٠، الزبيدي : تاج العروس ، ج ٢٥، ص٤٨٠.

[5] - السخينة : طعام يتخذ من الدقيق والسمن ، وقيل من الدقيق والتمر أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة ، وعرفت منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم واستمرت في العصر الأموي .
انظر : ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ،ج٢ ، ص٣٥١ ، ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ، ص٢٠٦ ، الزبيدي : تاج العروس، ج٣٥ ، ص١٧٦ .

[6] - العصيدة : دقيق يلت بسمن ويطبخ .
ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث، ج٣ ، ص٢٤٦، ابن منظور : المرجع السابق ، ج٣ ، ص٢٩١، الزبيدي : المرجع السابق ، ج٨ ، ص٣٨٠ .

[7] - الحريرة : الحسا المطبوخ من الدسم والدقيق والماء ، وقيل هو الدقيق الذي يطبخ بلبن .
ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث، ج١ ،ص٣٦٥ ، ابن منظور : المرجع السابق ، ج٤ ، ص١٨٤ ، الزبيدي : المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٥٨٦ .

[8] - الشامي : سبل الهدى والرشاد ، ج٧ ، ص١٩٧ .

[9] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٢٩٩ ، ٣٠٠ .

مظاهر التدهور والأزمات الاقتصادية :

تأرجحت الأوضاع الاقتصادية في مكة المكرمة في العصر الأموي ما بين الازدهار الي التدهور ، نتيجة لشيوع الفوضى وعدم الاستقرار التي صاحبت الأحداث السياسية التي مرت بها مكة المكرمة في تلك الفترة ، ومن هذه الأحداث :

الاضطراب الأمني :

حصار الحصين بن نمير مكة المكرمة سنة ٦٤هـ لمحاربة إبن الزبير لامتناعه عن مبايعة الخليفة يزيد بن معاوية ، ونصب الحصين المنجنيق على جبل أبي قبيس والأحمر "أخشبا مكة" ورمى ابن الزبير وأتباعه بالحجارة ، فتهدمت الكعبة واحترقت كسوتها ، واستمر القتال الى أن جاء خبر وفاة يزيد بن معاوية وعاد الحصين بن نمير الى الشام واستمر ابن الزبير في حكمه مكة المكرمة الى أن حاصر الحجاج بن يوسف الثقفي مكة في خلافة عبد الملك بن مروان ورمى الكعبة بالمنجنيق ، وانتهى الحصار بمقتل ابن الزبير[١] .

وقد نتج عن هذا الحصار أن أصيبت مكة المكرمة بنوع من التدهور في أوضاعها الاقتصادية نتيجةً للضغوط الاقتصادية الناشئة عن الحرب ، والمتمثلة في قطع الإيرادات الخارجية عن مكة المكرمة ، وذلك عندما منع الحجاج بن يوسف الثقفي وصول الأطعمة والحبوب الى عبد الله بن الزبير وأتباعه ، مما ترتب عليه توقف الحركة التجارية وتعطيل الناس عن أعمالهم لمدة تزيد على ستة أشهر[٢] ، وارتفاع الأسعار بمكة ارتفاعاً شديداً ، فأصيب الناس بمجاعة حيث بيعت الدجاجة في تلك الفترة بعشرة دراهم ، وبلغ سعر الذرة عشرين درهماً ، الأمر الذي دفع إبن الزبير أن يذبح فرسه ويقسمها بين أصحابه .

وقد كان ابن الزبير على حذرٍ تام واتخذ الاحتياطات اللازمة لهذه الأزمة ، فكانت منازله مملوءة بالقمح والشعير والذرة والتمر ، ولكنه لم ينال منها إلا ما يبعد الجوع والرمق ، ويقول : " أنفس أصحابي قوية "[٣] .

وهكذا عانت مكة المكرمة من انعدام الأمن مما ساهم في تقلص حجم التجارة ، ففي خلافة الوليد بن عبد الملك أمر خالد القسري واليه على مكة بإخراج العراقيين في

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص٨٨ ،السنجاري : منائح الكرم ، ج٢ ،ص ٢٨ . السباعي : تأريخ مكة ، ج١،٢ ،ص١٠٣ .

[٢] - البلاذري : أنساب الأشراف ،ج٧ ،ص١٢٨ .

[٣] - البلاذري : أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص١٢١ ، ابن فهد : المرجع السابق ، ج٢ ،ص٩١ ، السنجاري : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٩.

الحجاز " مكة والمدينة " الذين آوهم عمر بن عبد العزيز في فترة ولايته على مكة بناءً على طلب الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقام بإخراجهم من مكة وكان أغلبهم من التجار[1] .

كما تعرضت مكة المكرمة في السنوات الأخيرة من العصر الأموي لغزو الخوارج بقيادة أبي حمزة الخارجي سنة ١٢٩هـ ، وقاموا بنهب الأسواق فخاف الناس من فتنتهم ، فتركت سوق عكاظ ثم تركت مجنه وذي المجاز ، واستغنى الناس عنها بأسواق مكة ومنى وعرفة[2] ، وقد أثر ذلك على نشاطها الاقتصادي .

ومما زاد في تأزم الوضع الاقتصادي الفتن والثورات التي قام بها العلويين ضد الدولة العباسية ، والتي أثرت بدون شك على مسار النمو الاقتصادي لمكة المكرمة ، فقد توقفت كافة الأنشطة الاقتصادية بها خلال هذه الفترة ، وغلت الأسعار ، وعم الاضطراب والخوف أرجائها ، وتركها كثير من سكانها للنجاة من أهوال الحرب .

ومن أمثلة ذلك عندما هاجمت جيوش الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور مكة المكرمة سنة ١٤٥هـ ، لإخماد الفتنة التي أثارها رجلٌ من أفاضل العلويين من بني هاشم هو محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب ب " النفس الزكية " لامتناعه عن مبايعة الخليفة أبو العباس السفاح فدخلت جيوش المنصور المدينة وقتلوا محمد النفس الزكية ثم سارت الجيوش الى مكة وقبضوا على أموال بني الحسن كلها[3] ، كما أمر المنصور في فترة الثورة بوقف ما كان يصرف الى الحرمين الشريفين[4] .

ولم تقف آثار هذه الفتن والحروب عند هذا الحد ، بل تسببت بموت أعداد كبيرة من المسلمين العاملين في مختلف الأنشطة الاقتصادية ، ففي سنة ١٦٩هـ قتلت جيوش العباسيين الحسين بن علي بفخ وعدد كبير من أصحابه[5]، كم قاتلت جيوش المأمون

---

[1] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٩٣ .
[2] - الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص٣٢٦، السيف : المرجع السابق ، ص ٩٤، الجميح : مظاهر النشاط الاقتصادي ، ص ١٥٣، ١٥٤.
[3] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٦٠٣ ، السباعي : تأريخ مكة ، ج١ ، ٢ ، ص١٣٨ .
[4] - الزهراني : النفقات وادارتها ، ص٤٢١ ، جريس : غيثان بن علي : دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، الدراسة السادسة (أعمال الخليفة المهدي العباسي الخيرية لأهل الحجاز ١٨٥- ١٦٩هـ) بحث منشور في مجلة الدارة ،العدد الرابع ، السنة ١٦ ، ١٤١١هـ، ص١٧٠.
[5] - السنجاري : منائح الكرم ، ج٢ ، ١١٦ ، السباعي : تأريخ مكة ، ج١ ،٢ ، ص١٤٠ .

سنة ٢٠٠هـ محمد بن جعفر الصادق وأصحابه عند بئر ميمون ، وفي سنة ٢٠٢هـ ثار إبراهيم بن موسى الكاظم وأخوه علي الرضا ضد الدولة العباسية[١] .

كما تدهورت الأوضاع الامنية لمكة نتيجة لغارات القرامطة المتكررة عليها ، فقد قطع القرامطة طرق الحج كما حدث في سنة ٣١١هـ عندما اعترض أبو طاهر القرمطي قافلة الحج القادمة من بغداد ونهبها فاستولى على أمتعة الحجاج وأموالهم والنساء والصبيان ، ثم عاد الى بلاده هجر وترك الحجاج في أماكنهم فمات أكثرهم جوعاً وعطشاً ومن حر الشمس واستبد الفقر بأكثر الأهالي، وأعاد الكرة بنفس الطريقة خلال السنوات ٣١٥هـ الى سنة ٣٢٠هـ[٢] .

وقد اغتر أبو طاهر القرمطي بقوته وجبروته وتمادى في غيه وضلاله ، فهاجم مكة في سنة ٣١٧هـ ونهب أموال الحجاج وأهل مكة ، وقتل الالاف من الحجاج وسكان مكة المكة المكرمة حتى قيل أنه قتل ما يزيد على الثلاثين ألفا ، وقيل بلغ عدد القتلى نحو ١٧٠٠٠ أو ١٣٠٠٠ من الرجال والنساء ، واقتلع الحجر الأسود وباب الكعبة وأخذ أموال الناس وحلي الكعبة وهتك أستار الكعبة وقسمها بينهم[٣] .

وبالتالي فمن الطبيعي أن ينتكس الاقتصاد كنتيجة مباشرة للتدهور الأمني ، وذلك لإنشغال الناس بتلك الحروب التي أنهكت الحالة الاقتصادية للبلاد وتعطلت أوجه النشاط الاقتصادي المختلفة .

الكوارث الطبيعية :

السيول التي تعرضت لها مكة المكرمة من أبرز الكوارث الطبيعية التي أثرت على اقتصادها وأدت إلى تردي الأوضاع الاقتصادية بها ، وذلك نتيجةً للخسائر المادية والبشرية التي تمثلت في موت الكثير من العاملين في بمختلف الأنشطة الاقتصادية ، وخراب الكثير من الممتلكات والأراضي وتدمير الطرق .

ومن أمثلة ذلك ما حدث في خلافة عبد الملك بن مروان حيث أصيبت مكة المكرمة بسيل عرف ب " سيل الجحاف " تسبب في تدمير كثير من البيوت ، وفقدان أمتعة الحجاج ، وموت كثير من البشر ، واقتحم ذلك السيل المسجد الحرام حتى قيل أنه "

---

[١] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢ ،ص ١٤٥ .
[٢] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج١١ ، ص١١٩.
[٣] السباعي : تأريخ مكة ، ج١ ،٢ ، ص١٧٠ ، ١٧١ .

كاد أن يغطي البيت "[1]، كما تعرضت مكة في سنة ١٨٤هـ بسيل ذهب بالناس وأمتعتهم [2] .

في ظل هذه الظروف كان من الطبيعي أن يؤدي هذا الوضع الى تردي الأوضاع الاقتصادية بمكة ، فتراجع وسائل الإنتاج فتوالي الأوبئة والمجاعات بين عامة الناس من حرفين ومزارعين وخلافه ، وهذا ما حدث بالفعل عندما دخل السيل المسجد الحرام في خلافة المأمون العباسي سنة ٢٠٢هـ وأصيب الناس بعده بمرض ومات كثير منهم ، كما قلع السيل صناديق الأسواق ومقاعدهم واجتاح كثير من الأموال وهدم أكثر من ألف دار في سنة ٢٠٨هـ [3] .

غلاء الأسعار :

عانت مكة المكرمة من غلاء الأسعار [4] فعندما ارتفع سعر الزبيب في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتب الناس إليه يخبرونه بذلك ، فنصحهم رضي الله عنه باستبداله بالتمر حتى يقل الطلب عليه فيرخص التجار سعره ويعود الوضع الى سابق عهده[5] .

لقد أفنى الغلاء كثيراً من الناس ففي أثناء محاصرة الحجاج بن يوسف الثقفي إبن الزبير بمكة أصاب الناس مجاعة حيث بيعت الدجاجة بعشرة دراهم ومد الذرة بعشرين درهماً [6] .

كما أصيبت مكة بارتفاع الأسعار في موسم الحج حيث يصلها مئات الألوف من الحجاج فبلغ سعر الراوية في الموسم عشرة دراهم وأكثر [7] .

وفي سنة ٢٥١هـ أصاب مكة غلاء في الأسعار ، فقد بلغ سعر الخبز ثلاثة أواق بدرهم ، كما بلغ سعر الرطل من اللحم أربعة دراهم ، وشربة الماء ثلاثة دراهم ،

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٨٥٨ ، ٨٥٩ ، الفاكهي : أخبار مكة، ج٣ ، ص١٠٦ ، ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٢ ، ص١٠٨ ، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢ ، ص ٤٦، باشا : مرآة الحرمين ، ج١ ، ص١٩٨.

[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٦١، ابن فهد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٢٣٣ ، السنجاري : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٢٧ .

[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٧٦١ ، ٧٦٢ ، ابن فهد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٨٢ ، باشا : مرآة الحرمين ، ج١ ، ص١٩٨ ، السنجاري : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٥١ .

[5] - ابن معين : تاريخ ابن معين (رواية الدوري) ، ج٣ ، ص١١٣ .

[6] - البلاذري : أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص١٢١ .

[7] - الصباغ : تحصيل المرام ، ج٢ ، ص٦٠٩ .

وذلك بسبب حصار إسماعيل بن يوسف مكة المكرمة فمات الناس من الجوع والعطش بسبب الغلاء[1] .

[1] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١ ، ٢ ،ص١٦٤ .

المبحث الخامس

النمو السكاني لمكة المكرمة

النمو السكاني :

لقد شهد البلد الحرام نمواً سكانياً متواصلاً ومستمراً دون انقطاع منذ العصور البعيدة قبل الاسلام ، فقد توالت القبائل على السكن بها بعد ظهور ماء زمزم ، فكانت قبيلة جرهم اليمنية أولى القبائل الوافدة على مكة لتسكن بها ، تلتها قبيلة خزاعة [1] ، ثم قبيلة قريش وكانت أصل المجتمع في مكة ومن عداهم من السكان إما موالي أو عبيد ، لقد جمع قصي بن كلاب قريش وأسكنها مكة بعد أن أجلى خزاعة منها ، وكانوا على فئتين:

قريش البطاح الذين نزلوا الأبطح بين أخشبي مكة وهم : أبناء قصي بن كلاب : (بني عبد مناف وبني عبد العزى وبني عبد الدار وبني عبد قصي) ، بالإضافة إلى بني مخزوم بن يقظه وبني كعب بن لؤي وبني جمح وبني حسل بن عامر وبني سهم وبني عدي بن كعب وبني زهرة [2] .

وقريش الظواهر هم بنو معيص بن عامر بن لؤي وبنو تيم الأدرم بن غالب وبنو محارب بن فهر بن الحارث بن فهر ، وكانوا ينزلون ظواهر مكة على المرتفعات [3] .

كما شاركت قريش قبائل كثيرة في سكنى مكة تحالفوا معها ، كقبيلة بني كنانة وبني الهون بن خزيمة وبني أسد بن خزيمة وهذيل وتميم بن مر والغوث بن مر وخزاعة ومزينة وقيس عيلان وبني الأزد وقضاعه ومذحج [4] .

وقد ظل نظام الحلف الذي كان قائماً على المناصرة وعلى أن يرث الحي منهم الميت ، حتى ألغى عليه الصلاة والسلام هذا النظام بقوله : " لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية ، لم يزده الإسلام إلا شدة " [5] ، ومع أنه عليه الصلاة والسلام أبقى الأحلاف القائمة في مكة قبل الإسلام لكنه ألغى التوارث بين المتحالفين ، وأقتصر الحلف على النصرة والنصيحة والمعونة والولاء [6] .

---

[1] - الشريف : مكة والمدينة ، ص١١١-١١٥ .

[2] - العصامي : (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ١١١١هـ) ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ج١ ، ص٢٠٥ ، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٤٢ .

[3] - البلاذري : أنساب الأشراف ، ج١ ، ص٣٩ ، سلامه : المرجع السابق ، ص٤٢ .

[4] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٤٧- ٤٩ .

[5] - مسلم : صحيح مسلم ،ج٤ ، ص١٩٦١ ،حديث رقم ٢٠٦، أبي داود : سنن أبي داود ، ج٣ ، ١٢٩ ، حديث رقم ٢٩٢٥ .

[6] - الشريف : مكة والمدينة ، ص٥٦ ، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٨١ .

وهكذا بقيت مكة المكرمة غاصة بالسكان الأصليين والنازحيين من مختلف الأقطار الإسلامية رغم النزوح السكاني الذي شهدته أوائل عهد البعثة الشريفة إما الى الحبشة أو الى المدينة المنورة[1] ، والذي استمر الى أن أعلن النبي عليه الصلاة والسلام وقف الهجرة بعد فتح مكة سنة ٨هـ ، بقوله : " لا هجرة بعد الفتح جهاد ونية " [2] ،لأن مكة المكرمة أصبحت بعد الفتح دار إسلام فليس هناك حاجة الى الهجرة منها .

لذلك رد النبي عليه الصلاة والسلام صفوان بن أمية الجمحي إلى مكة لما هاجر إلى المدينة ، وقال له : من لأباطح مكة ؟ فخرج إليها وأقام بها إلى أن توفي سنة ٤١ هـ [3] .

وقد تزايد نزوح سكان مكة المكرمة حيث إن غالبيتهم تركوها للمشاركة في الفتوحات الإسلامية ، فقد أسند الصديق رضي الله عنه مهمة قيادة الجيوش الإسلامية المتجهة لفتح الأقاليم المجاورة لقواد جمعيهم من أهل مكة كخالد بن الوليد ، وشرحبيل بن حسنة ، وخالد بن سعيد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبي جهل[4] .

فاستشهد الكثير منهم في هذه الفتوحات[5] ، واستقرت أعداد منهم في البلاد المفتوحة[6] ، وعاد البعض منهم الى مكة لرغبتهم في البقاء بجوار بيت الله الحرام[7] .

---

[1] ـ وذلك عندما وقف كفار قريش في وجه الدعوة واشتد أذاهم على المسلمين سمح لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة وتكرر ذلك مرتين ، وبعد أن عقد الرسول عليه الصلاة والسلام بيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشر من النبوة مع أهل يثرب أمر المسلمين وخصوصاً الذين تعرضوا للإيذاء والاضطهاد بالهجرة إلى المدينة ، وقال لهم : " إن الله عزوجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها " ، فأخذ المسلمين يتوافدون إليها أفراداً وجماعات تاركين وراءهم بيوتهم وممتلكاتهم .
انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣٢١- ٤٦٨ ، البيهقي : (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني ت٤٥٨هـ) ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ ، ص٢٨٥ -٢٩٧ ، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢،ص٦٣، ٦٤ ، السرياني : مكة المكرمة ، ص١٥.

[2] ـ البخاري : صحيح البخاري ، ج٤ ، ص١٥، حديث رقم ٢٧٨٣، مسلم : صحيح مسلم ،ج٢ ،ص ٩٨٦ ، حديث رقم ٤٤٥.

[3] ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص٢٨٠ ، البغوي : معجم الصحابة ، ج٣ ،ص٣٣٤ .

[4] ـ العلي : صالح أحمد ، امتداد العرب في صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣م ، ص١٦ .

[5] ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص١٤١ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٥٧٢-٦١٣ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٦٩، ٢٧٠، ج٤ ، ص٩٥.

[6] ـ ابن سعد : المصدر السابق ، ج٧، ص١٠، ٣٤٥، ٣٤٦، السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٢٠.

[7] ـ ابن سعد : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٣٦.

ولكن مع ذلك فقد وردت إشارات في المصادر التاريخية تشير إلى تدفق الكثير من الأعاجم الذين عرفوا باسم " **الموالي** "[1] إلى مكة المكرمة ، ويمكن تقسيم هذه الطبقة الى طبقتين :

أحرار لم يتعرضوا للاستغلال قدموا من مختلف المناطق للرزق وطلب المعيشة ومزاولة المهن والصناعات المختلفة التي يرغبون بها وربما يكون قدومهم لأسباب دينية كالحج والعمرة ، لذلك كثر الموالي في مكة[2] ، فبعد قدومهم أقاموا بها إقامة دائمة بعد حصولهم على الأمان من أهلها [3] .

فنجد طائفة كبيرة من العلماء الأجلاء الذين شُهد لهم بالفضل في العلم إرتحلوا من بلادهم ونزلوا بمكة واستقروا بها لينشروا علومهم في أرجائها كانوا من الموالي[4] .

لقد حرصوا على مجاورة بيت الله الحرام للتعليم والفتوى والقضاء والإمامة ، والإبتعاد قدر الإمكان عن الأوضاع السياسية السائدة في بلدانهم فأصبحوا من أعيان مكة المكرمة بأعمالهم الجليلة التي قدموها[5] .

فأدى ذلك الى نمو الولاء للمكان الذي درجوا فيه واحتموا به وترعرعوا فيه فظهر ذلك الولاء في ألقابهم كما دونتها كتب التراجم والمصادر التاريخية مثل فلان المكي ، مفتي مكة ، أو المكان الذي قدموا منه مثل الكوفي ، البلخي ، النيسابوري ، الخراساني ، البغدادي ، الأزدي[6] .

ومن أشهر هؤلاء العلماء عطاء بن أبي رباح مولى بني جمح أو بني فهر ، أصله حبشي من مولدي الجند نشأ بمكة وتوفي بها سنة ١١٥ هـ كان فقيهاً عالماً كثير الحديث [7] ، ومجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم كان فقهياً عابداً متقناً ، سكن الكوفة كان

---

[1] - الطبري : جامع البيان ، ج٨، ص٢٧١ ، ابن خلدون : (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ت٨٠٨هـ) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، ج١ ، ص٧٤٨ .

[2] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٤١ ، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٦٠، ٦١.

[3] - ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث، ج١ ، ص٣٣٢ .

[4] - ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، ج١ ، ص٧٤٧ .

[5] - الدهاس : فواز علي جنيدب ، الدور القيادي لمكة المكرمة خلال العصر الأموي ، مجلة جامعة أم القرى ، ج١٩، ع٤١، ١٤٢٨هـ ، ص٢٦٤ .

[6] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٤١ ، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٩٠ .

[7] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٦، ص٢٠، الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص٢٠٦ .

كثير الأسفار والتنقل انتقل إلى مكة واستقر بها توفي سنة ١٠٤ هـ[1] ، وكان عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج فقيه مكة رومي الأصل استوطن مكة وتوفي بها [2] ، وعبد العزيز بن أبي رواد الأزدي مولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي أصله من خراسان سكن مكة وتوفي بها سنة١٥٩هـ [3] .

لقد رفع الله قدر هؤلاء الموالي وأعلى ذكرهم بالعلم النافع ، فعندما سأل عمر بن الخطاب - وهو بعسفان- واليه على مكة نافع بن عبد الحارث عن من استخلف على مكة قال : استخلفت عليهم ابن أبزى ، قال : ومن ابن أبزى ؟ قال : رجل من موالينا ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : استخلفت عليهم مولى ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله عز وجل ، عالم بالفرائض ، فقال عمر رضي الله عنه : أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم ، قال " إن الله عز وجل يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين " [4] .

كما استوطن مكة المكرمة بجانب هؤلاء كثير من العلماء الوافدين من العراق كسعيد بن سالم القداح مفتي مكة من أهل الكوفة سكن مكة وتوفي بها [5]، وشعيب بن حرب المدائني [6] ومحمد بن مقاتل الكسائي ومحمد بن ميمون الخياط[7] .

والطبقة الثانية موالي العتاقة كانوا رقيقاً في الأصل ثم اعتقوا وأصبحوا أحراراً[8] ، وكانت هذه الطبقة كثيرة العدد في مكة فعندما " كثرت الفتوح كثر الاسترقاق من الأمم المفتوحة كثره هائلة ، ووزع المسترقون رجالاً ونساءً وذراري على العرب الفاتحين"[9] .

ومن الاشارات التي تدل على كثرتهم العظيمة في مكة أن الرسول عليه الصلاة والسلام أعتق ثلاث وستين رقبه ، وأعتقت عائشة رضي الله عنها تسعة وستين وكذلك أعتق أبو بكر كثيراً [10] ، وأعتق عثمان بن عفان عشرين رقبه[1] ، كما أعتق العباس

---

[1] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٦، ص١٩، ٢٠، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٤٤٩ ، الفاسي : العقد الثمين ، ج٦ ، ٣٣، ٣٤ .

[2] - ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، ج٦، ص٤٠٢ .

[3] - الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٧ ، ص١٨٤ ، الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص٨٥ .

[4] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣ ، ص١٦٥.

[5] - العسقلاني : تهذيب التهذيب ، ج٤ ، ص٣٥ ،الفاسي : العقد الثمين ،ج٤ ، ص٢٠٦ .

[6] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٣٢، الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص٢٦٢ .

[7] - الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٤٠٦ ، ٤١٦ .

[8] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٤١ .

[9] - أمين : أحمد ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١٠ ، ١٩٦٩م ، ص٨٨ .

[10] - الكتاني : (محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي ت١٣٨٢هـ) ، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس

سبعين عبداً[2] ، وحكيم بن حزام مائة رقبة [3] ، وأعتق عبد الله بن عمر ألف رقبة ، وعبد الرحمن بن عوف ثلاثين رقبة[4] ، كما أعتق الحسين بن علي الكثير من العبيد عندما قدم مكة المكرمة بعد بيعته في المدينة سنة ١٦٩ هـ ، حيث دعاهم للانضمام إليه بقوله " أيما عبد أتانا فهو حر" فأتاه العبيد [5] .

ويظل ولاء العتق هو الصلة بين المولى وسيده[6] ، فينسب المعتق بالولاء لعشيرة سيده فيحمل بذلك اسم عشيرته ، فيقال مولى بني هاشم أو مولى بني ثقيف ، أو الأموي بالولاء أو الهاشمي بالولاء وهكذا [7] .

أو ينسب الى معتقه[8] كزيد بن حارثة[9] مولى الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يدعى بزيد بن محمد ، وبلال الحبشي[10] مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأبو حفصه مولى مروان بن الحكم[1] ، عج بن حاج مولى المعتضد العباسي [2] .

المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، دار الأرقم ، بيروت ، ط٢ ، ج١ ، ص٩٤ ، ٩٥ .

[1] - ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج٣٩ ، ص٣٨٧ .

[2] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٢.

[3] - الكتاني : التراتيب الإدارية ، ص٩٥ ، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٦١ ،

[4] - الكتاني : المرجع السابق ، ص٩٥ .

[5] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص١٩٥ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص٢١٢ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص٢٢٠ .

[6] - الشريف : مكة والمدينة ، ص٦٠ ، المقداد : الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى العصر الأموي ، دار الفكر ، سورية ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص١٢٦.

[7] - أمين : فجر الإسلام ، ص٨٩ .

[8] - الشريف : مكة والمدينة ، ص٦٠ ، المقداد : الموالي ونظام الولاء ، ص١٢٦، السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٤١ .

[9] - زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، من اليمن ، قتل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أصابه سباء في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها من سوق حباشة وهي سوق بناحية مكة كانت مجمعاً للعرب يتسوقون بها في كل سنة ، فوهبته السيدة خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فتبناه عليه الصلاة والسلام بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين فدعي ب" زيد بن محمد " حتى نزلت قوله تعالى " ادعوهم لأبائهم " فدعي يومئذ بزيد بن حارثة.

انظر : ابن حبان : الثقات ، ج٣ ، ص١٣٤ ، ١٣٥ ، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج٢ ، ص٥٤٣ ، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، ج١ ،ص٢٠٢ ، الزركلي : الأعلام ، ج٣ ، ص٥٧ .

[10] - بلال بن أبي رباح ، يكنى بأبي عبد الكريم ، وقيل : أبي عبد الله ، وقيل أبا عمرو ، وأمه حمامة من مولدي مكة لبني جمح ، وقيل من مولدي السراة ، كان من السابقين إلى الإسلام ،

واستمرت الزيادة في أعداد السكان بمكة بتدفق **الرقيق** إليها من أطراف الأراضي المفتوحة شراءاً أو إهداءاً [٣]، فقد بعث عمر بن الخطاب رضي الله غلاماً من السبي لسعيد بن يربوع يقوده للمسجد حينما ذهب بصره [٤] ، كما بعث الخليفة معاوية بن أبي سفيان رقيقاً من العبيد لخدمة الكعبة المشرفة [٥] ، وأهدى الخليفة سليمان بن عبد الملك جعفر بن الزبير رقيق من البيض والسودان [٦] .

لقد كان الرق منتشراً عند العرب قبل الإسلام [٧] .

ولما جاء الإسلام تدرج في تحريمه وذلك بأنه لم يعد للرق إلا باب واحد في الإسلام ألا وهو أسرى الحروب نتيجةً للفتوحات الإسلامية الواسعة ، فكان المسترقون من

شهد بدراً والمشاهد كلها ، وكان ممن يعذب في الله عز وجل فيصبر على العذاب ، فكان أبو جهل يبطحه على وجهه في الشمس ، ويضع الرحى عليه حتى تصهره الشمس ويقول : أكفر برب محمد ، فيقول : أحد أحد ، اشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخمس أو سبع أواقي ، وآخى الرسول عليه الصلاة والسلام بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ، وكان يؤذن للرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو أول من أذن في الإسلام .

انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٣٨٥ ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج١ ، ص٤١٥، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص٢١٠، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، ج١ ، ص٤٥٥ .

[١] - أبو حفصه اسمه يزيد من سبي اصطخر اشتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه ووهبه لمروان بن الحكم ، وقيل انه كان طبيباً يهودياً أعتقه مروان بن الحكم يوم الدار لأنه أبلى بلاءً حسناً .

أنظر : ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج٥٧ ، ص٢٨٦ ، ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الأربلي ت٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،ط١ ،١٩٩٤هـ ، ج٥ ، ص١٨٩ .

[٢] - عج بن حاج كان مملوكاً أعتقه الخليفة المعتضد العباسي وتولى مكة سنة ٢٨١هـ ، اصله من موالي الأتراك .أنظر : الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص٢٩٩ ، هورخرونيه : سنوك ، صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ترجمة : علي عودة الشيوخ ، تحقيق : محمد السرياني ومعراج نواب مرزا ، مركز تاريخ مكة ، ط٢ ، ١٤٣٢هـ ، ج١ ، ص١٥٦ .

[٣] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١ ،٢ ، ص٨٢.

[٤] - ابن البيع : (أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري ت٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ج٣ ، ص٥٥٩ .

[٥] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٣٥٧ .

[٦] - الأصفهاني : (أبي الفرج علي بن الحسين ت٣٥٦هـ) ، الأغاني ، تحقيق : إحسان عباس وآخرين ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ج١٥ ، ص٦ .

[٧] - أمين : فجر الإسلام ، ص٨٨ .

الأسرى يعتبرون غنيمة تأخذ الدولة الخمس ، وتوزع الأربعة أخماس الباقية على الجند[1] .

ولكن لم يكن كل هؤلاء المسترقون من الأسرى فقط ، بل كان منهم من تم شراؤه من النخاسين الذين يبيعون الرقيق للناس مقابل مبلغ مالي معين[2] ، فكان موسم الحج يستثمر لبيع وتجارة الرقيق ، فقد اشترى عبد الله بن عباس ثلاثة مولدات حجازيات بثلاثة الآف دينار من عطاء بن جبير [3] ، كما اشترى عمر بن الخطاب عبداً حبشياً يدعى " أسلم " في موسم الحج سنة ١١ هـ من سوق ذي المجاز [4] ، وعندما حج يزيد بن عبد الملك في خلافة الخليفة سليمان بن عبد الملك اشترى جارتين "حبابة " بأربعة الآف دينار [5] ،واشترى "سلامة " مولدة من مولدات المدينة[6] ، وفي سنة ١٩٩هـ اشترى الخليفة المعتصم غلاماً خرزياً طباخاً لسلام الأبرش يدعى " إيتاخ "[7] .

لقد ساعدت وفرة الأموال لدى السكان وحاجتهم الى أيدي عامله رخيصة الأجر للخدمة في المنازل والعمل بمختلف أنواع المهن التي يحتاجها أهل مكة من تجارة وزراعة ورعي في انتشار الرقيق بمكة المكرمة[8] .

هذا بالإضافة الى ما كان يرسله الخلفاء من الرقيق الى مكة المكرمة [9] .

كما حث الإسلام على عتق الرقاب وجعله قربى لله سبحانه وتعالى وكفارة عن الذنوب ، وأوجب الإسلام عتق الرقاب في أربع حالات :

١ـ القتل الخطأ ، قال تعالى : " وما كان لمؤمنٍ أن يقتل مؤمناً إلا خطأً . ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبةٍ مؤمنه "[10] .

---

[1] ـ السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٥١، ٢٥٢ .

[2] ـ مالك : (مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ت١٧٩هـ) ، المدونة ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٤م ، ج٣ ، ص٣٧٠ .

[3] ـ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج١ ،ص١٠ .

[4] ـ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج٨ ،ص ٣٤٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٩٨.

[5] ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٣ .

[6] ـ الأصفهاني : الأغاني ، ج٨ ، ص٢٤٠ .

[7] ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص١٦٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص١١٨.

[8] ـ السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٥٣ ، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٦٣.

[9] ـ السيف : المرجع السابق ، ص٢٥٢ .

[10] ـ سورة النساء : آية ٩٢ .

٢ـ الحنث باليمين ، قال تعالى : " لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم . ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان . فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبه "[١] .

٣ـ الظهار ، قال تعالى : " والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبه من قبل أن يتماسا "[٢] .

٤ـ الإفطار في شهر رمضان .

ثم منع استرقاق العرب في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإما الإسلام وإما السيف[٣] ،فقال رضي الله عنه : " إنه لا سباء في الإسلام ولا رق على عربي في الإسلام "[٤]، فكان أكثر هؤلاء الرقيق عند ظهور الإسلام من الجنسين الأبيض والأسود[٥] ، فالرقيق السود من الزنوج والأحباش يجلبون عن طريق مصر واليمن[٦] ، أما الرقيق البيض فكانوا من بلاد الشام والعراق والروم ومصر[٧] ،

وبذلك استقبلت مكة المكرمة أعداد كبيرة من الرقيق من مختلف الجنسيات فكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه ألف مملوك[٨] ، ولزبير بن العوام رضي الله عنه ألف عبد وألف أمة[٩]، كم كان لابنه عبد الله مائة غلام من مختلف الجنسيات[١٠] .

وهناك ثمة إشارة تؤكد أن الرقيق الزنوج كانوا يشكلون نسبة كبيرة من الرقيق في مكة .

منها الصلح الذي تم بين المسلمين وأهل النوبة أيام الفتوحات الإسلامية على أن يقدم أهل النوبة للمسلمين اربعمائة من الرقيق مقابل أن يقدم لهم المسلمين الطعام[١١] ، وكذلك أن ابن الزبير رضي الله عنه كان يملك دار تسمى " دار الزنج " جمع فيها

---

[١]ـ سورة المائدة : آية ٨٩ .

[٢] ـ سورة المجادلة : آية ٣ .

[٣] ـ أبو عبيد : (القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي ت٢٢٤هـ) ، الأموال ، تحقيق : خليل هراس ، دار الفكر ، بيروت ، ج١ ، ص١٧٦ ، السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٥٤.

[٤] ـ المقداد : الموالي ونظام الولاء ، ص١١٣ .

[٥] ـ أمين : فجر الإسلام ، ص٨٨ .

[٦] ـ المقداد : الموالي ونظام الولاء ، ص٥٧ ، ٥٨ .

[٧] ـ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٧ ، ص١٢٠ ، المقداد : المرجع السابق ، ص٥٦ .

[٨] ـ الدميري : (محمد بن موسى بن عيسى بن علي ت٨٠٨ هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ ، ج١ ، ص٨٢ .

[٩] ـ الأصبهاني : حلية الأولياء ، ج١ ، ص٩٠ ، أمين : فجر الإسلام ، ص٨٨ .

[١٠] ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٣٧٣ .

[١١] ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٣٥ .

الرقيق الزنج [١] ، وفي خلافة هشام بن عبد الملك أرسل الى أمير مكة أن يشتري له مائتي زنجي [٢] ، وكان لعمر بن عبدالله بن أبي ربيعة كثير من عبيد الحبشة [٣] ، كما ألزم أمير المؤمنين محمد المهدي النوبة بتقديم ثلاثمائة وستين رأساً مقابل إعطائهم الطعام [٤] ، وكان يوجد بمكة جبل سمي ب " جبل الزنج " وذلك لأن الزنوج كانوا يلعبون فيه [٥] .

كل هذه إشارات تفسر لنا كثرة العبيد الزنوج في مكة المكرمة ، وربما يعود السبب في كثرة أعداد الرقيق الزنوج والأحباش الى رخص أسعارهم [٦] .

كما وفد إلى مكة المكرمة طلاب العلم من شتى أرجاء الدولة الإسلامية لإدراك البقية الباقية من الصحابة والتابعين [٧] ، ووفد إليها ايضاً عدد كبير للعمل والتجارة ، بالإضافة إلى وفود عشرات الالاف من الحجاج والمعتمرين في مواسم الحج [٨] .

فالفقيه البغدادي محمد بن الحسين الأجري رحل من بغداد للحج فأعجبته مكة وقال : " اللهم ارزقني الاقامه بها" فاستوطنها إلى أن توفي بها سنة ٣٦٠هـ [٩] .

لقد اكتضت مكة المكرمة بالسكان ، غير أن الخلفاء قد فطنوا لمشكلة التكدس وتصدوا لهذه الظاهرة التي باتت تشكل إزعاجاً لهم ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخرج للحجاج ويصيح بهم : " يا أهل العراق ، الحقوا بعراقكم ، ويا أهل اليمن الحقوا بيمنكم ،ويا أهل الشام الحقوا بشامكم " ، وذلك لصرف الحجاج عن الإقامة بمكة [١٠] .

كما أن قدوم العراقيين الى مكة المكرمة للإقامة بها فرراً من جور الحجاج بن يوسف الثقفي لفت انتباه الخليفة الوليد بن عبد الملك فوضع حلاً جذرياً لهذه المشكلة بعد أن

[١] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٨٨٧ ، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣ ، ص٣٠٨.
[٢] ـ الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٥٨ .
[٣] ـ الأصفهاني : الأغاني ، ج١ ، ص٦٤ .
[٤] ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٣٥ .
[٥] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٩٢٧ ، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤ ، ص١٦٣.
[٦] ـ الشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٥٠ ، المقداد : الموالي ونظام الولاء ، ص٦٠ .
[٧] ـ السرياني : مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري ، ص١٥ .
[٨] ـ السرياني : محمد محمود ، مكة المكرمة دراسة في التغير السكاني ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٩٨٦م ، ص٤ .
[٩] ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص١٦٣ ، ١٦٤ .
[١٠] ـ الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٣٠٧.

استشار الحجاج فقام بعزل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ولاية مكة المكرمة وولى مكانه خالد القسري [1]، فقام خالد بإخراجهم من مكة[2] .

لقد استمر عدد سكان مكة المكرمة بالازدياد لاستمرار توافد الناس إليها ، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن عدداً من هؤلاء الوافدين على مكة امتلك دوراً بها مما يشير إلى استيطانهم فيها ، فكانت قبيلة ثقيف[3] إحدى هذه القبائل التي استوطنت مكة ، فحينما هاجر عليه الصلاة والسلام المدينة المنورة وهب داره لعقيل بن أبي طالب وبعد وفاته باعها أحد أولاده لمحمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج الثقفي وأصبحت تعرف بدار " إبن يوسف"[4]. كماوفدت عدة قبائل من حضرموت إلى مكة فقد تولى أحد الحضارمة " عبد الله بن عامر الحضرمي "ولاية مكة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه [5]، كما كان طلحة بن داود الحضرمي أميراً على مكة في خلافة سليمان بن عبد الملك[6]وقد امتلك بها داراً عند المروة سميت باسمه [7].

واستوطن الأعاجم بجانب هذه القبائل كالبرامكة الذين يرجعون في أنسابهم إلى الفرس فيذكر الأزرقي أن جعفر بن يحي البرمكي[8] اشترى موضع دار القوارير – كان موضعه رحبة – في خلافة هارون الرشيد فبناها ثم اشتراها حماد البربري فبنى

---

[1] - فقد كتب الحجاج إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك " إن من عندي من المراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ، وإن ذلك وهن . فكتب إليه الوليد يستشيره فيمن يوليه المدينة ومكة فأشار عليه بخالد بن عبد الله وعثمان بن حيان ، فولى خالداً مكة ".
أنظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٨١ ، ٤٨٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٥١ ، الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص٣٥٥ .

[2] - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص١١٧ .

[3] - قبيلة ثقيف من أعظم القبائل التي سكنت الطائف .
الندوي : (علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين ت١٤١٠هـ) ، السيرة النبوية ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١٢ ، ١٤٢٥هـ ، ص٢١٢ .

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٨١١ ، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣ ، ص٢٦٧، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٥٦ .

[5] - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٥٥٠ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص١٩٢ ، هورخرونيه : صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ج١ ، ص١٢٤ .

[6] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص٢٠٣ .

[7] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٨٨٠ ، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣ ، ص٢٩٨.

[8] - البرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس ، وجعفر هو أبو الفضل جعفر بن يحي بن خالد البرمكي ، وزير الخليفة هارون الرشيد استوزره هارون الرشيد ، ملقياً إليه أزمة الملك ، وكان يدعوه أخي ، فانقادت له الدولة يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه ، إلى نقم الرشيد على البرامكة فقتله في مقدمتهم ، ثم أحرق جثته بعد سنه .
أنظر : الزركلي : الأعلام ،ج٢ ، ص١٣٠ .

باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفسيفساء [1]، كما اشترى من أم السائب بنت جميح الأموية الدار التي بفوهة أجياد الكبير بثمانين ألف دينار ، وعمرها بالحجر المنقوش والساج [2].

وكان ليحي بن خالد البرمكي دار بابها شارع على فوهة سكة قعيقعان اشتراها من آل حجير التميمي [3]، كما بنى حماد البربري دار الخلد بين الصفا والمروة [4].

ومهما يكن من أمر فإن امتلاك هؤلاء الوافدين إلى مكة والأعاجم دوراً بمكة شواهد تدل على استمرارية تزايد أعداد سكان مكة المكرمة ، ويبدو أن هذا قد بدأ بصورة واسعة منذ العصر العباسي لاسيما وأنه ساد في هذا العصر العنصر الفارسي [5]، وأن أمهات الكثير من الخلفاء العباسيين كن من الجواري من أصول غير عربية ، فالخيزران يمانية الأصل كانت احدى جواري الخليفة المهدي العباسي أعتقها وتزوجها [6] امتلكت داراً سميت بإسمها " دار الخيزران " عند الصفا [7] ، وكان لمولاتها خالصة داراً بمكة [8] ، وهذا يعني أن هؤلاء كانوا يصطحبون معهم عدداً من أهاليهم وبعض أفراد عشيرتهم وخدمهم .

ولعل ما قام به الخلفاء من تولية الأعاجم ولاة على مكة المكرمة وأمراء على مواسم الحج دليل آخر يؤكد زيادة عدد سكانها ، فمن البديهي أن يستقر بجانب هؤلاء الذين يتولون إدارتها حاميات ، فقد ولى الخليفة أبو جعفر المنصور الهيثم العتكي [9] مكة وهو من أهل خراسان سنة ١٤١هـ ، كما ولى الخليفة هارون الرشيد حماد البربري [10] مكة

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٦٠٣، ٦٠٤ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص٢٠٨

[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨٧٢ .

[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨٨٥ .

[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨٩٢ .

[5] - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ٣٩٥ .

[6] - الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص٣٢٨ .

[7] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٩٠٠ ، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣ ، ص٣٣٠.

[8] - الأزرقي : المصدر السابق ،ج٢ ، ص٨٥٨ ، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٣٠.

[9] - الهيثم بن معاوية العتكي من ولاة الدولة العباسية ، من أهل خراسان ، كان والياً على الطائف ومكة سن١٤١هـ ، واستعمله المنصور سنه تقريباً ، ثم عزله واستقدمه إلى بغداد ، فلما بلغها توفي فيها وصلى عليه المنصور .
أنظر : الزركلي : المرجع السابق، ج٨ ، ص١٠٥ .

[10] - أصله من بلاد المغرب ، فالبربر اسم يشتمل على قبائل كثيرة في جبال المغرب ، أولها برقة ثم إلى آخر المغرب والبحر المحيط وفي الجنوب إلى بلاد السودان ، ينسب كل موضع إلى القبيلة التى تنزله ، ويقال لمجموع بلادهم بلاد البربر ، وقد أختلف في أصل نسبهم والأشهر

سنة ١٨٤هـ ، وتولى أشناس التركي أمر مكة المكرمة في خلافة المعتصم سنة ٢٢٦هـ[١]، وولي إيتاخ التركي على مكة المكرمة وعلى موسم الحج في عهد الخليفة المتوكل على الله[٢]، وبذلك تكون النتيجة النهائية زيادة مطردة في النمو السكاني لمكة المكرمة .

أنهم بقية قوم جالوت لما قتله طالوت هربوا إلى المغرب فتحصنوا في جبالها وقاتلوا أهل بلادها ثم صالحوهم على شيء يأخذونه من أهل البلاد وأقاموا في الجبال الحصينة .
أنظر : الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٦٨ .

[١] - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ، ج٦ ، ص٧٢ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص٢١٩ ، بن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص٢٩٦ .

[٢] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص١٦٦ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ،ص ٣٠٢ .

الفصل الثاني

النسيج العمراني لمكة المكرمة

المبحث الأول : حدود مكة المكرمة العمرانية وضواحيها

المبحث الثاني : الخطط والأحياء السكنية

المبحث الثالث : الشوارع والرحاب

المبحث الرابع : الأسواق

المبحث الخامس : المتنزهات والمقابر

المبحث الأول

حدود مكة المكرمة العمرانية وضواحيها

شهدت مكة المكرمة تطوراً في عمرانها وزيادة في عدد سكانها منذ عصور ما قبل الإسلام ، فقد سكنتها قبائل جرهم وقطورا وخزاعة وقريش[1] ، حيث جمع قصي بن كلاب قبائل قريش وأنزلهم حول الكعبة المشرفة فبنوا مساكنهم في بطن وادي إبراهيم والسفوح الجبلية المحيطة بالكعبة المشرفة من جميع الجهات[2] ، فلم تتجاوز حدود مكة في ذلك الوقت سفوح جبل أبي قبيس شرقاً ، وأعلى مكة مما يحاذي المسعى في الشمال الشرقي ، وجبل قعيقعان غرباً ، وأجياد وأول المسفلة جنوباً[3] .

وبعد ظهور الإسلام توسعت مكة المكرمة توسعاً عمرانياً هائلاً ، فقد توافد إليها الكثير من المسلمون من مختلف الأقطار الإسلامية للحج والعمرة وليتلقوا العلم عن الصحابة والتابعين فاستقر بعضهم بصفة دائمة فيها[4]، كما أنها توسعت اقتصادياً وزاد النشاط التجاري بها ، إذ بدأ العديد من أوجه النشاط الاقتصادي بالظهور فيها في شكل أسواق ومتاجر حول المسجد الحرام تلبية لرغبات السكان وتوفير كافة التسهيلات لراحة حجاج بيت الله الحرام[5] .

فزادت كثافة العمران حول المسجد الحرام وأخذ وسط أم القرى شكل المدينة المكتظة ، فقد ارتكزت قوى التطور والنمو العمراني المتمثلة في النشاط السكني والاقتصادي حول المسجد الحرام ، وأخذت بنية مكة المكرمة بالتغير والتطور فقد تحولت صورتها العامة تدريجياً منذ عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث أخذت المباني من أدوار ومنشآت بأنواعها المختلفة تزحف على

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص١٤٠، ١٥٩، ١٧٣.

[2] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٠، السنجاري : منائح الكرم ، ج١، ص٣٦٨، ٣٦٩، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٨٠، ٨١.

[3] - السرياني : مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري ، ص١٠، الحارثي : الآثار الإسلامية ، ص ٢٥.

[4] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٨٠، ٨١، السرياني : مكة المكرمة دراسة تطور الحضري، ص١٥، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٤٨.

[5] - قاضي : صادق بن عمر بن عبد الله ، الاتجاهات المعمارية الحديثة وتأثيرها على العمارة في مكة المكرمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية الهندسة والعمارة الإسلامية ، قسم العمارة الإسلامية ، ١٤٣٢هـ، ص٣٨.

الوادي نتيجة الاكتظاظ السكاني لتأخذ المدينة بالضيق وتتصف بالازدحام ، لذلك اجتاحت مياه السيول الغزيرة في عهده المباني القريبة من الوادي[1]، وهذا يعني أن المباني في العصر الجاهلي كانت بعيدة عن الوادي فلما بدأت تقترب وتزحف ناحية الوادي نتيجة الاكتظاظ السكاني أصبحت عرضة لخطر السيول لقربها منه ، يؤكد ذلك ما تذكره المصادر التاريخية إبان حديثها عن تلك السيول التي اجتاحت مكة إذ تذكر أن الناس " قد نزلوا في الوادي واضطربوا الأبنية "[2] فجرفت السيول التي اجتاحت مكة المنازل الشارعة على الوادي .

كما كان لاستغلال الساحات المحيطة بالمسجد الحرام وإقامة المباني والمنشآت عليها دوراً في ضيق المنطقة المركزية المحيطة بالمسجد الحرام ، حيث جرى تحويل الكثير منها إلى مواضع تغص بالمباني والمنشآت المختلفة ، فحوانيت أصحاب الأدم[3] بنيت في موضع رحبة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4]، كما بنيت دار زياد في موضع رحبة بين الدارين أي بين دار أبي سفيان ودار حنظلة بن أبي سفيان شرق المسجد الحرام[5]، وبنيت دار القوارير في موضع الرحبة شرق المسجد الحرام في طريق المسعى في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد[6]، كما أن دار جعفر بن يحي البرمكي قد بنيت في عهد الخليفة هارون الرشيد على رحبة تقع بين باب البقالين وباب الحناطين غرب المسجد الحرام[7] .

وتبعاً لهذه المتغيرات أخذت حدود المدينة بالتوسع ، فقد كان لمشاريع توسعة المسجد الحرام المتعاقبة الأثر البالغ في اتساع المدينة وامتداد رقعتها نحو الأطراف ، حيث اقتضت هذه المشاريع إزالة البيوت المحيطة بالمسجد الحرام وإدخال مساحتها إليه لمواكبة الزيادة المطردة في أعداد السكان ، وبناء بيوت في أماكن أبعد عن الحرم بدلاً من التكدس في الأحياء القريبة من المسجد الحرام [8] .

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٥٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١٠٤، ١٠٥ .

[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٥٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١٠٦ .

[3] - الأدم هي الجلود وقيل : هي الجلود المدبوغة .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج١٢، ص٩، ١٠ .

[4] - هذه الرحبة كانت داراً للخطاب بن نفيل بين الصفا والمروة ، فهدمها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجعلها رحبة ومناخاً للحاج .
أنظر : الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٣٢ .

[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٨ .

[6] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٠٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٦٦ .

[7] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦١٢، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٧٥ .

[8] - السرياني : مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري، ص١٦، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٤٨ .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التي تقدمها المصادر عن مراحل التطور والتمدد العمراني لمكة المكرمة منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، إلا أننا نستشف ذلك من خلال ما قام به الخلفاء المسلمين وولاتهم من مشروعات معمارية تحققت بها منذ فجر الإسلام ، ففي الناحية الشمالية من المسجد الحرام أخذت حدودها تنمو وتتسع ومن المؤكد أن بدايتها كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ذلك أنه حين أمر رضي الله عنه ببناء الردم بالضفائر والصخر العظام لتتحكم في اتجاه السيل جعل مسيله يجري بوادي إبراهيم أي الجانب الغربي ويمر بعد ذلك بالجانب الجنوبي من المسجد إلى بركة ماجن ، فكان لذلك أكبر الأثر في إحياء هذه المنطقة[1] ، فقد أصبح بالإمكان البناء بها دون الخوف من مداهمة السيول التي أصبح تأثيرها محصوراً بالجانب الغربي للردم ، مما أتاح الفرصة لأن تتقدم المباني باتجاه الجانب الشرقي للردم ، فأخذت العديد من المنشآت والمباني المختلفة تظهر عليه ونشأت بذلك "المدعى"[2]، فبنيت العديد من الأسواق المتخصصة كسوق الغنم ، وسوق الظهر أي الإبل[3]، وسوق أصحاب الحمر " الحمارين " الذي أقيم في موضع دار عتاب بن أسيد[4]، وسوق الرواسين الذي أقيم في موضع دار جحش بن رئاب الأسدي حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف[5]، وتوزعت بها دور بني عبد شمس بن عبد مناف وحلفائهم[6] .

وامتد العمران في العصر الأموي إلى مسجد الراية شمالاً عند بئر جبير بن مطعم ، كما أشار إلى ذلك الفاكهي عند حديثه عن المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة حيث يقول : " ومنها مسجد بأعلى مكة عند الردم الأعلى عند بئر جبير بن مطعم

---

[1] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٥٧، ٧٥٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١٠٤، ١٠٥، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٨٤، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٨، السنجاري : منائح الكرم ، ج١، ص ٥٢٤، ٥٢٥، العلي : الحجاز في صدر الإسلام، ص٥٦٠.

[2] ـ المدعى : بضم الميم وتشديد الدال وفتحها ، كان يسمى ب" ردم بني جمح " نسبة للردم الذي عمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والجزء الغربي من المدعى يتبع حارة القرارة والقسم الشرقي منها يتبع حارة شعب عامر .
أنظر : الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٧٥٨، أبكر : عبد الله محمد ، صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري ، مؤسسة علوم القرآن منار للنشر والتوزيع ، جدة ، ط٢، ٢٠٠٩م، ج٢، ص٧٨٨.

[3] ـ الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٢٠، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٩.

[4] ـ الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٩.

[5] ـ الأزرقي: أخبار مكة ، ج٢، ص٨٧٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٩٢.

[6] ـ الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٦٠- ٨٧٨،الفاكهي: المصدر السابق ، ج٣، ص ٢٧٦- ٢٩٩.

بن عدي بن نوفل- رضي الله عنه- ، ويقال لها البئر العليا ... كان الناس لا يجاوزون في السكن في قديم الدهر هذه البئر ، إنما كان الناس فيما دونها إلى المسجد وما فوق ذلك خال من الناس "[1].

والمسجد المقصود عند الفاكهي هو مسجد الراية المقابل لشعب ابن عامر شمال مكة على يمين المتجه من المدعى إلى المعلاة ، كما ذكر ذلك الفاسي بقوله : " المسجد المشار إليه هو المسجد المعروف بمسجد الراية ، والبئر المشار إليها لعلها البئر التي عند هذا المسجد "[2] .

يؤكد ذلك ما ذكره الأزرقي بقوله : " أن صاحب الحرس كان يطوف مكة ، حتى إذا انتهى إليه عرفاؤه وقف عنده – أي عند مسجد الجن – ولم يجزه حتى يتوافى عنده عرفاؤه وحرسه يأتونه من شعب ابن عامر ، ومن الثنية – ثنية المدنيين – فإذا توافوا عنده رجع منحدراً إلى مكة "[3].

وفي ضوء هذا الاعتبار فمن الواضح أن التمدد باتجاه الشمال الشرقي كان قد وصل إلى مسجد الراية بالجودرية بجوار بئر جبير بن مطعم بن عدي[4] ، فكان هذا الحد منتهى أعلى مكة في العصر الأموي أواخر القرن الأول الهجري بالتحديد ، استناداً إلى تاريخ وفاة عمر بن أبي ربيعة[5] المتوفى سنة (٩٣هـ / ٧١١م) القائل :

نزلت بمكة في قبائل نوفل	ونزلت خلف البئر أبعد منزل
حذراً عليه من مقالة كاشح	ذرب اللسان يقول ما لم يفعل

ولم يتقدم العمران في مكة المكرمة في العهد العباسي ، فقد ظل عمرانها في هذا العهد على ما عرفناه في العهد الأموي وذلك بسبب تردي الأوضاع الأمنية

---

[1] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩.
[2] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٩.
[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٤، ٨١٥.
[4] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٩، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٢٣.
[5] - عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، شاعر مخزومي قرشي لم يكن في قريش أشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون ، ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣هـ ، يكنى بأبي الخطاب وأبا بشر ، ولقب بالمغيري أيضاً نسبة إلى جده أحد شعراء الدولة الأموية ويعد من زعماء فن التغزل في زمانه ، وهو من طبقة جرير والفرزدق والأخطل ، توفي سنة ٩٣هـ .
أنظر : الاصفهاني : الأغاني ، ج١، ص٦٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣، ص٤٣٦-٤٣٩، الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٣٤٣.

والسياسية[1] ، فكانت حدودها حتى العهد العباسي قريبة جداً من أسوارها وفي ذلك يقول الفاسي : " كان لمكة سور من أعلاها ... قريباً من المسجد المعروف بمسجد الراية ... وأنه (أي السور) من الجبل الذي جهة القرارة ويقال له لعلع إلى الجبل المقابل له الذي إلى جهة السوق أي سوق الليل ، لأن التحصن بهذا السور لا يتم إلا بأن يكون هكذا ، وفي الجبلين المشار إليهما آثار بناء تدل على اتصال السور بهما ، ... ويقال الآن لموضع باب السور المشار إليه الدرب الدارس ...)[2] .

ويصفها ناصر خسرو في منتصف القرن الخامس الهجري بقوله : " تقع مكة بين جبال عالية ولا ترى من بعيد ، من أي جانب يقصدها السائر ، وأقرب جبل منها هو جبل أبي قبيس .... وتشغل هذه المدينة " أي مكة المكرمة " الوادي الذي بين الجبال والذي لا تزيد مساحته عن رمية سهمين في مثلها ، والمسجد الحرام وسط هذا الوادي ومن حوله مكة والشوارع والأسواق "[3].

كذلك فأن الحدود الشمالية الغربية أخذت بالتوسع وامتدت أفقياً حتى وصلت إلى حدود الجبال ، فبعد أن تكدست بطون الأودية المحيطة بالمسجد الحرام بالمساكن كان لابد من الزحف والتوسع على سفوح الجبال القريبة منه ، فارتقوا الناس سفوح جبل قعيقعان واستمروا في الاتساع عبر قممه ، وذلك لرغبتهم في أن تكون مساكنهم مطلة مباشرة على المسجد الحرام.

فبدأت تظهر أحياء جديدة وكانت بداية البناء به في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، فالديلمي مولى معاوية بن أبي سفيان كان أول من بنى به فنسب إليه[4]، وهو الجبل المشرف على المسجد الحرام من الناحية الشمالية الشرقية جهة المروة وأصبح يعرف فيما بعد " بجبل القرارة "، كما بنت تفاحة مولاة معاوية بن أبي سفيان في جبل تفاحة المشرف على شعب ابن عامر فنسب إليها ذلك الجبل[5] ، و أخذت الحركة العمرانية بالاندفاع نحو هذه الأماكن لتشغل مساحات واسعة منها ، وان كانت المصادر لا تقدم تفاصيل موسعة عن هذه التطورات العمرانية في هذه المنطقة يمكن من خلالها التعرف على التغيرات التي شهدتها حدود المدينة في هذه المنطقة ، وانتقل بنو أبي حسين النوفلي من المنطقة

---

[1] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٣٧- ١٤٦، ١٦٣- ١٧٦.

[2] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٧.

[3] - خسرو : (أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي ت٤٨١هـ) ، سفر نامة ، تحقيق : يحي الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٢١.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٧٥.

[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٣٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤،ص ١٧٦ .

الواقعة بين الصفا والمروة في طريق المسعى[1] إلى جبال اليحاميم " السليمانية " وذلك بعد أن أزيلت بيوتهم وأدخلت في مساحة المسجد الحرام[2] .

وقد أدى ذلك الوضع إلى ظهور شوارع جديدة تتكيف مع هذه التوسعات ، منها طريق الفلق الذي عمله ابن الزبير رضي الله عنه لتتصل بساتينه في ذلك الطريق أي النواحي القريبة من جبال اليحاميم " السليمانية " ببيوته في نواحي سويقة[3] ، وهذا لايعني أن هناك اتصالا في العمران تجاوز مسجد الراية في الجودرية عند بئر جبير بن مطعم إلى جبال اليحاميم " السليمانية "، بدليل البساتين التي أنشأها ابن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في هذه المواضع ، فعادة ما تقع البساتين في تخطيط المدن في خارج البلدة وأطرافها أي ضواحيها[4] .

ولم يكن توسع حدود مكة قاصراً على النواحي سابقة الذكر ، بل أخذت رقعتها العمرانية بالتوسع ناحية الجنوب ، وذلك من خلال التوسعات التي قام بها الخلفاء المسلمون للمسجد الحرام والتي كان من أبرزها توسعة الخليفة العباسي محمد المهدي ، حيث تمت إزالة وادي إبراهيم عليه السلام في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام ، وذلك لكي تكون الكعبة المشرفة في وسطه[5]، الأمر الذي أجبر السكان الذين هدمت منازلهم إلى السكن خارج نطاق المنطقة المركزية[6] ، ومن ثم فقد أخذت إمكانيات النمو والتوسع في المدينة تتجه نحو منطقة التوسع الطبيعي لها وهي الناحية الجنوبية ، فاتجهت ناحية " الكثيب " أسفل جبل خليفة[7] ، وأنشئت بها الكثير من المباني والمصانع فكانت " من أعمر فج بمكة ، وأكثره أهلا وصانعاً . وفي هذا الفج زقاق جحوش وفيه زقاق وحوح بن الأسلت أخي أبي مقير بن الأسلت . وإذا أفضيت منه أفضيت إلى رباع للكنانيين ، فمنها دار مالك بن الضجنان الكناني

---

[1] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٨٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٠٢.
[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٣٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٧٨.
[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٣٨، الفاكهي : أخبار مكة ،ج٤،ص١٧٦، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٢٤.
[4] - السباعي : المرجع السابق ، ج١، ٢، ص١٢٤.
[5] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٦١١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٧٣، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢١٧، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص١١١، ١١٢، مطر : تاريخ عمارة الحرم المكي ، ص١٤٤.
[6] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٨١، السرياني : مكة المكرمة ، ص١٦، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٤٨.
[7] - وهي المنطقة التي تشمل السوق الصغير من الهجلة حتى المسيال .
أنظر : الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩١، هامش رقم ٥.

، يعرف اليوم بدار مالك . ولهم ربع عند بيوت المكندري . وفيه ربعٌ في أول الزقاق لابن حفيص بن محلفا ، مولى آل ماجدة "[1] .

وبالنظر إلى النص السابق يتضح أن هناك عملية بناء واسعة النطاق قد جرت في هذه المنطقة ، وأخذ العمران بالتزايد في مواضع أخرى أسفل مكة في المناطق الملاصقة لسور مكة الجنوبي عند بركة ماجن في الطريق المؤدي لليمن قريباً من الرمضة " قوز النكاسة "[2] .

ومن الواضح أن هذه الأحياء التي نشأت – أسفل مكة – إنما كانت بديلة لتلك الأحياء التي أزيلت من الجهتين الغربية والجنوبية من المسجد الحرام بعد توسعة الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور والخليفة العباسي المهدي[3] ، يدل على ذلك انتقال أسماء مواضع بعض رباع بني مخزوم وبني جمح من موضعهم القديم المجاور للمسجد الحرام إلى المناطق القريبة من سور مكة الجنوبي ، فرباع بني مخزوم عندما خططت في بادئ الأمر كانت تقع جنوب المسجد الحرام ، وكذلك كان الحال بالنسبة لرباع بني جمح التي كانت تقع في ظهر الكعبة المشرفة غرب المسجد الحرام[4] ، بينما أصبحت تقع بعد التوسعتين المذكورة آنفاً أسفل مكة قريبة جداً من سورها الجنوبي في قرن القرط والمقنعة وصولاً إلى اللاحجة " ريع بخش " ، فيذكر الفاكهي بأنها كانت : " آخر عمران مكة من أسفلها " ويظهر من كلامه أن التمدد باتجاه الجنوب أسفل مكة حتى نهاية القرن الثالث تقريباً لم يكن يتجاوز اللاحجة وهي ما يسمى اليوم ب " ريع بخش "[5] .

ومن المؤكد أيضاً أن الحدود الجنوبية الغربية الملاصقة لجبل عمر قد شهدت توسعات شبيهة بتلك التي حدثت لحدودها الشمالية والجنوبية ، فهذه الناحية طرأت على حدودها تغيرات فقد اتجهت المدينة بالتوسع ناحية الشمال الغربي ، جهة

---

[1] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩١.

[2] - المقدسي : (أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٣، ١٩٩١م، ص٧٤، ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص٦٩، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٥، عجيمي : (هشام محمد علي) ، التحصينات الحربية لمكة المكرمة حتى نهاية العصر المملوكي ، مجلة كلية الآثار ، ع٦، ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م، جامعة القاهرة ، مصر ، ص١١.

[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٥٩٩- ٦١٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٦٢- ١٧٤، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٠٦- ٢١٦، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٩٢- ١١٢، مطر : عمارة الحرم المكي ، ص١٣٣- ١٤٤، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٣٩- ٤١.

[4] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٦٠، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٨٣.

[5] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٤.

الشبيكة[1] بالقرب من السور الذي بني في حارة الباب شمال الشبيكة[2] ، فسكنت في هذه المواضع قبائل بني عدي بن كعب وهي قبيلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقبيلة خزاعة وهذيل وبني جمح[3] .

ولم تقف حدود النطاق العمراني عند هذا الحد فمن المعروف أن كثيراً من السكان كانوا يسكنون إلى مسافات تتجاوز إطار هذا الحد كثنية كدى " ريع الرسام " وكذلك جبل المقلع وجبل الحصحاص والمَربع ووادي فخ[4] ، فالمراد بالتحديد هو تحديد النطاق العمراني المتصل وهو لا يمنع من وجود مساكن في ضواحي البلد الحرام القريبة أو البعيدة .

أما بالنسبة للحدود الشرقية فانه ليس بالإمكان تلمس تطورات بارزة طرأت عليها ، حيث يبدو أن وجود جبل أبي قبيس في هذه الناحية قد حد بشكل كبير من حدوث أي تطورات ملموسة في هذه الناحية .

ان العرض السابق يقودنا إلى تصور واضح عما كانت عليه حدود عمران مكة المكرمة حتى منتصف القرن الرابع الهجري فقد كانت قريبة جداً من أسوارها ، وان كانت المصادر لا تقدم معلومات واضحة عن حدود مكة المكرمة في العصر العباسي ، فانه بالإمكان القول بأنها كانت محدودة جداً ، فمن الملاحظ أنها من الناحية الشمالية جهة المعلاة قد سبقت الاشارة إلى أنها لم تتجاوز مسجد الراية المقابل لفوهة شعب عامر حتى نهاية العصر الأموي ، وهو نفس الموضع الذي بني به السور الممتد من جبل القرارة " لعلع " إلى الجبل المقابل له جهة سوق الليل[5] ، وهذا يشير بوضوح إلى أنها لم تتسع حدودها من هذه الناحية في العصر العباسي عما مضى ، أما حدودها الجنوبية والغربية فقد شهدت بعض التوسعات المحدودة ،

---

[1] - الشبيكة : تصغير الشبكة التي يصاد بها ، حي من أحياء مكة يقع من المسجد الحرام غرباً إلى الممادر " ريع الحفائر " وشمالاً إلى حارة الباب .
أنظر : البلادي : عاتق غيث ، معجم معالم الحجاز ، دار مكة ، مكة المكرمة ، ط١، ١٩٨٠م، ج٥، ص١٨.

[2] - ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص٦٩، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٥، عجيمي : التحصينات الحربية ، ص ١٠، الحارثي : (عدنان بن محمد بن فايز) ، أسوار مكة ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ط١، ٢٠٠٨م، ج٢، ص٥٢٨ .

[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٥٦- ٩٥٩، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٢١٠-٢١٣.

[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٩- ٩٦٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٤- ٢٢١.

[5] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٧، الحارثي : الآثار الإسلامية في مكة ، ص١٩٢.

حيث تجاوزت أجياد وأطراف المسفلة فقد أخذ بعض السكان بالانتقال من موقعهم القديم في الناحية الجنوبية من المسجد الحرام بعد التوسعات التي أجريت له[١] ، إلى موقع جديد بالقرب من أسوارها الجنوبية والغربية ناحية الشبيكة وبركة ماجل في الطريق المؤدي لليمن[٢] .

وهذا يعد أمراً طبيعياً لاسيما إذا علمنا ما كان يتهدد المدينة المقدسة من أخطار طوال عهد الدولة العباسية ، إذ شهدت اضطرابات وفوضى عظيمة ومجاعات وأوبئة ومحاصرات عسكرية واقتصادية ، لذلك عمد السكان إلى الاقتراب من أسوارها طلباً للحماية وسرعة اللجوء إلى داخلها أمام أي نوع من التهديدات[٣] .

الضواحي :

هي عبارة عن تجمعات عمرانية نشأت لتخفيف من الضغط السكاني عن المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام دون أن تبعد عنها كثيراً ، فهي امتداد حضري للمدينة وملحقة بها وليست كيانا وظيفياً مستقلاً [٤] .

وقد أنشئ في بعض المدن تخصص وظيفي للضواحي بالنسبة إلى الكتلة الأساسية للمدينة ، فهناك الضواحي الصناعية – والضواحي العمالية – والضواحي السكنية ، بالإضافة إلى الضواحي الزراعية التي تقع على مشارف مساحة المدينة[٥] .

وقد ظهرت الضواحي في المدينة المقدسة نتيجة التوسع العمراني الكبير الذي شهدته ، فقد كان للتوسعات المتتالية التي أجريت للمسجد الحرام الدور الرئيسي الذي دفع السكان الذين هدمت مساكنهم وأدخلت في مساحة المسجد الحرام إلى السكن خارج نطاق المنطقة المركزية المحيطة بالمسجد الحرام ، فنشأت من ذلك

---

[١] - أنظر توسعة الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وتوسعة الخليفة المهدي .
الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٥٩٩- ٦١٢، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٦٢- ١٧٤، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٠٦- ٢١٦، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٩٢- ١١٢، مطر : عمارة الحرم المكي ، ص١٣٣- ١٤٤، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٣٩- ٤١.

[٢] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٤٨- ٩٥٩، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ١٩١- ٢١٣.

[٣] - عن هذه الثورات والاضطرابات .
أنظر: ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٢٠، ٢٦٥-٢٦٩، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٣٧- ١٧٦.

[٤]- خليل : علي لطفي رضا ، اتجاهات التطور العمراني في ضواحي غرب نابلس والعلاقات المكانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، ٢٠٠٥م، ص٣٢.

[٥] - اليزيدي : مها سعيد سعد ، عمران المدينة المنورة وخططها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ٢٠١١م، ص٣٤.

فكرة إنشاء الضواحي ، فهي في كثير من الأحيان نمت بشكل صغير ومتواضع ، فكانت عبارة عن بساتين ومجموعة متناثرة من المساكن والمساجد والآبار بنيت بعيداً عن الكتل السكنية للمدينة .

ففي الناحية الشمالية يوجد مجموعة من الضواحي كشعب أبي دب وشعب الصفي وشعب الخوز وشعب عمرو وشعب عثمان وشعب بني كنانة والثقبة وثنية أذاخر وشعب آل قنفذ ، وقد توزعت في هذه الضواحي البساتين التي أخذت بالامتداد إلى الخرمانية وإلى المحصب في الطريق المؤدي إلى منى[1] ، والتفت حول البرك الواقعة فيها ، التي بدأت البساتين والمتنزهات بتطويقها ، كما حدث لبركتي هارون الرشيد ، وبركتي سليمان بن جعفر ، وبركة السيدة زبيدة[2] .

وأخذت هذه الضواحي بالنمو والتطور ، فقد توجهت جهود العباسيين نحو بنائها ، فبنوا فيها العديد من الدور والقصور ، مثل قصر أبي جعفر المنصور وقصر محمد بن داود في جبل العير " جبل المعابدة "[3]، وقصر صالح بن العباس في جبل العيرة الذي يفصل بين شعب عمرو " الملاوي " وشعب عثمان " الروضة "[4]، وقصر الفضل بن الربيع وبيوت آل جريج في الثقبة " الغسالة "[5]، وقصر محمد بن خالد البرمكي وبيوت ابن لاحق في الرباب[6] .

كما بنوا فيها المساجد ومن أبرز هذه المساجد ، مسجد آل قنفذ الذي صلى في موضعه النبي صلى الله عليه وسلم عند عودته من منى ، ويقع هذا المسجد في المحصب على يسار المتجه إلى منى بالأبطح " المعابدة " في مدخل شعب آل قنفذ ، وفي هذا الشعب كان يسكن آل خلف من بني مخزوم[7]، ومسجد بغا الكبير في شعب أبي دب بناه ونثل البئر وبنى بجانبه سقاية يسقي فيها الماء[8] ، والمسجد الذي صلي

---

[1] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٦.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥١- ٨٥٤، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢١- ١٢٧.
[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٢٢، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٨٢.
[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٢٢، هامش رقم ٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٥٤ ، هامش رقم ٤.
[5] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٦٨.
[6] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٢٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٥٩.
[7] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٤١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٨٠- ١٨١، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٠، أبكر : صور من تراث مكة المكرمة ، ج١، ص٧٦، الحارثي : الآثار الإسلامية ، ص١٨٥.
[8] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩١٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٤٠، ١٤١.

فيه على أبو جعفر المنصور ويقع عند الخطيم في جبل نزاعة الشوى شمال شرق مكة بين شعب الصفي وشعب الخوز ، بالقرب من بيوت القاسم بن أيمن وبيوت ابن قطر فالمساجد تعمر بعمارة ما حولها[١] .

أما وادي فخ فيبدأ من شعب بني عبد الله " العسيله " وينتهي بالمحدث " أسواق الدواس " إلى أن يصل إلى الثنية البيضاء عند منطقة الشهداء ، فيطلق عليه بعد الثنية البيضاء بلدح " الزاهر " فإذا تجاوز بلدح أطلق عليه أم الدود[٢]، وفخ مشهور بتلك الواقعة التي وقعت يوم التروية سنة ١٦٩هـ بين العلويين بقيادة الحسين بن علي وبين العباسيين بقيادة العباس بن محمد وانتهت بهزيمة العلويين[٣] .

يتميز وادي فخ بوجود المزارع والبساتين الخضراء التي ظلت قائمة حتى سنة ٢٤٦هـ ، حيث قدم اسحق بن سلمة وقطع شجره وأبطل هذا الحائط وصرف عينه إلى بركة الحصحاص ، وذلك بسبب قلة المياه ، ولكن لم ينتفع الناس بشيء من مائه ، فأعيدت عمارته من جديد وصرفت عينه إليه كما كانت قبل[٤] ، وامتدت هذه البساتين إلى المنطقة المحيطة بجبل البرود ، ففي المربع عمل مبارك الطبري بستاناً ولكنه دُثر ولم يعد له أثر وبقيت عينه قائمة[٥] .

بالإضافة إلى وجود مقابر لهذه الضاحية تقع عند جبل البرود في الشهداء تعرف ب" مقبرة الشهداء " أو " مقبرة المهاجرين "[٦]، وبالقرب منها بيوت أبي أحمد المخزومي[٧] ، وبجانبها في جبل المقلع يمين المتجه إلى المدينة بيت عبد الله بن يزيد مولى السري بن عبد الله[٨] .

وعند الثنية البيضاء في الطريق المؤدي إلى المدينة المنورة بالتنعيم مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها الذي أحرمت منه في حجة الوداع ، وقد أشار الأزرقي إلى

---

١ - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٤٦ .
٢ - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٦١، هامش رقم ٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٦، هامش رقم ٢، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٤٢ .
٣ - البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢١١ .
٤ - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢٥، ١٢٦ .
٥ - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢٢٠ .
٦ - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٦٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٥، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢١٢ .
٧ - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٦٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢٢٠ .
٨ - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٦١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٦ .

أنه كان خراباً في زمنه ثم توالت عليه التجديدات ، فجدد عمارته أبو العباس عبد الله بن محمد بن داود ، ثم جددت عمارته أم المقتدر العباسي سنة ٣١٠هـ[١] .

أما وادي طوى فهو الوادي الذي يبدأ بالحجون بين مهبط ثنية مقبرة المعلاة " العتيبية " ويمتد إلى الثنية الخضراء " ربع الكحل " ماراً بالممدرة " الطندباوي " ويعرفها العامة ب " الحفاير"[٢].

وفي وادي طوى مسجد السيدة زبيدة بأزج ، يقع مابين ثنية المدنين المشرفة على مقبرة مكة وبين الثنية التي تهبط على الحصحاص ، وقد بني هذا المسجد في الموضع الذي نزل به الرسول صلى الله عليه وسلم حين اعتمر وحج[٣] .

وبالقرب منه عند مفترق الطريقين طريق التنعيم وطريق جدة مسجد آخر يقال له مسجد النبي صلى الله عليه وسلم[٤] .

وبالقرب منه في ثنية كُدى " ربع الرسام " بيوت ليوسف بن يعقوب الشافعي ودور لبني هذيل[٥]، كما سكنت قبيلة آل عدي بن كعب وهي قبيلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السفوح المحاذية لجبل عمر وسكنت إلى جانبها قبيلة هذيل وخزاعة[٦] ، بالإضافة إلى البستان الذي أنشأه يحي بن خالد البرمكي في جرول الخلفية أو جرول الخضراء[٧] .

أما الضواحي الجنوبية ناحية المسفلة فكانت تحيط بها المتنزهات والبساتين وأماكن تجتمع فيها مياه الأمطار ، ففي المشاجب والجر والميزاب في أجياد الكبير محبس للأمطار ، وفي الأصفى " المصافي " مواضع يجتمع فيها الماء في أيام الربيع والخريف[٨] ، وفي جبل الميثب أسفل الرمضة " قوز النكاسة " ردهة تمسك الماء[١] ،

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٢٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٥، ص٦١، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٣٥٤.

[٢] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٦٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٥، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص١٦٨.

[٣] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٢٢، ٨٢٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٣٣، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٢، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢٧٢، الحارثي : الآثار الإسلامية ، ص١٩٥.

[٤] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٢٧.

[٥] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٥٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٤.

[٦] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٢.

[٧] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٣، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٤، ٣٥.

[٨] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٢، ١٩٣.

وكان سيل وادي مكة يجتمع في إضاءة لبن " العكيشية " [٢]، وبالقرب منه في إضاءة الحمام وجبل السرد محبس للأمطار[٣] .

وكان شعب خم من أشهر المتنزهات في مكة في الجاهلية والإسلام[٤] ، وبه عدة بساتين تتصل بالليط وجرول[٥] ، وتعد منطقة الكثيب أسفل جبل خليفة إلى موقف البقر " من أعمر فج بمكة ، وأكثره أهلاً وصانعاً "[٦]، وكانت منازل بني جمح تمتد من قرن القرط بذنب أجيادين " قوز النكاسة " وفيها دور لبني مخزوم[٧] ، وفي اللاحجة " ربع بخش " بيوت أبي أحمد المرواني[٨] .

---

[١] ـ الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩٤.
[٢] ـ الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٥.
[٣] ـ الفاكهي : المصدر السابق ،ج٤، ص١٩٦.
[٤] ـ الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٨.
[٥] ـ السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٦.
[٦] ـ الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩١.
[٧] ـ الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٢- ٢٠٣.
[٨] ـ الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٤.

المبحث الثاني

الخطط والأحياء السكنية

الخطط والأحياء السكنية :

مفرد خطط تدل على اتخاذ موضع من الأرض لعمارته والبناء عليه[١] ، فتخطيط الأرض تحديدها بأن يجعل لها خطوط وحدود وذلك لتهيأتها للعمارة والبناء[٢] ، فهو عبارة عن وضع خطة لتحقيق أهداف المجتمع في منطقة جغرافية ما في مدى زمني محدد[٣] .

أما الخطة تعني الشكل الذي تبدو عليه المدينة من خلال انتظام شوارعها وميادينها وتجمعاتها السكنية وفق نظام معين يعطيها شكلاً حضارياً تختلف عن غيرها من المدن التي تنمو وفق خطة اخرى[٤] ، وتحدد محاور النمو العمراني فيها تبعاً للظاهرات المحلية التي يتميز بها هذا المكان ، سواء كانت تلالاً أو بحيرات[٥] .

والخط هو موضع كل حي من الأحياء السكنية[٦] .

والأحياء السكنية اشتق اسمها من لفظة المحلة[٧] ، ويقصد بها المكان الذي تتخذه القبائل منزلاً لهم بمعنى أنه أصبح موضعاً لسكناهم[٨] .

وتعتبر الأحياء السكنية من أهم مظاهر التخطيط العمراني للمدينة ، بل هي القسم الرئيسي من أقسام المدينة ، وذلك لأنها تعكس من خلال دورها ومنشآتها عن النشاط السكني للبشر القاطنين بها والمستوى الحضاري الذي وصل إليه المجتمع[٩] ، فلقد شهد النشاط السكني في المدينة المقدسة العديد من المتغيرات الهامة ، التي كان لها آثارها العميقة على خططها وأحيائها ، ولكن قبل الخوض في شرح تفاصيل هذه التطورات ينبغي التعرف على أنواع الأحياء السكنية التي تحدثت عنها المصادر ، حيث نجد أن المصادر تحدثت عن عدد من الأنواع وهي : الرباع ، والأخطاط ،

---

[١] - الجوهري : الصحاح ، ج٣، ص١١٢٣.
[٢] - المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، القاهرة ، ج١، ص٢٤٤.
[٣] - أبو عيانة : فتحي محمد ، جغرافية العمران دراسة تحليلية للقرية والمدينة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ص١٩٤.
[٤] - محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، مجلة عالم المعرفة ، العدد ١٢٨، أغسطس ١٩٨٨م، مجلة شهرية الكويت ، ص٨٥.
[٥] - أبو عيانة : جغرافية العمران ، ص١٩٤.
[٦] - الزبيدي : تاج العروس ، ج١٩، ص٢٥٠.
[٧] - الزبيدي : المرجع السابق ، ج٢٨، ص٣٢٠، المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، ج١، ص١٩٤.
[٨] - ابن منظور : لسان العرب ، ج٤، ص٢٩٨.
[٩] - محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص١٥٣.

والأزقة[1] ، وجميعها تحمل نفس معنى الأحياء السكنية ، فوجود هذه الصيغ المتواردة على معنى واحد ربع ، خط ، زقاق – يعكس تنوع وتشعب المدينة الإسلامية في تكوين أحيائها السكنية ، ووجود فروق معينة فيما بينها[2] .

ومكة المكرمة عرفت فن العمارة والتخطيط منذ أمدٍ بعيد ، حين قام قصي بن كلاب جد الرسول صلى الله عليه وسلم بتخطيط الوادي ليكون أساساً بسيطاً لتخطيط مدينة مكة ، فقسمه إلى أربعة أرباع ، بمعنى أنه جعل الوادي أربعة أحياء كبرى تدور كلها حول الكعبة المشرفة[3] ، وترك بين الكعبة والأحياء دائرة بمقدار المطاف المحيط بالكعبة على شكل دائرة بيضاوية من الشمال إلى الجنوب ، وهي المساحة الخالية بين الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام[4] ، فخصص لكل قوم من قريش حياً فنزل بني عبد مناف وبني زهرة في مقابل باب الكعبة ، ونزل بني مخزوم ومعظم قبائل __من قريش مقابل الواجهة التي بين الركنين (الركن الأسود والركن اليماني) ، ناحية أجيادين ، ونزل بني جمح وبني سهم في ظهر الكعبة – غرب المسجد الحرام – ونزل بني عبد الدار وبني أسد في مقابل وجه الكعبة من جهة الحطيم ، ونزل بني عدي أسفل الثنية بين بني جمح وبني سهم[5] .

وبذلك بدأ العمران يدب في الوادي فكانت مسؤولية توزيع الخطط في يد قصي الذي جمع كل قبيلة في خطة خاصة بها ، وتركت حرية تقسيم الخطة للقبيلة وفقاً لإمكاناتها وظروفها في الإنشاء والتعمير ومدى الحاجة إلى ذلك[6]، وبلغت حركة البناء ذروتها من جميع الاتجاهات المحيطة بالمسجد الحرام وعلى كل المحاور فبنيت المنازل ملاصقة للمسجد الحرام فكانت الفراغات والأماكن المفتوحة قليلة والشوارع ضيقة[7] .

وقد تأثر تخطيط المدينة بالسلاسل الجبلية المحيطة بوادي إبراهيم عليه السلام التي كان لها الأثر البالغ في توزيع أحياء مكة ، إذ كانت بداية العمران منحصرة في بطن الوادي وعند السفوح الجبلية المحيطة بالمسجد الحرام من جميع جهاته .

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٧- ٩٠٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٥٩-٣٥٢.

[2] - الحارثي : أثر صلاح الدين الأيوبي ، ص٣٣٣.

[3] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٥، ص١٨٢، الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٨٥.

[4] - البتنوني : محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، مكتبة المعارف ، الطائف ، ط٣، ص١٢٢، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٨٠.

[5] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص٢٨٨، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٨٣.

[6] - محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية ، ص٤٩.

[7] - فارسي: محمد سعيد ، التكوين المعماري والحضري لمدن الحج بالمملكة العربية السعودية ، مكتبات عكاظ ، جدة،ط١، ١٩٨٤م، ص٦٢.

وبناءاً على ذلك يمكن القول أن موضع المدينة لعب دوراً حاسماً في توجيه تخطيط المدينة ، لذلك اتخذت المدينة شكلاً طولياً في اتجاه الوادي نتيجة لامتداد الطرق[1] .

وهذا ما جعل إمكانية التوسع العمراني تأخذ اتجاهين شمالي وجنوبي " المعلاة والمسفلة " أكثر من التوسع باتجاه الشرق والغرب .

وهناك نوعان من الأحياء :

النوع الأول يميل إلى الخصوصية في تكوينه متخذاً شكلاً أكثر ترابطاً وتقارباً فيما بين أجزائه المختلفة ، ويندرج في إطار هذا النوع الأحياء التي تعرف بالرباع ، فالرباع في تكوينها العمراني حي سكني تميل عناصره إلى التقارب فيما بين بعضها البعض ، حيث اشتق اسمها من لفظة المحلة والمنزل ، فهي المكان الذي يتخذه قوم من الأقوام محلاً لهم أي أنه أصبح موضعاً لسكناهم[2] ، وهي مجموعة من البيوت تسكنها قبيلة واحدة ، لكل أسرة من هذه القبيلة بيت من تلك البيوت المكونة للرباع ، ومن الواضح أن وجود التقارب في بناء الدور قد أدى إلى أن تميل الرباع إلى الخصوصية في تكوينها البشري ، فجعل توزيع السكنى يقوم على أساس الإنتماء القبلي ، ذلك أن رباعها قد أخططت لكي يكون كل منها خاص بقبيلة معينة .

كما أدى وجود التقارب في بناء الدور إلى جعل العناصر العمرانية لتلك الرباع تميل إلى الخصوصية في أغراضها ، فالشوارع والأزقة الموزعة في تلك الرباع كانت مخصوصة بها حتى إنها سميت بأسماء القبائل التي نزلت بها أو بأسماء الحرف والصناعات وأنواع التجارة التي كانت تباع فيها .

فزقاق العطارين سمي نسبة إلى العطارين الذين يبيعون العطر ، وهو إسم جامع للطيب وحرفتهم العطارة[3]،وزقاق الحدادين سمي بالحدادين الذين يصنعون الحديد للانتفاع به[4]حيث يقومون بصناعة الأواني المنزلية الحديدية وصناعة الأسلحة[5] ،وزقاق الخرازين مقابل رحبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسمي بذلك نسبة إلى الخرازين الذين يقومون بدباغة الجلود للإستفادة منها في صنع النعل والخيام والأواني الجلدية[6] ،وزقاق الحكم مقابل دار الحكم بن أبي العاص ودار سعيد بن

---

[1] - أبو عيانة: جغرافية العمران،ص١٩٧، ١٩٨ .
[2] - الجوهري : الصحاح ، ج٣، ص١٢١١، ابن منظور : لسان العرب ، ج٨، ص١٠٢، الزبيدي : تاج العروس ، ج٢١، ص٢٣.
[3] - ابن منظور: لسان العرب ،ج٤،ص٥٨٢.
[4] - ابن منظور : المرجع السابق ،ج٣،ص١٤١.
[5] - السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية ،ص١٥٦.
[6] - السيف: المرجع السابق ، ص١٥٩، ١٦١.

العاص[1] ،كلها أزقة نافذة إلى شعب أبي طالب[2] وإلى بقية الحارات ، أما زقاق النجارين في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد الحرام في شعب عامر سمي بالنجارين الذين ينحتون الخشب[3] فيصنعون منه الأبواب والكراسي والأواني المنزلية[4] .بالإضافة إلى زقاق الجزارين وزقاق الحذائين، والجزارين مهنتهم الجزارة وهو الموضع الذي تنحر فيه الإبل وتذبح البقر والشاة وتباع لحمانها[5] ،أما زقاق الحذائين سمي نسبة إلى الحذائين الذين يصنعون النعل[6] وكانت نافذة إلى سويقة شمال المسجد الحرام .

وانعكست هذه الخصوصية على شكل الرباع المحيطة بالمسجد الحرام ، فاتخذت شكلاً يميل إلى الالتفاف حول مركزها الديني " المسجد الحرام"[7] ، ولم تكن الخطط تختلف في تكوينها المعماري عن الرباع ، فهي في تكوينها البشري تقوم على أساس الانتماء القبلي ، مثل خط بني جمح الذي يقع في الجهة الغربية من المسجد الحرام كان أكثر سكانه من قبيلة بني جمح[8] .

أما النوع الثاني من الأحياء فهو الذي لا يميل إلى الخصوصية في تكوينه أو التماسك في شكله ، ويشمل هذا النوع عدداً من الأحياء تتمثل في الخطط والأزقة ، وتتميز هذه الأحياء بوجود شارع رئيسي يخترقها تتفرع عنه الطرقات والممرات التي تؤدي إلى الأحياء[9] ، ففي الأصول اللغوية لهذه المسميات نجد أن لها علاقة

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢،ص٨٦٩.

[2] - شعب أبي طالب : هو الشعب الذي آوى إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وبني هاشم عندما حاصرتهم قريش ويقع في شرق المسجد الحرام وكان يعرف بشعب أبي يوسف ثم سمي شعب أبي طالب ثم شعب بني هاشم يسيل هذا الشعب بطرف جبل أبي قبيس من الشمال بينه وبين الخندمة .

أنظر : ابن هشام: السيرة النبوية ، ج١، ص٣٥٠، ٣٥١، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص١٤٥.

وكانت به مساكن بني هاشم وبه ولد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن هذا الشعب كان لهاشم بن عبد مناف جد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم آل لابنه عبد الطلب بن هاشم فلما ذهب بصره قسمه بين أولاده فورث النبي صلى الله عليه وسلم نصيب والده عبد الله بن عبد المطلب .

انظر : الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٨٥٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣،ص٢٦٥.

[3] - ابن منظور : لسان العرب ، ج٥،ص١٩٣.

[4] - السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص١٦٤.

[5] - ابن منظور : لسان العرب ، ج٤،ص١٣٥.

[6] - ابن منظور : المصدر السابق ، ج١٤، ص١٧٠.

[7] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٨١، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٥٣ .

[8] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٤، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٣٧- ٣٤٣.

[9] - النويصر: محمد بن عبد الله ، خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٩٩م، ص٤٦.

بالشارع ، فالخط موضع الحي وهو الطريق الشارع[1] ، والزقاق هو الطريق الضيق نافذاً كان أو غير نافذ[2] ، فهي تستخدم للانتقال من منطقة إلى أخرى ، مثل الشارع الذي كان يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ويعرف ب" الطريق العظمى "[3]، كان الشارع الرئيسي بمكة فهو يعد " أطول شارع بمكة المكرمة وأكثرها استقامة ومن أحسنها بناء وأكثرها ضوضاء وازدحاماً "[4] ، وقد وصفه المستشرق الهولندي سنوك هورخرونيه بأنه " أعرض شوارع المدينة المقدسة "[5] ، وكان هذا الطريق يحيط بالمسجد الحرام ويخترق عدداً من الأحياء الواقعة على امتداداته ، مثل شعب ابن عامر ، وشعب بني هاشم ، وخط بني جمح غرب المسجد الحرام ، وسويقة شمال المسجد الحرام والتي ينفذ إليها عن طريق زقاق الحذائين[6] .

وقد أثرت هذه الخصيصة في التكوين العمراني على الشكل العام الذي تتخذه المدينة ، فمن المؤكد أنها كانت تميل إلى الاستطالة وذلك نظراً لوجود هذا الشارع[7] ، كما تتضح الفروق النوعية بين الأحياء بأنواعها المختلفة في مكة المكرمة بأنها ترتبط بالوظيفة التي يقوم بها كل منها ، فالنوع الأول كانت مهمته أن يكون وعاءاً بشرياً مخصوصاً بوظيفته أي خاص بالإسكان ، أما النوع الثاني ذو خدمات عمرانية تتصل بالمدينة وهو الشارع ، وبالإمكان استخدام بعض عناصره العمرانية ، فالشارع غالباً هو البيئة الفراغية يستخدم للانتقال من منطقة إلى أخرى لذا فهو عنصر اتصال يحوي كثيراً من أنشطة السكان[8].

وقد أدى ذلك إلى عدم ارتباط الفروق بالنواحي الكمية ، فبعض الأحياء تحتوي على عدد كبير من المنشآت وبالتالي العناصر العمرانية ، مثل شعب أبي طالب الذي كان يضم العديد من المساكن والمساجد والأسواق[9] .

---

[1] - ابن منظور : لسان العرب ، ج٧، ص٢٨٧، الزبيدي : تاج العروس ، ج١٩، ص٢٥٠.

[2] - الزبيدي : المرجع السابق ، ج٢٥، ص٤٠٩.

[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٣- ٨٦٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٧، ٢٨٨.

[4] - معراج مرزا وعبد الله شاوش : الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة من القرن الخامس الهجري حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ط٢، ١٤٢٧هـ ، ص٤٢.

[5] - هورخرونيه : صفحات من تاريخ مكة ، ج١، ص١١٧.

[6] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٥، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٨.

[7] - أبو عيانة : جغرافية العمران ، ص٢٠٤.

[8] - النويصر : خصائص التراث العمراني ، ص٥٧.

[9]

ومن الممكن أيضاً أن تحتوي الأحياء على عدد قليل من المنشآت ، مثل ثنية كدى " ريع الرسام " غرب المسجد الحرام فقد كانت قليلة السكان ، حيث انتقل إليها بني عدي بن كعب من مساكنهم التي كانت بين الصفا والكعبة جنوب المسجد الحرام وحالفوا بني سهم ، فقطعت لهم بنو سهم قطائع في رباعها وذلك بعد أن اقتتلوا مع بني شمس بن عبد مناف[١] ، وكذلك مثل ثنية الحزنة " الحفائر "التي كانت تحتوي على دور للعبلات[٢] .

وقد تتداخل هذه الأحياء مع بعضها البعض ، مثل رباع بني عبد المطلب بن هاشم ورباع بني عبد شمس بن عبد مناف في شعب أبي طالب[٣] ، ورباع بني مخزوم وبني عبد شمس وبني تيم وبني هاشم في أجياد[٤] ، وكذلك مثل رباع بني عدي وبني سهم وآل جحش في ثنية كدى " ريع الرسام "[٥] ، ورباع بني الحارث بن فهر وبني جمح وبني سهم وبني سهم وبني تيم في خط بني جمح[٦] .

وكذلك كانت الرباع تحوي على الخطوط كخط بني جمح الذي يقع في رباع بني جمح[٧] ، كما تذكر المصادر العديد من الأزقة التي كانت في داخل الرباع ، كزقاق العطارين الذي يقع في رباع بني زهرة[٨] ، وزقاق أصحاب الشيرق في ربع آل عدي بن أبي الحمراء الثقفي حلفاء بني زهرة[٩] ، وزقاق الحذائين في رباع

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٣٤، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٤.

[٢] - العبلات : نسبة إلى جارية من تميم اسمها عبلة بنت عبيد بن جادل بن قيس التميمية ، تزوجها عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت له أمية الأصغر وعبد أمية ، ويسمى أبناؤهما العبلات .
أنظر : ابن حزم : (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ت٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٨٣م، ص٧٤، الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٧٨٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨١.

[٣] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٧- ٨٧١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٦٣- ٢٨٥.

[٤] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٨، ٨٧٢،٨٩٤- ٨٩٨، الفاكهي :المصدر السابق، ج٣، ص٢٧١- ٢٨٦، ٣١٨- ٣٣١، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٢٧.

[٥] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٠١- ٩٠٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٣١- ٣٤٧.

[٦] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٨٥، ٨٨٦، ٨٩٤- ٩٠٥، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٨- ٣٤٧، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٢٧.

[٧] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٠٤، الفاكهي :المصدر السابق ، ج٣، ص٣٣٧.

[٨] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩١، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣١٤، ٣١٥.

[٩] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩٤، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣١٦، ٣١٧.

الخزاعيين حلفاء بني هاشم[1] ، وزقاق ابن هربذ في رباع بني عبد شمس بن عبد مناف[2] .

هذا فيما يتعلق بأنواع الأحياء ، أما بالنسبة للتغيرات والتطورات التي شهدتها تلك الأحياء فقد كانت متعددة الجوانب تمثلت في الآتي :

أولاً : ظهور الخطط والأحياء الجديدة :

لقد ظهرت العديد من الأحياء الجديدة في مكة المكرمة ، وحلت هذه الأحياء محل المباني السكنية والمنشآت بأنواعها المختلفة والتي كان يوجد العديد منها وبأحجام كبيرة ، فبعد ظهور الإسلام في بطاح مكة ومقاومة السكان له وفتحها في السنة الثامنة من الهجرة ودخول عناصر مختلفة من الأمم تحت الحكم الإسلامي ووفودهم إلى مكة لتلقي العلم عن الصحابة والتابعين وهجرة أعداد كبيرة من سكان مكة إلى المدينة وأمصار العالم الإسلامي مع الجيوش الإسلامية أو تولي المناصب القيادية في الأمصار المفتوحة حدث تداخل في السكنى بين بطون قريش فحل محلهم سكان جدد فلم تعد تلك الرباع مقصورة على أسرة أو قبيلة معينة ، ذلك أن عدداً من المهاجرين صودرت أملاكهم ، فكان كل من استحسن داراً من الدور الخاصة بالمهاجرين وضع يده عليها ، وقام بتمليكها لأقربائه ورجال دولته بطرق وأساليب شتى على سبيل الهبات والاقطاعات أو عن طريق البيع[3] .

فأخذ عقيل بن أبي طالب البيت الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والبيت الذي كان يسكنه – منزل خديجة رضي الله عنها[4] – أما دار أبي العاص بن الربيع – زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم – فقد أخذها بنو عمه حين هاجر[5] ، كما أخذ أبو سفيان بن حرب دور آل جحش الأسدي التي بالمعلاة عند ردم

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٩ ، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٧٤، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٢.

[2] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٧١- ٨٧٣، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٩- ٢٨٣.

[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٧٢- ٨٩٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٩- ٣١٨، العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٥٥٨، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٢٧، السرياني : مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري ، ص١٥، ١٦.

[4] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨١١- ٨١٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٥- ٧.

[5] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٢٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٩، ٢٨٠.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١] ، وأخذ يعلى بن منية دار عتبة بن غزوان حين هاجر[٢] ، وأخذ آل حذيم دور آل مظعون لما هاجروا وكانت دورهم في خط بني جمح غرب المسجد الحرام[٣] ، كما صودرت دار أبي الأعور السلمي التي اشتراها معاوية بن أبي سفيان واصطفاها ابن الزبير ووهبها لابنه حمزة[٤] ، وأخذ عبد الملك بن مروان دار بيت مال مكة من ابن الزبير[٥] ، وأخذ أبو جعفر المنصور ربع آل أنمار القاريين وكان السري بن عبد الله بن كثير اشترى بعضه فلما عزل اصطفاه أبو جعفر المنصور كما اصطفى الدور التي كانت لبني أمية[٦] .

هذا وقد كان لمشاريع توسعة المسجد الحرام الأثر العظيم في تغير التوزيع السكاني وانتشار النمو العمراني وظهور أحياء جديدة .

وقد يبدو لأول وهلة أن هذه الإجراءات ليست سوى استبدال العناصر السكانية بغيرها ، والحقيقة أن الأمر لم يكن كذلك ، حيث تشير الكثير من الشواهد التي وردت في المصادر التاريخية أن عملية التغيير السكاني المذكورة كانت في حقيقتها عملية تغيير عمراني طرأت على مواضع الدور فتحولت إلى أحياء سكنية .

وقد كانت كثير من الدور ذات مساحة كبيرة ، فدار الندوة كانت كبيرة جداً كما يتضح ذلك من أوصافها ، فقد كانت مخصصة لإقامة الخلفاء والأمراء إذا قدموا إلى مكة[٧] ، ولاشك أنهم عندما كانوا ينزلون بها كان يرافقهم أهليهم وخاصتهم وهؤلاء لابد أن يكون لهم في دار الندوة أماكن مخصصة لهم[٨] .

ودار عبد الله بن جدعان التي عقد فيها زعماء قريش قبل الإسلام حلف الفضول[٩]، كانت دار كبيرة جداً مطلة على وادي مكة في فوهة سكة أجيادين " أجياد الكبير

---

[١] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٧٤، ٨٧٥، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٩٣، العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٥٥٨.

[٢] الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٨١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٩٧.

[٣] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٠٥، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٨.

[٤] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٨١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٩٦.

[٥] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٨٧، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٩.

[٦] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٩٣ .

[٧] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٦٥٠، ٦٥١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣١١، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٥.

[٨] - الحارثي : عدنان بن محمد ، دار الندوة في الجاهلية والإسلام ، مجلة الدارة ، ع٣، رجب ١٤٢٦هـ ، ص٢٧.

[٩] - حلف الفضول : أشهر الحلاف عند العرب قبل الإسلام ، حيث اجتمعت عشائر قريش في دار عبد الله بن جدعان التيمي لشرفه وسنه وهم بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، والحارث بن فهر ، وتعاهدوا على أن لايجدوا مظلوماً بمكة

وأجياد الصغير "[1]، ولابد وأن الأمر كذلك بالنسبة لبقية الدور ، كدار أبي نهيك ، ودار السائب بن أبي السائب العائذي في أجياد الصغير[2]، ودار حزابة عند اللبانين غرب المسجد الحرام[3] ، ودار العجلة التي اشتراها ابن الزبير من بني سهم[4] ، ودار أم هانئ بنت أبي طالب عند الخياطين[5] .

ولاشك أن كبر أحجام هذه المنشآت وتعدد عناصر المعمارية هي التي أدت إلى استغلال أجزاء منها لتقوم عليها منشآت الخدمات إضافة إلى أحياء جديدة ، فأنشئ على بعضها الأسواق ، فأسواق البز[6] مثلاً أقيمت على أجزاء من دار السائب بن أبي السائب العائذي التي أدخل جزء منها في وادي مكة[7] ، وذلك عندما وسع الخليفة العباسي محمد المهدي المسجد الحرام من الناحية الجنوبية وهدم ما بين الصفا والوادي من الدور وأدخلها في مساحة المسجد وحرف الوادي عن مكانه[8] ، كما استغلت أجزاء من دار حزابة كمواضع للسكنى فصار بعضها لخالصة وبعضها لعيسى بن محمد المخزومي وبعضها لابن غزوان الجندي ، بالإضافة إلى استغلال أجزاء من هذه الدار لضرابي السكة[9] ، وكذلك كان الأمر بالنسبة لدار عبد الله بن جدعان فقد أدخل جزء منها في وادي مكة واستغلت بقيتها كمواضع للسكنى أيضاً دار أبي عزارة ودار محمد بن ابراهيم المكيين[10] ، ونفس الأمر حدث لدار الندوة دخل جزء منها في توسعة الخليفة عبد الملك بن مروان وفي توسعة الخليفة العباسي

من أهلها إلا قاموا معه ، وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحلف وقال عنه : " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعي به في الإسلام لأجبت " .
أنظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١، ص١٣٣، ١٣٤، الندوي : السيرة النبوية ، ج١، ص١٧٤.

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٤٩، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣١٩.
[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٢٦.
[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٠٠، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ٣٣٠.
[4] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٨٨، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٩.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٥٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧١.
[6] - البز هو نوع من الثياب الجيدة .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٥، ص٣١١.
[7] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٩٨.
[8] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٠٨- ٦١١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٧٢، ١٧٣، مطر : تاريخ عمارة الحرم المكي ، ص١٤٣، ١٤٤، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٣٩- ٤١.
[9] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٠٠، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٠.
[10] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩٥، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣٢٠.

أبو جعفر المنصور ، وجزء منها أصبح يكرى[1] للغرباء والمجاورين ، والجزء الآخر أصبح مربضاً لدواب ولاة مكة[2] .

وكذلك كان الأمر بالنسبة لبقية الدور التي جرى استغلال أجزاء من بعضها لتقوم عليها منشآت الخدمات إضافة إلى أحياء جديدة ، فسوق الخرازين أقيم في موضع دار حنظلة بن أبي سفيان[3]، أما سوق الحذائين فقد أقيم في موضع دار عيسى بن جعفر[4]، كذلك فلقد استغلت أجزاء من دار أم هانئ ليقام عليها سوق الحزورة[5] .

ولم يكن تحول المنشآت والمباني إلى أحياء سكنية قاصراً على الدور ، وإنما تجاوز ذلك إلى منشآت الخدمات والمرافق التي بدأ غالبيتها يفقد وظيفته ، كدار مال الله[6] التي حل محلها سوق الحدادين[7] .

إن هذه التغيرات التي تعرضت لها هذه المنشآت قد تطلبت إجراء تعديلات عليها أو إعادة هيكلتها بطريقة تتلاءم مع أوضاعها الجديدة ارتبطت بأعمال هدم وتغير لأوضاع المنشآت وما شابه ذلك ، فدار العجلة مثلاً أخذت معالمها بالاختفاء بعد أن هدمها ابن الزبير وأعاد بنائها من جديد ووسعها فأدخل فيها داري الخطاب بن نفيل العدوي[8] ، ثم أصبحت هذه الدار للخليفة العباسي محمد المهدي فأعاد بنائها له يقطين بن موسى وأدخل فيها بيت المال[9] والزقاق الذي بين المسجد الحرام ودار العجلة[10] ، كما دخلت دار أبي البختري بن هشام وحوانيت الدجاج والحمام في الدار التي بنيت للسيدة زبيدة غرب المسجد الحرام[11] .

---

[1] - الكراء : تأجير البيوت وغيرها مقابل ثمن معين .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج١٥، ص٢١٨، ٢١٩.

[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٦٥١.

[3] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٧٨.

[4] - الفاكهي : المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٩.

[5] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٥٥، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٦.

[6] - هذه الدار كانت من رباع بني عامر بن لؤي ، وكان فيها المرضى وطعام مال الله ، فاشتراها معاوية بن أبي سفيان منهم .
أنظر : الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٦٦، ٨٦٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٩.

[7] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٦، ٨٦٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٩.

[8] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٠٣، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣٣١.

[9] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٨٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٠٩.

[10] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٠٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٦٩.

[11] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٢٨، الفاكهي : المصدر السابق، ج٢، ص١٩٥، ١٩٦.

وكذلك كان الأمر بالنسبة لغالبية المنشآت التي قسمت إلى أجزاء كما ذكرنا ذلك سابقاً ، فلابد أن يكون قد جرى عليها الكثير من التعديلات والتغيرات اللازمة التي تتلاءم وتنسجم مع تلك التغيرات ، فبدأت بالتحول إلى أحياء سكنية أشارت المصادر إلى بعضها .

فدار السيدة زبيدة تحولت إلى حي سكني عرف بزقاق دار زبيدة[1] ، ودار حزابة التي قسمت بين بعض الأفراد في العهد العباسي تحولت إلى حي سكني عرف بخط الحزامية[2] ، ويبدو أن زقاق الخرازين كان موضعه دار حنظلة بن أبي سفيان جرى تحويلها إلى حي سكني كما حدث لغيرها من الدور[3] ، كما ظهر في موضع دار عيسى بن جعفر زقاق الحذائين[4] ، وظهر في موضع دار أم هانئ الحزورة نسبة إلى السوق الذي أقيم في موضع دارها[5] ، وعلى نفس الوتيرة سار الأمر مع دار مال الله حيث تحولت إلى حي سكني عرف بزقاق الحدادين وكان هذا الزقاق يعرف قديماً بياسين[6] .

هذا فيما يتعلق بالنشاط العمراني الذي ظهر على المنشآت ، بيد أن ظهور الأحياء الجديدة لم يكن حينئذ قاصراً على هذا الجانب فحسب ، بل امتد ليشمل أيضاً المواضع الخالية من البناء في مكة المكرمة ، وكان أول ما أصابه التغيير في هذا المجال الساحات الخالية من البناء ، فإلى الشرق من المسجد الحرام كانت تقع رحبة بين الدارين ، والتي عرفت بذلك لأنها تقع بين دار أبي سفيان ودار حنظلة بن أبي سفيان ، وفي هذه الرحبة كانت تحط العير القادمة من السراة والطائف والمحملة بالحنطة والحبوب والسمن والعسل ، وقد أخذت المباني تظهر على حساب الساحات فدار زياد بن سمية التي بنيت في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بنيت في موضع هذه الرحبة[7] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد تجاوز النشاط العمراني الكثير من المناطق التي لم يكن قد وصل إليها البناء سابقاً أو كان فيها قليلاً ، فقد أسهمت المشروعات التي قام بها الخلفاء المسلمين سواء ما كان منها بغرض الدفاع عن المدينة كبناء الردوم لصد أخطار السيول ، أو إقامة المنشآت الأخرى كالبساتين والمساجد ، كلها قد أسهمت

---

[1] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٦٢٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٩٦.
[2] ـ الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٠٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٣٠.
[3] ـ الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٨.
[4] ـ الفاكهي : المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٩.
[5] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٥٥، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٦.
[6] ـ الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٦، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٩.
[7] ـ الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٨.

في إتاحة مزيد من الفرص لان يلج النشاط العمراني إلى مواضع لم تكن تعرف هذا النشاط من قبل ، فأخذت العمارة تنتشر على الجانب المحاذي للردم الأعلى ، ففي عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصبح بالإمكان البناء في الناحية الشمالية وعلى الجانب الشرقي من الردم الأعلى دون الخوف من فيضان السيول التي أصبح تأثيرها محصوراً بالجانب الغربي للردم ، فأخذت العديد من المنشآت والمباني تظهر عليه ونشأت بذلك المدعى التي كانت تعرف ب " ردم بني جمح "[1]، ويروي ابن شبة في كتاب مكة بسند عن رجل من القارة اسمه خثيم ما يفيد بتوسع رقعة السكن وامتداد العمران إلى الشمال في المنطقة الواقعة شمال المسجد الحرام ، حيث يقول : " أتيت عمر بن الخطاب وهو يقطع الناس عند المروة فقلت : أقطعني لي ولعقبي ، فأعرض عني ، وقال : هو حرم الله سواء العاكف فيه والبادي ، قال خثيم : فأدركت الذين أقطعوا باع بائعهم ، وورث مورثهم ، ومنعت أنا ، لأني قلت : لي ولعقبي "[2].

وتقدم العمران في الناحية الشمالية الغربية من المسجد الحرام وتحديداً نحو جبل قعيقعان " الشامية "، ففي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان بنى الديلمي مولى معاوية داراً لمعاوية على جبل قعيقعان نسب إليه[3] ، كما بنت تفاحة مولاة معاوية بن أبي سفيان على ذلك الجبل فنسب إليها[4] ، وأنشأ ابن الزبير بساتينه في النواحي القريبة من جبال اليحاميم " السليمانية "[5]، وانتقل بني أبي حسين النوفلي بعد أن أزيلت بيوتهم وأدخلت في المسجد الحرام في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي إلى جبال اليحاميم[6]، وعلى الرغم من أن المصادر لا تقدم نصوص يمكن من خلالها التعرف على مدى التطورات العمرانية التي شهدتها المدينة في هذا الجانب حيث لا تتجاوز في حديثها العهد الأموي ، فانه من المؤكد أن النشاط العمراني في هذه المنطقة استمر متواصلاً في العهد العباسي بسبب الزيادة السكانية المستمرة والتوسعات التي أجريت للمسجد الحرام .

---

[1] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٥٧، ٧٥٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١٠٤، ١٠٥، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٨٤، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٨، السنجاري : منائح الكرم ، ج١، ص٥٢٤، ٥٢٥، العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٥٦٠.

[2] ـ ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٢، ص٣٠٠.

[3] ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٣٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٧٥.

[4] ـ الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٣٩، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٧٦.

[5] ـ الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٣٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٧٦، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٢٥.

[6] ـ الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٣٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٧٨.

ولقد أدت رغبة الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان في تعمير الأراضي الواقعة شمال مكة المكرمة ، إلى تعمير العديد من المواضع في هذه المنطقة ، ذلك أنه منذ أنشأ معاوية بن أبي سفيان البساتين[١]في هذه المواضع أخذ الناس بالبناء فيها شيئاً فشيئاً ، فبنيت العديد من القصور والدور والمساجد ابتناها أعيان العباسيين[٢] ، واتصلت العمارة من شعب ابن عامر إلى شعب أبي دب حتى الثقبة " الغسالة "[٣]، كما توقف الدفن عن المقابر الواقعة في شعب أبي دب وشعب الصفي إلى ثنية أذاخر وتحولت إلى مناطق سكنية[٤]، وامتدت المباني ناحية الشمال إلى شعب بني عبد الله بن خالد بن أسيد " العسيلة "، حيث وجدت مجموعة من النقوش في عدد من الجبال والأودية ، احتوت على آيات قرانية وأدعية وأسماء شخصيات ورد ذكرها في المصادر المبكرة من التاريخ الإسلامي[٥] .

وبالإضافة إلى المواضع سابقة الذكر ، فلقد أخذ العمران بالتزايد في مواضع أخرى جنوب مكة ، فقد تزايد سكنى الناس في هذه الناحية بعد أن أزيلت الكثير من البيوت المجاورة للمسجد الحرام وأدخلت في مساحته ، فأنشئت الكثير من المباني في منطقة الكثيب ومحرزة الغوث وقرن القرط[٦] ، وامتد العمران نحو الرمضة " قوز النكاسة" والدحضة ، والمقنعة حتى وصل إلى اللاحجة " ربع بخش " فكانت هي آخر عمران مكة من أسفلها[٧] .

وإلى الغرب من المسجد الحرام امتدت المباني فبنى زرزر داراً على جبل قعيقعان نسب إليه[٨] ، وبنى كذلك أبو يزيد أمير الحاكة بمكة على ذلك الجبل فنسب إليه[٩] ، واتصلت العمارة من جبل عمر وثنية كدى " ربع الرسام " التي يهبط منها إلى ذي طوى " العتيبية " والثنية الخضراء " ربع الكحل " حتى ثنية الحصحاص والطريق

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٠- ٨٥٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢١- ١٢٨، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٢٥.

[٢] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩١٦- ٩٤٦، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٤٠- ١٨٨.

[٣] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩١٦- ٩٣٠، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٤٠- ١٦٨.

[٤] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٢٩- ٨٣٢، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٥٤- ٥٩.

[٥] - عن هذه النقوش . أنظر : الحارثي : الآثار الإسلامية في مكة المكرمة ، ص٤٨٨- ٥١٨.

[٦] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩١، ١٩٢.

[٧] - الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٩٤- ٢٠٣.

[٨] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٥٧، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٢١٠، ٢١١.

[٩] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٧، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٢١١.

المؤدي إلى مسجد التنعيم[1] ، فعمرت الكثير من المواضع بجبل المقلع ووادي فخ ، والمنطقة المحيطة بجبل البرود في الحصحاص والمربع وجبل أبي لقيط وشعب الشيق " أم الجود "[2].

ولقد أدى هذا النشاط العمراني إلى ظهور العديد من الأحياء الجديدة التي أشارت المصادر إلى بعضها ، فقد ترتب على البناء في رحبة بين الدارين ظهور خط يحمل نفس الاسم ، كما أن هذا التوجه في البناء قد أدى إلى ظهور حي سكني عرف بزقاق الحكم[3] ، ومن المؤكد أن البناء في منطقة الردم الأعلى " المدعى" وجبل الديلمي " جبل القرارة " المشرف على المروة قد أدى إلى ظهور زقاق النار الذي يقع في الشارع الذي يفصل الردم الأعلى وجبل الديلمي[4] ، كما أن البناء على جبل قعيقعان قد أدى إلى ظهور طريق الفلق الذي يقع في الطريق الفاصل بين القرارة " قرارة المدحي" وجبل الحبشي والأحداب " النقا والسليمانية"[5] .

وتشير المصادر إلى عدد من الأحياء التي ظهرت جنوب المسجد الحرام مثل زقاق جحوش وزقاق وحوح بن الأسلت ورباع الكنانيين في منطقة الكثيب أسفل جبل خليفة[6] ، أما بالنسبة للمناطق الأخرى فلا شك في أن البناء على السفوح الغربية لجبل قعيقعان أدى إلى ظهور أحياء جديدة مثل زقاق النار وزقاق مهر[7] .

ثانياً : إعادة عمارة الأحياء :

لم يقتصر أثر النشاط العمراني في مكة المكرمة على ظهور أحياء جديدة فحسب ، بل تجاوز الأمر ذلك فقد أعيدت عمارة بعض الأحياء التي كادت أن تندثر بعد السيول التي اجتاحت مكة وطالت معظم مبانيها ومرافقها فتعرضت للتلف والخراب ، ففي عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعيدت عمارة الأحياء الواقعة شمال شرق المسجد الحرام التي تعرضت للتخريب والدمار بعد السيل الذي

---

[1] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٨، ٩٥٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٢، ٢١٤.

[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٦١- ٩٦٨، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٢١٦، ٢٢٧.

[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٩، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٥- ٢٨٨.

[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٣٩، هامش رقم (٢)، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٨٧٦، هامش رقم (٤).

[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٣٨، هامش رقم (٤)، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٧٦.

[6] - الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٩١.

[7] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٦، ٩٥٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٠، ٢١١.

اجتاح مكة في عهده ودخل المسجد الحرام من أعلى مكة من طريق الردم وبين الدارين ، فقام رضي الله عنه بتحويل مجرى السيل إلى الجانب الغربي والاتجاه به إلى منطقة المسفلة خارج منطقة المسجد الحرام[١] ، فأخذت العمارة تظهر من جديد باتجاه الجانب الشرقي للردم الأعلى وبنيت العديد من المنشآت والمباني[٢] .

كما أعيدت عمارة كثير من الأحياء المحيطة بالمسجد الحرام التي تعرضت للتخريب بعد سيل الجحاف الذي اجتاح مكة في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ وهدم الدور والشوارع ودخل المسجد الحرام وأحاط الكعبة المشرفة[٣] ، " وبلغ الماء الحجون ، وغرق خلقٌ كثير ، وقيل انه ارتفع حتى كاد أن يغطي البيت "[٤]، حيث أمر عبد الملك بن مروان عامله على مكة بعمل ضفائر على الدور الشارعة على الوادي وحول المسجد الحرام للحد من مخاطر السيول فاعيدت عمارة المنطقة الواقعة فيما بين شعب ابن عامر وصولاً إلى سوق الليل من دار إبان بن عثمان إلى دار ابن الحوار بسوق الليل[٥] .

كذلك أعيدت عمارة بعض الأحياء الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الحرام حيث أمر بعمل ردم بني جمح[٦] ، ومن المعروف أن هذه المنطقة هي من رباع بني جمح[٧] لذلك فمن المؤكد أن بعض رباع بني جمح التي كانت في هذه المنطقة قد أعيدت عمارتها في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، كما عمرت أيضاً بعض رباع بني مخزوم الواقعة جنوب غرب المسجد الحرام حيث عمل ردم عند خط الحزامية[٨] .

وقد اجتاحت السيول الأحياء المحيطة بالمسجد الحرام في مرات متكررة مما يشير إلى تعرض العديد من المحلات إلى التلف والتخريب ، غير أنه من المؤكد أنه أعيدت عمارتها وإصلاحها بعد استقرار الأمور ففي خلافة المأمون العباسي اجتاح السيل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة وقلع صناديق الأسواق ومقاعدهم وألقاها بأسفل

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٥٧، ٧٥٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١٠٤، ١٠٥.

[٢] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص١١٢، هامش رقم ٢.

[٣] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص١٠٦.

[٤] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩، ص٣٩.

[٥] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١١٤.

[٦] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٦٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص١١٣.

[٧] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص١١٤.

[٨] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٦٠،الفاكهي : المصدر السابق،ج٣، ص١١٣، هامش رقم ١.

مكة وهدم دوراً كثيرة جراء تلك السيول المدمرة فأمر بعمارة المسجد الحرام وعزق الوادي ليعود إليها النشاط السكني[1] .

ومن المرجح أن تكون قد أعيدت عمارة المحلات والمناطق المحيطة بالمسجد الحرام التي تعرضت للخراب والتدمير أثناء محاصرة الجيش الأموي عبد الله بن الزبير لامتناعه عن مبايعة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فنصب الجيش الأموي المنجنيق وضربت الكعبة بالنفط والحجارة ، ولاشك في أنه أعيدت عمارة المنطقة الواقعة بين الحجون وبئر ميمون حيث تقاتل الفريقان بها سنة ٧٣هـ[2].

ثالثاً: اختفاء بعض الأحياء:

ومن مظاهر التغيرات العمرانية التي تعرضت لها الأحياء السكنية اختفاء بعضها حيث اختفت بعض المناطق السكنية ، لتمثل وجهاً عمرانياً جديداً يختلف عما كانت عليه في السابق، وذلك جراء التوسعات والعمارات والترميمات والإصلاحات التي شهدها المسجد الحرام منذ بزوغ الإسلام والتي تفاوتت في الحجم وهذا بطبيعة الحال شئ يرتبط باختلاف العصور والدوافع ، وقد تطورت هذه الرقعة من أجل تقديم التسهيلات للحجاج والمعتمرين وصاحب ذلك التطور اختفاء بعض الأحياء المحيطة بالمسجد الحرام ، إذ قامت تلك التوسعات على حساب المرافق والمنشآت المحيطة به ، فهدمت الكثير من الدور والمباني[3]في الناحية الشمالية واختفى جزء من سويقة ، فأدخلت بعض رباع بني عبد الدار بن قصي في مساحة المسجد الحرام كدار الندوة ودار شيبة بن عثمان[4] ، كما أزيلت بعض رباع حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف منها ربع آل عقبة بن الأزرق الغساني المقابل لباب بني شيبة في عهد ابن الزبير رضي الله عنه وأزيل الجزء المتبقي منه في توسعة الخليفة العباسي محمد المهدي[5] ، وكذلك دار يعلى بن أمية المعروفة ب" ذات الوجهين " دخلت في توسعة الخليفة المهدي[6] ، واختفت كذلك رباع بني نوفل بن عبد مناف شرق المسجد الحرام بين الصفا والمروة[7] ، ودار خيرة بنت سباع الخزاعية[1] ، وفي غرب المسجد

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٦٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١٠٩، ١١٠.
[2] - السباعي: تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٩٤- ١٠٣.
[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١،ص٥٩٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٥٠، ١٥١.
[4] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٨٨، ٨٨٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣١٠- ٣١٢.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٧٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٩٧.
[6] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٨١، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٢٩٦، ٢٩٧.
[7] - الأزرقي: المصدر السابق ، ج٢، ص٨٨٤،الفاكهي : المصدر السابق،ج٣،ص٣٠٠- ٣٠٢.

الحرام دخلت دار حميد بن زهير في المسجد الحرام في توسعة الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[٢] .

ولقد أدت رغبة الخليفة العباسي محمد المهدي في توسط الكعبة المشرفة في المسجد الحرام وتحويل مجرى وادي إبراهيم إلى الجنوب منه في موضع الدور من خلفه[٣] ، إلى تحويل أجزاء من رباع بني تيم ورباع بني عائذ بن مخزوم الموجودة في هذه المنطقة لتصبح مجرى لسيل الوادي الجديد ومحلاً للمسعى كما تشير إلى ذلك المصادر أثناء حديثها عن تلك الرباع الواقعة في هذه المنطقة[٤] كما استغلت الأجزاء الباقية منها بعد ذلك ، ومن أبرز البيوت التي أزيلت في هذه الأحياء وأدخلت في الوادي دار عبد الله بن جدعان ودار عثمان بن عبيد الله في أجياد وكانت من رباع بني تيم[٥] ، وكذلك دار أبي نهيك ودار السائب بن أبي السائب العائذي ودار عباد بن جعفر بن رفاعة من رباع بني عائذ بن مخزوم[٦] .

فأدى ذلك إلى خلو هذه الأحياء من ساكنيها ليحل غيرهم محلهم ، فأسواق البز مثلاً أقيمت على أجزاء من دار السائب بن أبي السائب العائذي ، وأصبح الجزء المتبقي من هذه الدار ملكاً لمحمد بن يحي البرمكي[٧] ، كما استغلت الاجزاء المتبقية من دار عباد بن جعفر العائذي التي أصبح المسعى والوادي فيها كمواضع للسكنى وهي دار ابن روح ودار يزيد بن حنظلة[٨] ، وكذلك كان الأمر بالنسبة لدار عبد الله بن جدعان التي أدخلت في الوادي واستغلت الأجزاء المتبقية وهي دار أبي عزارة ودار محمد بن إبراهيم المكيين[٩] ، واستغلت الأجزاء الباقية من دار أبي نهيك التي دخلت في

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٩٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣١٦.
[٢] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٨٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٠٦.
[٣] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٠٩، الفاكهي : المصدر السابق ،ج٢، ص١٧٢، مطر : تاريخ عمارة الحرم المكي ، ص١٤٣.
[٤] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٩٥- ٨٩٩، الفاكهي : المصدر السابق ،ج٣، ص٣٢٠، ٣٢١.
[٥] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٩٤، ٨٩٥، الفاكهي : المصدر السابق ،ج٣، ص٣١٩- ٣٢١.
[٦] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩٨، ٨٩٩، الفاكهي : المصدر السابق ،ج٣، ص٣٢٦- ٣٢٨.
[٧] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٢٧.
[٨] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٨٩٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٢٩.
[٩] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩٥، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٢٠.

الوادي وأقيم في موضعها أسواق للصيارفة والجزء المتبقي منها دخل في دار العباس بن محمد[1] .

ومن المؤكد أن ما حدث لرباع بني تيم ورباع بني عائذ بن مخزوم قد حدث لدار أم هانئ بنت أبي طالب التي كانت من رباع بني عبد المطلب بن هاشم ، والتي تقع في هذه المنطقة عند الخياطين[2] إلى الغرب من رباع بني تيم ورباع بني عائذ بن مخزوم فدخلت في توسعة المسجد الحرام في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي .

ولم يكن اختفاء الأحياء يجري بشكل كامل على الدوام ، فقد اختفت بعض الأحياء اختفاء رمزياً نتيجة لاختفاء مسمياتها ، مثل رباع بني عدي بن كعب التي كانت بين الصفا إلى الكعبة اختفت وأصبحت ضمن النطاق العمراني لخط ثنية كدى " ربع الرسام " ، فقد أجلى عنها سكانها بعد أن اقتتلوا مع بني عبد شمس بن عبد مناف[3] .

رابعاً : تغير النطاق العمراني للأحياء :

ومن المظاهر العمرانية التي تعرضت لها الأحياء تغير النطاق العمراني للأحياء ، ونظراً لما شهدته مكة المكرمة في تلك الفترات من تعديلات عمرانية أساسية ، تمثلت في تحويل العديد من منشآتها إلى أحياء سكنية ، فان ذلك أدى إلى اضطراب في خطة المدينة فاتسع النطاق العمراني لبعض تلك الأحياء تبعاً للتعديلات الجديدة التي طرأت عليها، فأخذ بعضها بالتوسع على حساب المنشآت التي تحولت إلى أحياء سكنية ، فقد كان تحول دار حزابة وهي من رباع بني عائذ بن مخزوم إلى منطقة سكنية سبباً في أن تضم أجزاء كبيرة منها لخط الحزامية ، فعندما تتحدث المصادر عن هذه الدار تذكر بأنه قد جرى استغلالها فأصبح في موضعها دار خالصة وبعضها لآل غزوان الجندي وبعضها لعيسى بن محمد المخزومي واستغلت الأجزاء الباقية لضرابي السكة بخط الحزامية[4] ، مما يدل على أن هذه الدار قد ضمت إلى هذا الحي بعد أن تمت إعادة تخطيطها في حين أنها لم تكن من جملته.

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٩٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٢٦.
[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧١.
[3] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٠١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٣٤.
[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٠٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٣٠.

المبحث الثالث

الشوارع والرحاب

يدل الأصل اللغوي للفظ شارع على معنيين عمرانيين فهو الطريق من أطرق وطرق أي السبيل[١] الذي يشرع فيه الناس عامةً[٢]، ويستخدم كأداة للانتقال من منطقة إلى أخرى يبلغ به سالكه مسكنه مقصده الذي أراد[٣]، وهو وسيلة لتوزيع المنشآت والمباني داخل المدينة ، ويقال " دور شارعة إذا كانت أبوابها شارعة في الطريق " وشرع المنزل إذا كان بابه على طريق نافذ[٤] .

وقد برزت الشوارع والطرق في المدن كمحور رئيسي في التخطيط منذ فجر التاريخ[٥] ، فهي من أهم مظاهر التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية[٦] ، الذي يعني تنسيق النظام المادي الطبيعي للمدينة والذي تمثله كتلتها المبنية ، وارتباطها بتجمعها الحضري ومرافقها وخدماتها في انسجام وتوافق مع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية لسكانها[٧] .

وتمثل الكعبة المشرفة محوراً رئيسياً من محاور تخطيط المدينة المقدسة حيث إن موقعها في وسط المدينة ، ومن حولها خطت الخطط وذلك حين قام قصي بن كلاب بتقسيم الوادي إلى أربعة أحياء كبرى تدور حول مطاف الكعبة ، فبدأ العمران يدب في الوادي وبنى قصي داره واختط لقريش دورها[٨] وجعل بين كل دارين شوارع ينفذ منها إلى ساحة الكعبة أو إلى خارج حدود الأبطح[٩] .

فأصبحت أحيائها منذ ذلك الوقت تعرف ب" الرباع " وقد كانت متباعدة تفصل بينها مساحات واسعة ، ومن المؤكد أن الشوارع التي كانت تتوزع عليها الرباع حينئذ كانت تتميز بالاتساع أيضاً ، وخاصة الرئيسة منها كالطريق العظمى الذي تجوبه

---

١ - الجوهري: الصحاح ، ج٤، ص١٥١٣، ابن منظور: لسان العرب ،ج١٠، ص٢٢٠.
٢- ابن منظور : المرجع السابق ، ج٨، ص١٧٦، الزبيدي: تاج العروس ، ج٢١، ص٢٦٩.
٣ - الزبيدي: المرجع السابق، ج٢٦، ص٧٢، النويصر : خصائص التراث العمراني ، ص٥٧.
٤ - الجوهري : الصحاح ، ج٣، ص١٢٣٦، ابن منظور : لسان العرب، ج٨، ص١٧٧.
٥ - محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص١٥٣.
٦ - أبو عيانة : جغرافية العمران ، ص٣٠٣.
٧ - محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية ، ص١٥٧.
٨ - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٦٠، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٠، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٣٣، السرياني : مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري ، ص١١.
٩ - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٥٩٣، العصامي : سمط النجوم ، ج٣، ص٤٨٠، السباعي : المرجع السابق ، ج١، ٢، ص٣٠، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٣٤، السرياني : مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري ، ص٢٧، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٨٢.

عادة القوافل القادمة من السراة والطائف[1] ، فمرورها كان يتطلب شوارع فسيحة للسير فيها .

وهكذا فقد ظهرت العد يد من الشوارع في تلك الفترة ، فالمسجد الحرام ظهر فيه عدد من الشوارع كانت أبوابه مداخل لها ، ومع أنه لم يكن للمسجد الحرام جدران تحيطه[2] ، إلا أن لفظ الأبواب أطلق على المداخل الواقعة في نهايات الطرق المؤدية لفناء الكعبة[3] ، ، فباب النبي صلى الله عليه وسلم كان من المداخل المؤدية إلى زقاق العطارين حيث بيت السيدة خديجة رضي الله عنها [4] ، وكذلك كان الحال بالنسبة لباب أبي البختري بن هشام الذي يسلك منه إلى زقاق يباع فيه الدجاج والحمام ، وكان يسلك من خلاله إلى السويقة والمواضع الواقعة شمال المسجد الحرام[5] ، في حين أن باب دار شيبة بن عثمان كان يسلك منه إلى السويقة[6] ، وباب دار حجير بن إهاب الذي كان من المداخل المؤدية إلى جبل قعيقعان[7] ، وكذلك كان الأمر لباب دار أم هانئ الذي كان مدخلاً لرباع بني عبد شمس وبني مخزوم[8] ، وكان باب بني عدي بن كعب " باب الصفا " الذي يقع جنوب المسجد الحرام ، يسلك من خلاله إلى منطقة الصفا ، والمواضع الواقعة جنوب المسجد الحرام حيث توجد رباع بني عدي بن كعب[9] .

ومن المؤكد أنه في تلك الفترة كان يوجد شارع رئيسي يخترقها من الشمال إلى الجنوب ، كما تشير إلى ذلك المصادر التاريخية أثناء حديثها عن القوافل الآتية من السراة والطائف ، فهي تذكر أن القوافل كانت تحط بضائعها في رحبة بين الدارين شرق المسجد الحرام وتباع فيها[10] .

وهذا يعني أن المدخل الرئيسي لمكة المكرمة قبل الإسلام كان من ناحية الشمال ، كما يشير إلى ذلك الفاكهي فهو يذكر " أن مشركي قريش لما حصروا بني هاشم في

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٨.
[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٥٩٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٥٨.
[3] - الحارثي : عدنان بن محمد بن فايز ، أبواب المسجد الحرام ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٨م، م٢، ص٥٩٣.
[4] - الأزرقي : أخبار مكة ج١، ص٦٢١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٨٩.
[5] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٩٥، ١٩٦.
[6] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٦٢٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٩٧.
[7] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٢٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٩٧.
[8] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٢٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٩٤.
[9] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٢٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٩٠، ١٩١.
[10] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٨.

الشعب كان حكيم بن حزام تأتيه العير ، تحمل الحنطة من الشام ، فيقبلها الشعب ، ثم يضرب أعجازها فتدخل عليهم ، فيأخذون ما عليها من الحنطة "[1].

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام اتجه يوم فتح مكة من وادي فخ إلى أذاخر ثم مر ببئر ميمون ابن الحضرمي " الغسالة " ثم نزل الأبطح[2] ، وحين اعتمر عليه الصلاة والسلام نزل من الطائف إلى الجعرانة ثم دخل مكة ليلاً معتمراً[3] .

وقد عرف هذا الشارع ب" الطريق العظمى " ، وكان يمتد أيضاً ما بين مقبرة الحجون إلى الثنية الخضراء " ريع الكحل " ليتصل بطريق مكة المكرمة – المدينة المنورة ومن هذا الطريق خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة[4] .

كما كان يوجد مدخل لمكة المكرمة في تلك الفترة من الناحية الجنوبية ناحية المسفلة ، كما يشير إلى ذلك الفاكهي في ذكره للمواضع الواقعة في شق مسفلة مكة اليماني ، حيث ذكر أن تجار قريش كانوا ينتظرون وصول القوافل التجارية القادمة من اليمن عند سامي المنظر أسفل جبل الطلوب دون إضاءة لبن " العكيشية "[5] ، ويتفرع هذا الشارع من الطريق العظمى ويمر بشعب الصفي " الجميزة " فشعب الخوز وشعب عمرو " الملاوي " إلى منى بعد أن يصعد الثنية الخضراء ويمر بالمفجر ومزدلفة إلى أن يصل إلى جبل ثور[6] ، وقد سلكه النبي صلى الله عليه وسلم سلكه حين خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة بعد أن فرضت قريش رقابة مشددة على كل الطرق المؤدية من مكة إلى المدينة لمنع هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام[7] .

وبعد أن شع نور الإسلام في بطاح مكة وتدفق المهاجرين إليها من أنحاء الأمصار المفتوحة تحولت صورة مكة المكرمة العامة تدريجياً ، فلم تعد تتميز بتلك الساحات الكبيرة والشوارع الفسيحة كما كان عليه الحال إبان العصر الجاهلي ، حيث جرى تحويل الكثير منها إلى مواضع تغص بالمباني والمنشآت المختلفة الأنواع ، منذ عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد بدأت الرباع تضييق تدريجياً

---

[1] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٦٤.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة، ج٢، ص٩٤٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٨٣.
[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٢٧٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٥، ص٦٢.
[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٩.
[5] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩٥.
[6] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٢٤، هامش رقم ٣.
[7] - ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٩١، الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨١٩ ، السهيلي : الروض الانف ، ج٤، ص١٣٩، ١٤٠، مهدي : (رزق الله أحمد) ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، دار إمام الدعوة ، الرياض ، ط٣، ١٤٢٤هـ، ص٢٥١، ٢٥٢.

نتيجة الاكتظاظ السكاني ، وأخذت المباني تتقدم على حساب الشوارع أيضاً ، فأدى ذلك إلى أن تصبح الشوارع شديدة الضيق ، بل إن هذه الظاهرة لم يسلم منها الشارع الرئيسي بمكة " الطريق العظمى " رغم أهميته ، حيث أخذت البيوت والحوانيت تتقدم تارة على أراضيه وتتأخر تارة أخرى ، بما يجعل الشارع الرئيسي يتسع ويضيق في جميع أنحاء مكة .

ففي خلافة عمر بن الخطاب أنكر رضي الله عنه بروز الحوانيت وأمر بهدمها وذلك عندما صعد إلى المعلاة لقضاء بعض حاجته " فمر بأبي سفيان بن حرب يهني جملاً له ، فنظر إلى أحجار وقد بناها أبو سفيان ، شبه الدكان في وجه داره يجلس عليه في فئ الغداة ، فقال له عمر : يا أبا سفيان ما هذا البناء الذي أحدثته في طريق الحاج ؟ فقال أبو سفيان : دكان نجلس عليه في فئ الغداة ، فقال له عمر : لا أرجع من وجهي هذا حتى تقلعه وترفعه ، فبلغ عمر حاجته ، فجاء والدكان على حاله ، فقال له عمر ، ألم أقل لا أرجع حتى تقلعه ، قال أبو سفيان : انتظرت يا أمير المؤمنين أن يأتينا بعض أهل مهنتنا فيقلعه ويرفعه ، فقال عمر ، عزمت عليك لتقلعنه بيدك ، ولتنقلنه على عنقك ، فلم يراجعه أبو سفيان حتى قلعه بيده ، ونقل الحجارة على عنقه ، وجعل يطرحها في الدار .... "[١] .

وقد ترتب عن البناء على الساحات والمواضع الخالية من البناء إلى ظهور شوارع جديدة ، فدار زياد التي بنيت على إحدى الساحات كانت شارعاً مسلوكاً يسلك من خلالها إلى ما بين الدارين والمواضع الواقعة شرق المسجد الحرام ، فاشتكى بنو مروان حين سدت وجه دارهم وأغلق الطريق ، فترك لهم تسعة أذرع وترك لسعيد بن العاص ثلاثة أذرع من الطريق قدر ما يمر حمل الحطب وذلك ليكون بديلاً عن هذا الطريق الذي سد[٢] .

كما أن بناء المنشآت والبساتين يقتضي ظهور شوارع وأزقة كمرافق للتطورات العمرانية هذه ، فعندما تكدست المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام وبدأ الزحف والتوسع على السفوح الجبلية القريبة منه مثلما حدث في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان كان لابد من ظهور طرق أو ممرات يسلك منها للوصول إلى تلك المنشآت ، فعندما تتحدث المصادر عن بعض تلك المنشآت تشير إلى ظهور عدد من الشوارع فيها ، فالدار البيضاء كان يسلك من خلالها إلى جبل الديلمي[٣] ، كما ظهر في تلك الأثناء زقاق النار الذي يربط بين الردم الأعلى " المدعى " وجبل

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦١، ٨٦٢.
[٢] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٨.
[٣] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٧.

الديلمي " جبل القرارة " وكان هذا الزقاق يفصل بين دار الحمام ودار ببة وكلاهما من المنشآت التي بناها معاوية بن أبي سفيان[1] ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للدور التي أنشأها ابن الزبير على جبل قعيقعان فقد أصبح بالإمكان الوصول إلى جبل الأحمر وإلى القرارة من خلال طريق الدار العظمى[2] .

كما أن إنشاء البساتين في النواحي القريبة من جبل الحبشي وجبال اليحاميم " النقا والسليمانية " يقتضي بطبيعة الحال إعادة تنظيم المنطقة بطريقة تختلف عما كانت عليه في السابق الأمر الذي ترتب عنه ظهور شوارع جديدة كمرافق وخدمات لهذه المتنزهات والبساتين لذلك فإن المصادر تذكر أن ابن الزبير فلق الطريق الموصل بين القرارة والنقا[3] ، والذي يسلك فيه من الفلق وجبال اليحاميم " السليمانية " إلى مقبرة المعلاة فكان إذا جاءه مال دخل به ليلاً ثم سلك به من المعلاة في الفلق ، حتى يخرج به على دوره بقعيقعان[4] .

لقد شهدت شوارع مكة المكرمة العديد من التطورات التي تجسد وجهاً من أوجه التحولات العمرانية التي شهدتها المدينة المقدسة ، فعندما تتحدث المصادر عن أبواب المسجد الحرام تشير إلى شارع كان يحيط بالمسجد الحرام من جميع الجهات يفصل بينه وبين الدور المطلة عليه ماعدا من ناحية دار الندوة شمال المسجد الحرام ، ذلك أنها منذ عمرت في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان أصبحت ملاصقة للمسجد الحرام[5] ، بدليل أن ابن هشام المخزومي الذي تولى إمارة مكة في العصر الأموي كان يخرج من باب دار الندوة للطواف والصلاة في الكعبة المشرفة[6] .

إلا أنه من المؤكد أن الأمر لم يكن كذلك في العصر العباسي ، فقد أخذت المباني تتقدم نحو الشوارع الواقعة بالقرب من أبواب المسجد الحرام ، فمن الواضح أن دار العجلة التي بناها يقطين بن موسى في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي قد بنيت على الشارع الواقع بالقرب من باب دار العجلة[7] ، كما أن دار زبيدة قد بنيت على

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٣٩، هامش رقم ٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٧٦، هامش رقم ٤.
[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٨٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٠٨.
[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٨٣، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٧٦، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٢٥.
[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٣٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٧٦.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٦٥٠، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣١١.
[6] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٥٩٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٦٠.
[7] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٠٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٦٩.

الشارع الواقع بالقرب من باب دار زبيدة[1] ، ولا شك في أن مثل هذه التغيرات العمرانية قد شملت بقية الشوارع الواقعة بالقرب من أبواب المسجد الحرام .

كما ربط المسجد الحرام بشبكة طرق تصله بالعواصم الإسلامية كدمشق وبغداد ، فبعد توسعة الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور والخليفة محمد المهدي تشكل طريق دائري محيط بالمسجد الحرام ، يأتي من خلف دار الندوة[2] ، ويسلك منه إلى السويقة والمروة ومنه إلى ساحة المسجد الحرام ، وهو امتداد للطريق العظمى الذي تسلكه القوافل القادمة من الشام ، وهذا ما أشارت إليه المصادر أثناء حديثها عن مرور القوافل فهي تذكر بأنها كانت تلج " من السويقة إلى المروة "[3]، وقد عرف هذا الشارع ب" الراقوبة "، وهو قريب من المدعى والجودرية من الناحية العلوية الشرقية ، فهذه المنطقة كانت بمنأى عن مخاطر السيول الجارفة ، حيث جرت العادة أن تنشئ الشوارع على تلال مرتفعة تقيها هذا الخطر، فبعد أن بنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الردم في منطقة المدعى[4] ، أصبحت الإمكانيات في استغلال الأجزاء الشرقية من هذه المنطقة أكثر توفراً ، فأنشأ هذا الشارع وأخذت العديد من المنشآت والمباني تظهر عليه ، ومن الواضح أن توفر هذه الإمكانيات إنما يعكس تباعد خطر السيول عنها ، التي أصبح تأثيرها محصوراً بالجانب الغربي للردم ، مما أدى إلى تخفيف تأثير فيضان السيول وخطرها عن الأجزاء الشرقية منها .

هذا وقد تخلل هذا الشارع أيضاً ساحات بجوار أبواب المسجد الحرام ، مثل رحبة دار القوارير شرق المسجد الحرام أمام باب دار القوارير[5] ، والرحبة الواقعة بين باب الحناطين وباب البقالين غرب المسجد الحرام[6] ، ومن المؤكد أن أمام الأبواب الأخرى الرئيسية للمسجد الحرام مثل باب الصفا وباب بني جمح وباب بني شيبة ، كانت تجاورها ساحات أيضاً ، يدل على ذلك رحبتي هذين البابين اللذين سبقت الإشارة إليهما .

كما ظهرت العديد من الشوارع الجديدة في مواضع المنشآت التي تحولت إلى أحياء سكنية في تلك الأثناء ، فتحول الدور وغيرها من المنشآت الأخرى إلى أحياء سكنية ، وبناء منشآت للخدمات على مواضع منها يقتضي ظهور العديد من الشوارع في

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة، ج١، ص٦٢٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٩٥- ١٩٦.
[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٦٥٥ ، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص٢٠٥.
[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٥، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٩٠.
[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٧٥٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص١١٢.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٠٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٨٩.
[6] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦١٢، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٧٥.

هذه المواضع كمرافق لها ، فعندما تتحدث المصادر عن بعض تلك المنشآت تشير إلى ظهور عدد من الشوارع فيها ظهرت نتيجة تقسيمها ، وقد استغلت للاتصال من منطقة إلى أخرى ، فدار الندوة كان يسلك من خلالها إلى السويقة[١] ، وكذلك كان الأمر بالنسبة لدار أم هانئ التي كانت من المداخل المؤدية لزقاق النار[٢] ، في حين أن زقاق الحذائين الذي ظهر في موضع دار عيسى بن جعفر كان يسلك من خلالها إلى السويقة والمواضع الواقعة شمال المسجد الحرام[٣] .

ولم يكن ظهور الشوارع قاصراً على تلك الأسباب فقط ، بل لقد جرى شق بعض الشوارع من خلال بعض الرباع لتخترقها ، كما حدث بالنسبة لثنية الحزنة " الحفائر " التي سهلها يحي بن خالد البرمكي ، والتي يسلك فيها من جبل عمر إلى التنضباوي والمسفلة[٤] ، فانتقال رباع بني عدي بن كعب وبعض رباع بني مخزوم من موقعهم القديم جنوب المسجد الحرام إلى غربه في النواحي القريبة من جبل عمر وثنية كدى " ربع الرسام "[٥] ، بعد التوسعات التي أجريت للمسجد الحرام تطلب ظهور شوارع جديدة تؤدي إليها ، فظهر زقاق النار وزقاق مهر المؤدية إلى جبل عمر وغير ذلك من المواضع الواقعة غرب المسجد الحرام[٦] ، وتوسع النشاط العمراني في هذه المنطقة ، واخترقته منافذ جديدة تؤدي إلى أسفل مكة ، وهذه المنافذ هي ثنية الحزنة والتي يسلك من خلالها إلى التنضباوي ماراً بالرمضة " قوز النكاسة " ثم إضاءة لبن " العكيشية " على طريق اليمن[٧] .

ولم تقتصر مظاهر التطور العمراني للشوارع على ظهور شوارع جديدة فقط ، بل كانت هناك مظاهر تطور عمراني أخرى تعرضت لها الشوارع ، فهناك شوارع

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٦٥٥، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٢٠٥.

[٢] - يعرف هذا الزقاق بزقاق سقيفة أو زقاق القبة الواقع بين الحزورة " السوق الصغير " وشارع مبطح السيل " المسيال " .
أنظر : الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٠، هامش رقم ، ١، أبكر : صور من تراث مكة ، ج٢، ص٦٢٩.

[٣] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص٢٠٩.

[٤] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ٩٥٩، هامش رقم ١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٣، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٤، ٣٥، أبكر : صور من تراث مكة ، ج٢، ص٥٩٥.

[٥] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٨، ٩٥٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٢- ٢١٤.

[٦] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٥٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١١.

[٧] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ٩٥٩، هامش رقم ١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٢، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٤، ٣٥، أبكر : صور من تراث مكة ، ج٢، ص٥٩٥- ٥٩٧، العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٦٦٣.

جرت توسعتها ، مثلما حدث للشارع الواقع في مواجهة باب الصفا جنوب المسجد الحرام ، الذي أجريت عليه بعض التعديلات فمن المؤكد أنها كانت في شكل توسعة ، وذلك بعد أن أزيلت بعض رباع بني تيم ورباع بني عائذ بن مخزوم في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي وتحولت أراضيها مجرى لسيل الوادي الجديد ومحلاً للمسعى[١] ، وبالإضافة إلى التوسعة فهناك شوارع زيد في أطوالها ، فالطريق العظمى زيد في طوله ليشمل الشارع المواجه لباب الصفا وصولاً إلى جبل خليفة واللاحجة " ربع بخش " ومنها إلى كدي[٢] .

ومن الواضح أن هذه الزيادة قد تمت في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي نظراً لما أحدثه من توسعة لهذا الشارع كما سبق أن أشرنا بالإضافة إلى استخدامه كطريق يسلك منه إلى جبل خليفة .

فمنذ أن اتجهت المباني ناحية الجبل صار يسلك من خلال هذا الطريق ، مما يستوجب بطبيعة الحال أن يصل هذا الشارع إلى موقع الجبل ، وهو أمر لم يكن موجوداً قبل الإسلام ذلك أن إمكانياتها لم تكن متاحة للاستغلال العمراني نظراً لوجود مجرى السيل الذي كان يشمل المنطقة في تلك الأثناء ، فبنيت القناطر وأصبحت إمكانيات الاستغلال للمنطقة متوفرة كما تشير إلى ذلك المصادر حيث تقول " ....ومسيله يمر في موضع يقال له : الخليج يمر في دار حكيم بن حزام ، وقد خلج هذا الخليج تحت بيوت الناس وابتنوا فوقه "[٣] .

أما آخر المظاهر العمرانية التي شهدتها الشوارع في تلك الفترة فكانت انسداد بعض الشوارع نظراً لتعرض بعض المناطق السكنية للتلف والتخريب بعد السيول التي اجتاحت مكة ، فلقد اقتضى ذلك الفصل بين الخرائب والمواضع التي أعيدت عمارتها فسدت بدايات الشوارع التي يقع عندها الخراب والأزقة الشارعة على الوادي وهو ما أشارت إليه المصادر أثناء حديثها عن ما تم انجازه بعد السيل الذي اجتاح مكة في خلافة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان فهي تذكر بأنه قد أمر " بعمل ضفائر الدور الشارعة على الوادي للناس من المال الذي بعث به ، وعمل ردماً على أفواه السكك ، يحصن بها دور الناس من السيول ، وبعث رجلاً نصرانياً مهندساً عمل ذلك ، وعمل ضفائر المسجد الحرام ، وضفائر الدور في جنبتي

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٩٤- ٩٠٠، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٢٠-٣٢٨.

[٢] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٤، هامش رقم ١ .

[٣] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٤٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩١ .

الوادي ، وكان من تلك الردوم . الردم الذي يقال له ردم الحزامية ، على فوهة خط الحزامية ، والردم الذي يقال له : ردم بني جمح ..."[1].

ومن المؤكد أن يكون هناك الكثير من الشوارع التي سدت أثناء محاصرة الجيش الأموي لابن الزبير والثورات التي قامت بين العباسيين والعلويين[2] ، نظراً لوقوع أجزاء كبيرة منها تحت طائل التلف بعد الحريق الذي تعرضت له المدينة في عام ٦٤هـ وعام ٧٣هـ [3]، فقد تم الفصل بينهما وبين المواضع التي أعيدت عمارتها .

وإلى جانب ذلك فقد أغلقت بعض الشوارع المؤدية إلى المسجد الحرام ، منها الزقاق الذي كان بين المسجد الحرام ودار العجلة سدّه يقطين بن موسى حين بنى دار العجلة للخليفة العباسي محمد المهدي[4] ، والزقاق الذي بين دار السيدة زبيدة والمسجد الحرام ، كان به حوانيت لبيع الدجاج والحمام وكان نافذاً يسلك منه إلى سويقة والجهات الشمالية من المسجد الحرام ، سُد وأدخل في دار السيدة زبيدة سنة ١٨٨هـ [5]، وكذلك كان الأمر للطريق الذي تسلكه المحامل والقباب من السويقة إلى المروة سدّه عبد الله بن مالك الخزاعي ، كما سد العباس بن محمد الطريق الذي ينفذ إلى جبل الديلمي ، وذلك بعد أن اشترى دار البيضاء من معاوية بن أبي سفيان والتي كان يسلك من خلالها إلى جبل الديلمي[6] .

هذا وقد كانت الطرق الرئيسية المؤدية إلى خارج مكة المكرمة أربعة طرق :

أولها الطريق العظمى الذي كان يمتد من شعب بني هاشم وسوق الليل شرق المسجد الحرام ماراً بشعب ابن عامر وجبل العيرة وبئر ميمون " الغسالة " ليتصل بالطريق المؤدي إلى العراق .

أما الطريق الثاني من ناحية المسفلة يسلكه أهل اليمن يمر بإضاءة لبن " العكيشية " والرمضة " قوز النكاسة ".

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٦٠، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١١٣.
[2] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٩٦، ١٧٣.
[3] - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج١، ص٢٨٧، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٩٦- ١٠٣.
[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٦٠٦، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٦٩.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص١٦٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٩٦.
[6] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٣- ٨٦٥، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٧- ٢٩٠.

والطريق الثالث والربع يسلكه أهل الشام ومصر ومن أراد العراق على طريق المدينة المنورة[1] ، ويبدأ هذا الطريق من ثنية كدى " ريع الرسام " التي يهبط منها إلى ذي طوى " العتيبية " والثنية الخضراء " ريع الكحل " ويسير إلى فخ " الزاهر " فإذا اتجه هذا الطريق شمالاً اتصل بطريق مكة المكرمة – المدينة المنورة ، وإذا اتجه غرباً يمر بالشيق " أم الجود " ويتصل بطريق مكة المكرمة – جدة [2] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد احتوت مكة المكرمة على مساحات خالية من البناء كان يطلق عليها " رحاب " تركت لتستخدم في أغراض مختلفة[3] ، وهي المكان الرحب الواسع ورحبة المكان ساحته ومتسعه[4] .

وقد استخدمت كمقابر للموتى ومرابض للخيل والحمير[5] ، فالرحبة التي كانت بين دار أبي سفيان ودار حنظلة بن أبي سفيان " رحبة بين الدارين" كانت تحط عندها العير المحملة بالحنطة والحبوب والسمن والعسل القادمة من السراة والطائف[6] .

وتشكّل هذه الرحاب المتنفس لسكان المدينة التي يتراص فيها البناء بشكل مكثف ، كما أنها تأتي ضمن النسيج العمراني لأغراض الاستراحة والترويح النفسي والتجميل ، فهي تقوم بدور بيئي بتوفير التهوية الصحية المناسبة[7] ، وخير مثال لذلك رحبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طريق المسعى شرق المسجد الحرام التي كانت في الأصل داراً للخطاب بن نفيل ، فهدمها رضي الله عنه في خلافته وجعلها رحبة ومناخاً وتفسحاً للمسلمين[8] .

وتميزت المدينة المقدسة باحتوائها على ساحات من أنواع أخرى ، فقد كان يوجد بجوار أبواب المسجد الحرام ساحات أيضاً ، مثل رحبة دار القوارير شرق المسجد الحرام أمام باب دار القوارير في طريق المسعى[9] ، ومثل ذلك يقال عن الرحبة

---

[1] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢٨.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٦٠- ٩٦٨.
[3] - محمد عبد الستار عثمان : المدينة الاسلامية ،ص١٧٢.
[4] - الجوهري : الصحاح،ج١، ص١٣٤، ابن منظور : لسان العرب ،ج١، ص٤١٤.
[5] - الماوردي: (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت٤٥٠هـ) ، الأحكام السلطانية ، دار الحديث، القاهرة ، ص٢٦٧.
[6] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٨.
[7] - النويصر : خصائص التراث العمراني ، ص٥٨.
[8] - الأزرقي: أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٣٣، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٨٣، العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٦٤٤.
[9] - الأزرقي: المصدر السابق ،ج١، ص٦٠٣، الفاكهي :المصدر السابق، ج٢، ص١٨٩.

الواقعة غرب المسجد الحرام بين باب البقالين وباب الخياطين[1] ، وعليه فمن المؤكد أن بقية الأبواب كانت تجاورها ساحات أيضاً .

ونظراً لقلة الأرض حول المسجد الحرام ورغبة المسلمين في التقرب منه بنيت المنازل ملاصقة له[2] وأخذت المباني والمنشآت المختلفة الأنواع تظهر على حساب تلك الساحات الفسيحة ، لتأخذ المدينة بالضيق وتتصف بالازدحام[3] .

فرحبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جرى استغلال جزء منها كما يشير إلى ذلك الأزرقي ، فيذكر أن لأصحاب الأدم حوانيت في تلك الرحبة حيث اتخذوا لهم مقاعد فيها وكانت لهم صناديق يضعون متاعهم فيها ليلاً ، ثم أصبحت تلك المقاعد خياماً بالجريد والعسف ، ثم مالبثت أن بنيت باللبن النيء وكسار الآجر حتى أصبحت بيوتاً صغار يؤجرونها في الموسم[4] ، وكذلك كان الحال بالنسبة لرحبة بين الدارين التي ظلت باقية إلى أن بنيت دار زياد في موضعها في عهد معاوية بن أبي سفيان[5] .

كما بنيت دار القوارير في موضع الرحبة شرق المسجد الحرام في طريق المسعى ، بناها حماد البربري لجعفر بن يحي البرمكي في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد[6] ، وبنيت دار جعفر بن يحي البرمكي على رحبة غرب المسجد الحرام بين باب البقالين وباب الحناطين[7] .

وهكذا فقد تحولت تلك الرحاب إلى مواضع للسكنى والمنشآت المختلفة الأنواع فلم تعد مكة المكرمة تتميز بوجود تلك الرحاب والساحات الواسعة الفسيحة ، كما يشير إلى ذلك البتنوني الذي زار مكة سنة ١٣٢٧هـ حيث يقول :" وليس بمكة على كبرها ميادين عمومية ، اللهم إلا صحن المسجد الحرام الذي بسعته يؤدي وظيفية الميادين الكبرى "[8].

---

[1] - الأزرقي: أخبار مكة ، ج١، ص٦١٢، الفاكهي : أخبار مكة، ج٢، ص١٧٥.
[2] - فارسي : التكوين المعماري والحضري ، ص٦٢.
[3] - الحارثي : أثر صلاح الدين الأيوبي ، ص٣٧٨.
[4] - الأزرقي: أخبار مكة،ج٢، ص٩٠٣،٩٠٤، الفاكهي: أخبار مكة ،ج٣، ص٣٣٢، السباعي : تأريخ مكة ، ج١،٢ ، ص٨٣.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٨، العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص٦٥٣.
[6] - الأزرقي: المصدر السابق، ج١، ص٦٠٣، الفاكهي :المصدر السابق، ج٢، ص١٦٦.
[7] - الأزرقي: المصدر السابق، ج١، ص٦١٢، الفاكهي :المصدر السابق، ج٢، ص١٧٥.
[8] - البتنوني :الرحلة الحجازية ، ص٣٩.

المبحث الرابع

الأسواق

السوق هو موضع البياعات ، مشتقة من سَوق الناس بضائعهم[١] ، وهي من الألفاظ التي يستوي فيها التذكير والتأنيث[٢] ،وسميت بذلك لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها[٣] ، وهي المكان الذي يتم فيه التعامل التجاري ، وتسوّق القوم إذا باعوا واشتروا[٤]، وتعتبر الأسواق من أهم المرتكزات التي تقوم عليها العملية التجارية ، حيث يتم العرض والطلب للسلع التي يراد بيعها أو شرائها لذا يعتبر وجود الأسواق مهماً لرواج هذه السلع[٥]، فهي إلى جانب كونها مركزاً لتبادل السلع بالبيع والشراء فإنها مركز اجتماعي للقاء المعارف والأصحاب وتبادل الأفكار والأحاديث والشائعات لما يحدث فيها من مناقشات في أمور السياسة والاقتصاد أو بعض المسائل العلمية[٦]،وخير مثال لذلك ما أورده الفسوي في حديث حفصة عن أبي بكر قال : "قال سفيان : كان عمرو بن قيس يحدثه عن أميه وكنت لا أجترئ أن أسأله فيه ، وكان يجالس خالد بن محمد الزهري وعبد الله بن شيبة ، وكانوا من كبار قريش يومئذٍ ، وكانوا يتجالسون في سوق الليل على باب المسجد – وهو يومئذٍ على باب المسجد ، فاستعانني أميه ، أنظر له خالد بن محمد فلا أدري وجدته أم لا ، فلما استعانني اجترأت عليه فسألته فحدثني به "[٧].

وقد ورد ذكر السوق في موضعين من سورة الفرقان ، قال تعالى : "وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق "[٨].

وقوله :" وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعضٍ فتنةً وكان ربك بصيرا"[٩].

كما تعتبر الأسواق ركيزة من ركائز الاقتصاد ، وتلعب دوراً هاماً في التنمية وتنشيط الحركة التجارية[١] ، فكثرة الأسواق أو قلتها دليلاً على قوة الحركة

---

[١] - ابن سيده: المخصص ، ج٣، ص٤٣٥.
[٢] - ابن سيده : المصدر السابق، ج٣، ص٤٣٥، ابن منظور : لسان العرب ، ج١٠، ص١٦٧.
[٣] - ابن منظور : المرجع السابق، ج١٠، ص١٦٨.
[٤] - الزبيدي : تاج العروس ، ج٢٥، ص٤٧٦.
[٥] - آل زيد : الشريف مسعود محمد ، تأريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد ، دار القاهرة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م، ص١٦٥.
[٦] - محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص٢٢٧، الهلابي : عبد العزيز بن صالح ، الأسواق في مكة حتى نهاية العهد الأموي ، مجلة العرب ،ج٩، ١٠، الربيعان ١٤٢٢هـ/ حزيران وتموز ٢٠٠١م، الرياض ، ص٤١١.
[٧] - الفسوي : (أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي ت٢٧٧هـ)، المعرفة والتاريخ ، تحقيق : أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط٢، ١٩٨١م، ج٢، ص٦٩٨.
[٨] - سورة الفرقان: آية ٧.
[٩] - سورة الفرقان: آية ٢٠.

التجارية[٢]، وقد اشتهرت مكة المكرمة بالتجارة وكانت تمارس تجارتها في الأسواق[٣]، وإنشاء الأسواق في المدن من محاور النهضة بعمرانها ، لأن المدن : " تتفاضل بالأسواق وكثرة الأرزاق ونفاق الأسواق من تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة "[٤].

وقد عرف العرب الأسواق قبل الإسلام متأثرين بعاملين المواسم الدينية والاشتغال بالتجارة[٥]،حيث كان لفريضة الحج دور في الحياة الاقتصادية ، فقد ترتب على تجمع المسلمين في بقعة واحدة وزمان واحد تعدد الأسواق ، ونستطيع أن نصنف الأسواق المكية في تلك الفترة إلى ثلاثة أنواع :

أولها الأسواق الرئيسية العامة وهي التي تتم فيها المبادلات التجارية ، وتتنوع الأنشطة التجارية في هذه الأسواق، كتجارة المواد الغذائية ، كالحبوب والتمور والفواكه والخضروات وغيرها ، وتجارة المواشي كالإبل والغنم والخيل ، وتجارة المنسوجات والثياب[٦] ، بالإضافة إلى انفراد بعضها في بيع نوع من أنواع المنتجات الاستهلاكية ، وتتميز هذه الأسواق باستمرار النشاط التجاري فيها بصفة يومية ودائمة .

ويعد سوق الحزورة الواقع بجوار المسجد الحرام من الجهة الجنوبية الغربية من أقدم هذه الأسواق ، وهو سوق مكة الرئيسي يقول الفاكهي : " والحزورة كانت سوق مكة القديم ، وكان فيه مجتمع الناس للبيع والشراء "[٧].

أما سوق " الكثيب " أسفل جبل خليفة الممتد من سوق الحزورة إلى أسفل مكة من أهم الأسواق في هذه الفترة[٨] ، وكان سوق قرن القرط في نهاية أجيادين – أجياد الكبير وأجياد الصغير – من الأسواق القديمة أيضاً بمكة[٩] ، كما كان تجار قريش

---

[١] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٩٨.
[٢] - آل زيد : تأريخ مكة المكرمة ، ص١٦٥.
[٣] - ضيف الله الزهراني وعادل غباشي : تاريخ مكة التجاري ، ص٨٣.
[٤] - محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص٢٢٧، ٢٢٨.
[٥] - المزيني : إبراهيم بن محمد، الأسواق والمراكز التجارية عند ابن جبير ، مجلة الدرعية ، ع١٠، ربيع الآخر ١٤٢١هـ/ يوليو ٢٠٠٠م، ص١٥٢.
[٦] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٩٨، ٩٩.
[٧] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٢٠٧.
[٨] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٤٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩١.
[٩] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٢.

ينتظرون وصول القوافل القادمة من اليمن عند سامي المنظر دون اضاءة لبن " العكيشية " فيتبايع الناس فيه ويشتروا منه المتاع اليمني[١] .

وإلى جانب هذه الأسواق فهناك العديد من الأسواق العامة المجاورة للمسجد الحرام كسوق سويقة[٢] وسوق الأبطح ويقعان في الناحية الشمالية الغربية من المسجد الحرام[٣] ، وسوق الليل في شعب أبي طالب شرق المسجد الحرام[٤] ، سوق ساعة[٥] بالمعلاة في أول شعب عامر[٦] .

والنوع الثاني من الأسواق هي أسواق الأحياء السكنية ، وتحتوي عادة على حوانيت البقالة وأفران الخبازين وما شابه ذلك ، كسوق بين الدارين الذي تُعرض به بضائع القوافل القادمة من السراة والطائف المكونة من الحنطة والحبوب والسمن والعسل[٧] ، وربع أم أنمار القارية الشارع على المروة[٨] ، وكذلك دار صفوان بن أمية الجمحي أسفل مكة الذي تباع به مختلف البضائع المجلوبة من مصر لذلك سميت ب" دار مصر "[٩] .

أما النوع الثالث من الأسواق هي الأسواق الموسمية التي تعقد في موسم الحج من كل سنة وعادة ما تقع عند أطراف المدن ، ولم تقف المصادر على تاريخ محدد لنشأة الأسواق في مكة ، فقد ذكر الأزرقي وغيره من المؤرخين عدة روايات عن تلك الأسواق وما حولها مفادها : أنه إذا كان موسم الحج خرج الناس من عدة قبائل في بداية شهر ذي القعدة إلى سوق عكاظ[١٠] كلٌ له مكان خاص به ، للمتاجرة بالسلع

---

[١] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩٥.

[٢] - سويقة تصغير سوق ، سميت بها لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات ، وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج١٠، ص١٦٧، ١٦٨ .

[٣] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٣٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٧٤.

[٤] - البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص١٤٥.

[٥] - نسبته إلى ساعة أتت من أساعت الإبل أي أهملتها فساعت أي ضاعت ، ورجلٌ مسيع مضيع ، وأساع ماله أي أضاعه .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٨، ص١٦٩، ١٧٠ .

[٦] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٧١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٧٥.

[٧] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٨.

[٨] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣١٧.

[٩] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٤٢.

[١٠] - عكاظ : بضم أوله وفتح ثانيه ،اسم سوق من أشهر أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، تقع بين نخلة والطائف ، أنظر : البكري : معجم ما استعجم ، ج٣، ص٩٥٩، الحموي : معجم البلدان ،ج٤، ص١٤٢.

والبضائع المختلفة مدة عشرين يوماً[1] ، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى سوق مجنة[2] فيقيمون بها عشرة أيام ، وفي بداية شهر ذي الحجة ينتقلون إلى ذي المجاز[3] فيقيمون بها ثمانية أيام [4] .

وكانت أيام هذه الأسواق عامرة بالحركة التجارية تنشط فيها حركة البيع والشراء والمبادلة ، وتستمر حتى يوم التروية[5] وهو اليوم الثامن من ذي الحجة آخر يوم لأسواق العرب وذلك قبل الإسلام ، فكانوا لا يتبايعون في يوم عرفة ولا في أيام منى[6] .

ونظراً لان ازدهار الأسواق وتوسعها يرتبط بزيادة الطلب على البضائع والسلع المختلفة الأنواع ، فمن الواضح أن أسواق مكة المكرمة قد ازدهرت وتطورت أوضاعها بعد ظهور الإسلام ، حيث تعرضت المدينة لمتغيرات اقتصادية واجتماعية فقد ترتب على توافد المسلمين عليها من كل انحاء العالم الإسلامي زيادة الطلب على منتجات الأسواق وازدهار البيع والشراء وتنوع ووفرة السلع الانتاجية .

فأضحى هناك احتياجات جديدة نتيجة توجه الدولة ورجالها تأمين الكثير من متطلباتهم من السوق ، علاوة على ظهور تقاليد وأنماط اجتماعية جديدة أدت إلى زيادة انتعاش الحياة الاقتصادية ، ودفعت نحو مزيد من الطلب على الأسواق أيضاً ، مما زاد من مستوى الانتاج وقد أثرت كل تلك التغيرات الاقتصادية على الأسواق في شكل ظهور أسواق جديدة متباينة في مبيعاتها من أسواق المواد الغذائية

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٢٨٠، المعيقل : خليل بن إبراهيم ، دراسة لآثار موقع عكاظ ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٣٢هـ، ص١١.

[2] - مجنة : بفتح أوله وثانيه وبعده نون مشددة ، من أسواق العرب المشهورة في الجاهلية ، وكانت مجنة بمر الظهران "وادي فاطمة" قرب جبل يقال له الأصفر على أميال من مكة ، ورجح البلادي أن بلدة بحرة الواقعة بين مكة وجدة هي مجنة .
أنظر : البكري : معجم ما استعجم ، ج٣، ص٩٥٩، الحموي : معجم البلدان ، ج٥، ص٨٥، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢٤٦.

[3] - ذي المجاز : سوق من أسواق العرب ، عن يمين الموقف بعرفة من أصل كبكب وهو لهذيل خلف عرفة .
أنظر : البكري : المصدر السابق ، ج٤، ص١١٨٥، الحموي : المرجع السابق ، ج٥، ص٥٥.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٢٨٠، ابن بكار : جمهرة نسب قريش ، ص٣٦٧، ٣٦٨.

[5] - يوم التروية : هو اليوم الثامن من ذي الحجة ، وسميت بالتروية لانهم كانوا يروون دوابهم بالماء ويحملونه معهم أيضاً في الذهاب من مكة إلى عرفات .
أنظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، ج١، ص١٢٦، العيني : عمدة القاري ، ج٩، ص١٥٧.

[6] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٢٨١.

والمنسوجات والألبسة وأسواق الماشية والطيور وأسواق الحطب والفحم وغير ذلك كما سيتضح لاحقاً ، بل من المؤكد أن ذلك أثّر أيضاً على أسواق المدينة القديمة ، فبالرغم من استمرار بعضها في تأدية وظائفه بعد الإسلام واندثار البعض الآخر ، إلا انها يبدو أنها فقدت مكانتها السابقة فالمعلومات المتوافرة عنها قد تكون نادرة لدرجة أنها تكاد أن تكون معدومة .

فسوق الحزورة ظل يمارس نشاطه التجاري في ظل الإسلام يؤكد ذلك ما رواه أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن عدي بن الحمراء ، قال له : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على ناقته ، واقف بالحزورة يقول : " والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلي ، والله لولا أني أخرجت منك ما خرجت "[1] ، واستمر إلى أن أدخلت أرضه الملاصقة للمسجد الحرام في مساحته وذلك عندما وسع المسجد الحرام في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي سنة ١٦٨هـ[2] .

وكانت حركة البيع والشراء في سوق الليل مزدهرة في عهد أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3] ، واستمرت الحركة التجارية به في رواج وازدهار عقداً زمنياً تعرض فيه الباعة شتى أصناف المبيعات والصناعات ، أما سوق الكثيب فالمصادر التاريخية لا تشير إلى وجوده بعد ظهور الإسلام[4]، كما استمر سوق بين الدارين في استقبال القوافل القادمة من السراة والطائف إلى أن بنيت دار زياد في موضعها في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان[5] .

أما الأسواق الموسمية فقد استمرت في تأدية وظائفها في ظل الإسلام ، ولكن ظهرت عليها بعض بوادر الضعف مما أدى إلى تضاؤل وتراجع دورها بصورة واضحة في أواخر العصر الأموي ، وذلك بسبب ظهور الأسواق الدائمة اليومية في مكة ومنى وعرفات التي حلت محل تلك الأسواق الموسمية التي تعقد في كل من عكاظ ومجنة وذي المجاز ، بالإضافة إلى ما وصلت إليه الأوضاع السياسية في أواخر العصر الأموي من تدني واضح زاد من تضاؤل دور تلك الأسواق ، فكان

---

[1] - ابن ماجه : سنن ابن ماجه ، ج٢، ص١٠٣٧، الترمذي : سنن الترمذي ، ج٥، ص٧٢٢.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٥٥، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٧٤.
[3] - ابن عساكر : تاريخ دمشق ،ج٧٠، ص٢٥٢، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص١٥٥، أبكر : صور من تراث مكة ، ج١، ص٣٦١.
[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٤٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩١ .
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٧، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٨.

أول ما ترك منها سوق عكاظ وذلك بعد قدوم الحرورية[1] بقيادة أبي حمزة الخارجي إلى مكة سنة ١٢٩هـ ، فخاف الناس الذهاب إليها ، وأدى ذلك إلى توقف وإعاقة النشاط التجاري بها ، فتركت في هذه السنة عكاظ ، ثم تركت بعد ذلك سوق مجنة وذي المجاز واستغنى الناس عنها بالأسواق الدائمة القائمة في مكة ومنى وعرفات[2].

ومن الواضح أن هذه التطورات هي التي أوجدت غالب المتغيرات العمرانية التي شهدتها أسواق المدينة في تلك الأثناء ، ومن أبرز هذه المتغيرات ظهور التخصص في الأسواق أي أن يكون لكل نوع من أنواع السلع سوقاً خاصاً بها ، ومعظم أسماء تلك الأسواق تشير بشكلٍ واضح إلى نوعية السلع التي تباع بها والأنشطة التي كانت تمارس فيها[3] ، وهو اجراء تنظيمي بدأ باتخاذه بعد ظهور الإسلام ، اذ يلاحظ أن غالبية الأسواق التي ظهرت في تلك الأثناء كانت متخصصة ببيع فئة واحدة من السلع والبضائع ، ومثل هذه الظاهرة لم تكن معروفة في مكة قبل العصر الإسلامي ، إذ أن سوق الحزورة الذي كان يعد من أشهر وأقدم أسواق المدينة كان يحتوي

على حوانيت الخياطين الذين ينسجون الملابس لبيعها ، فقد أشارت المصادر أثناء حديثها عن المواضع الوقعة في أسفل مكة إلى وجود سوق للخياطين كان يقع في سوق الحزورة أو بالقرب منها[4] ، كما كان يحتوي على حوانيت لبيع الادم ، حيث كانت السيدة خديجة رضي الله عنها تبيع الادم مع أختها في سوق الحزورة[5] ، إضافة إلى وجود أماكن للجزارين فيه ، كما يشير إلى ذلك الأزرقي أثناء حديثه عن قصة حفر بئر زمزم في عهد عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم عقب حادثة الفيل ، فقد ذكر أن عبد المطلب بعد أن أمر في منامه بحفر بئر زمزم ذهب إلى المسجد الحرام وجلس فيه فنحرت أمامه بقرة بالحزورة[6] .

وكذلك كان الحال بالنسبة لسوق الليل فقد كان يحتوي على حوانيت الحدادين صانعي الأسلحة والأواني المنزلية الحديدية[7] ، كما كان يحتوي على سوق الرقيق

---

[1] - الحرورية : هم طائفة من الخوارج ، وحروراء : موضع بظاهر الكوفة ، لإنه كان أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا علياً رضي الله عنه ، فقاتلهم علي رضي الله عنه ، وكان عندهم من التشدد في الدين ما هو معروف .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٤، ص١٨٥.

[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٢١٣، الفاسي: العقد الثمين ، ج١،ص٣٦٢.

[3] - Angawi: sami mohsin , thsis submitted for the degree, of ph.D., university of London 1988, 172

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٥٥، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٢٠٦.

[5] - الفسوي : المعرفة والتاريخ ، ج٣، ص٢٥٣.

[6] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٥٤٩.

[7] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٦.

فقد ذكر الفاكهي أن دار العباس بن عبد المطلب كان في موضعها في قديم الدهر سوقٌ يباع فيه الرقيق ، حيث روى عن يحي بن أبي عمر العدني المكي قوله : " أدركت الرقيق يباعون في موضع دار العباس رضي الله عنه في سوق الليل "[1] .

ومن المظاهر العمرانية التي شهدتها الأسواق ظهور أسواق جديدة فنمو الاستهلاك وارتفاع مستوى الطلب على المنتجات المختلفة ترتب عنه ظهور أسواق جديدة ، فظهر سوق أصحاب الأدم[2]في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في موضع الرحبة التي أقامها رضي الله عنه بين الصفا والمروة توسعة للناس ، وقد استمرت تجارة الأدم على ما هي عليه وأصبحت مع الزمن بيوتاً تُكرى من أصحاب الأدم وتدر عليهم أموالاً كثيرة[3] ، كذلك فمن الواضح أن أسواق الماشية التي ظهرت في الناحية الشمالية الشرقية من الردم الأعلى – المدعى وبداية شعب عامر – قد أنشئت في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، اذ يقع سوق الظهر " أي الإبل " وسوق أصحاب الحمر " الحمارين " وسوق الرواسون بالإضافة إلى سوق النجارين بالقرب من الدور التي أنشأها معاوية بن أبي سفيان[4] ، مما يشير بدوره أن هذه الأسواق قد أخذت بالظهور منذ ذلك أيضاً ، أما سوق الغنم فهو من الأسواق القديمة الموجودة بمكة قبل الإسلام ، يؤكد ذلك ما رواه الأزرقي عن ابن جريج أنه قال : "لما كان يوم الفتح – فتح مكة – جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قرن مسقلة ، فجاءه الناس يبايعونه بأعلى مكة عند سوق الغنم"[5] .

كما ظهرت مجموعة من الأسواق المتعاقبة على الساحة الواقعة شرق المسجد الحرام عند رحبة بين الدارين الذي بدئ بالبناء عليها في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، مثل سوق الخرازين[6] الذي تباع فيه الأحذية والنعل والأواني الجلدية وغيرها من المصنوعات الجلدية[7] ، ليقابله حوانيت لبيع القدور والأواني المنحوتة بحجارة البرام المعروفة بأسواق البرامين[8] ، تليها حوانيت الدّقّاقُون

---

[1] - الفاكهي : أخبار مكة ،ج٣، ص٢٧٠، ٢٧١.

[2] - الأدم هي الجلود ،وقيل : هي الجلود المدبوغة .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج١٢، ص٩.

[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٣٢.

[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٧٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٩-٢٩٢.

[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩١٤.

[6] - الخرازين : هم الذين يقومون بخياطة الجلود .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٥، ص٣٤٤، ٣٤٥.

[7] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٧.

[8] - ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص٤٥.

والمُزَوِقُون[1] ، وكذلك القواسين وأصحاب الشوحط صانعي الرماح والنبال وأسلحة الرمي وذلك لحاجة العرب إليها في الغارات والحروب بين القبائل[2] ، بالإضافة إلى وجود أسواق للفاكهة والرطب وأخرى للبانين وأصحاب الشيرق[3] .

علاوة على ما اختصت به المنطقة الواقعة بين الصفا والمروة بوجود العديد من المحلات التجارية ، حيث كانت تضم كثيراً من محال العطارة والحجامة والحلاقة وباعة البز ، وقد وصف ابن بطوطه هذه المنطقة بقوله :" وبين الصفا والمروة سوق عظيمة يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لازدحام الناس على حوانيت الباعة "[4].

وكان السعي في وسط هذه الأسواق كما يشير إلى ذلك ابن فهد بقوله :"ان الساعين كانوا يلقون مشقة في مواصلة سعيهم بسبب ازدحام الباعة على الحوانيت في المسعى"[5]، ويقول الكردي:" كان المسعى سوقاً عاماً يباع فيه الحاجيات من الأطعمة والمشروبات المثلجة والأقمشة والألبسة والمجوهرات والعطور والخردوات والمكتبات وجميع ما يلزم للإنسان من الكماليات والضروريات ، وكان المسعى من أهم الأسواق بمكة يقع على جانبي المسعى ، والسعي يكون في وسط السوق وكل دكان فيه يختص ببيع نوع من الحاجيات"[6].

فسوق العطارين[7] كان قرب باب بني شيبة في دار يعلي بن منبه ، وقد دخل في المسجد الحرام سنة١٦١هـ في توسعة الخليفة العباسي محمد المهدي[1]، ولم يقتصر

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٨.

[2] - العمري : عبد العزيز بن إبراهيم ، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ١٩٨٥م ، ص٢٥٠- ٢٥٣.

[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٩- ٨٦٦، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٦٤- ٢٧٤.

[4] - ابن بطوطة : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف ب"رحلة ابن بطوطه"، دار الشرق العربي، ج١،ص١٠٧.

[5] - الزهراني : عائض محمد عائض، التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى لمؤلفه جار الله محمد بن فهد ٨٩١-٩٥٤هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، م١، ص٢١٩.

[6] -الكردي : محمد طاهر الكردي المكي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، دار خضر ، بيروت ، ط٢٠٠٠،١م، ج٦،ص١١٢.

[7] - العطارين : بائعين الطيب وحرفتهم العطارة .
أنظر : ابن منظور: لسان العرب ، ج٤،ص٥٨٢.

عملهم على بيع العطور وإنما كانوا يبيعون إلى جانب الطيب الأعشاب المختلفة التي تستعمل في علاج المرضى والتي يصفها لهم الطبيب ، لذلك كان يسمى العطار ب"الصيدلي" ، وكان الطيب يستورد من اليمن والهند عن طريق البحر الأحمر إلى الحجاز[٢] منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ويباع في أسواقها سواء ما كان على شكل دهن أو ما كان على شكل بخور[٣]، فهذه أسماء بنت مخربة أم أبي جهل كانت تتاجر بالعطور ، حيث كان ابنها عبد الله بن أبي ربيعة يبعثها لها من اليمن ، وكانت من أجود العطور وذلك بحسب ما جاء على لسان إحدى النساء إذ قالت :"والله يا بني ما شممت عطراً قط كان أطيب منه "[٤]، وكان عبد الله بن كثير يجلب العطور من دارين في البحرين [٥]، وكانت أسوق الصيادلة[٦] والخلقان[٧] شرق المسجد الحرام بين الصفا والمروة[٨] .

أما محلات الحجامون الذين يقومون بمهنة الحجامة ، وهي مص الدم بآلة يُجمع فيها دم المحجوم [٩]فكانت عند المروة[١٠] ، وقد شاعت هذه المهنة عند العرب فهي من ضروب العلاج والتداوي[١١] ، وقد أقرها عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :"إن أمثل ما تداويتم به الحجامة"[١٢] .

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ،ج٢، ص٨٨١.

[٢] - الجميح : مظاهر النشاط الاقتصادي ، ص١٦٦، عبد الله : عبد الله حافظ الحاج ، تجارة الحجاز في صدر الإسلام من البعثة النبوية إلى ٤١هـ، رسالة ماجستير ، غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، ٢٠٠٩م، ص١٣٩.

[٣] - العمري: الحرف والصناعات ،ص٢٩٦، أبكر: صور من تراث مكة المكرمة ، ج١، ص٢٤٠.

[٤] - الواقدي :(أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني ت٢٠٧هـ)، المغازي ، دار الأعلمي ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٩م ، ج١، ص٨٩، ابن سعد: الطبقات الكبرى ، ج٨، ص٨٠٠.

[٥] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص١٠١.

[٦] - الصيادلة : هم الذين يبيعون العقاقير التي يحتاجها المرضى .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج١١، ص٣٨٦.

[٧] - الخلقان الثياب القديمة .
أنظر : ابن منظور : المرجع السابق ، ج١٠، ص٨٩.

[٨] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٦٠٤، ج٢، ص٨٩٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٢٠٩.

[٩] - ابن منظور : لسان العرب، ج١٢، ص١١٧.

[١٠] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ٨٨٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٩٩.

[١١] - العمري : الحرف والصناعات ، ص٢٩٣.

[١٢] - البخاري: صحيح البخاري ، ج٧، ص١٢٥، حديث رقم ٥٦٩٦.

وبالقرب من الحجامون الحلاقون وكانت مهنتهم مقرونة بموسم الحج ووفود أعداد كبيرة من المعتمرين عليهم ليحلقوا أو يقصروا للتحلل من الإحرام [1]، ويجمع أغلب الحلاقين بين مهنتي الحلاقة والحجامة ، مثل خراش بن أمية[2] ، والحكم بن العاص ، وسعيد بن الهيلم[3] .

وكما ظهرت أسواق عند رحبة بين الدارين ، فلقد ظهرت أسواق أخرى على الساحة الواقعة بين باب الخياطين وباب البقالين ، كسوق الخياطين وسوق التمارين وسوق اللبانين[4] وسوق البقالين بائعي البقول ، ويبدو أن هذا السوق ظهر في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي اذ تذكر المصادر أنه عندما وسع المسجد الحرام بنى باباً في الجهة الغربية سمي بباب البقالين[5] ، مما يشير إلى ظهوره في تلك الأثناء ، وإلى جانب هذه الأسواق فقد كان هناك سوق لأصحاب النورة في أجياد المتمثل نشاطهم في استخدام النورة في البناء وما يرتبط بها من أعمال زخرفية[6] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك سوق لأصحاب السمك في أجياد الكبير[7] ، وسوق للبقر أسفل جبل خليفة[8] ، وتعد حرفة الدباغة من الحرف الانتاجية السائدة بمكة ، فهي تقوم على الاستفادة من جلود الحيوانات التي تنحر في مواسم الحج ، وقد أشارت المصادر إلى وجود سوق خاص بهم بأسفل مكة فروي أن دار صفوان بن أمية الجمحي التي يقال لها : " دار مصر فيها الدباغون "[9]، وفي سوق الحطب أسفل مكة[10] نشط الحطابون في جلب الحطب من الأودية والقرى المحيطة بمكة ، فكانوا يخرجون إلى الأراك[11]، وإلى جعرانة شمال مكة[12]، ووادي ضجنان[1] ، وجبل

---

[1] - العمري : الحرف والصناعات ، ص٣٠٧، ٣٠٨، أبكر : صور من تراث مكة المكرمة ، ج١، ص١٩٦.

[2] - الواقدي : المغازي ، ج٢، ص٧٣٧، ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج٥، ص٣٣٠، العمري : الحرف والصناعات ، ص٣٠٨.

[3] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص١٩٣، أبكر : صور من تراث مكة المكرمة ، ج١، ص١٩٦.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٦٣٤، ج٢، ص٩٠٠، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٢٠٣- ٢٠٧، ج٣، ص٣٣٠.

[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦١٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٧٣.

[6] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص١٠٠.

[7] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٩.

[8] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٤٨، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٩١.

[9] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٤٢.

[10] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص١٥٤.

[11] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٢، ص٤٠٢.

[12] - خسرو: سفر نامه، ، ص١٣٥.

الزنج[٢] ، يحملون الحطب على أكتافهم وفيهم من يضعه على ظهور الدواب لبيعه في تلك الأسواق[٣] .

وقد نشطت أسواق الصيارفة المتخصصين في صرف النقود ، فكانوا يتعاملون بالأموال ، فيبيعون الذهب بالفضة ويصرفون الدراهم بالدنانير[٤] ، وقد عرف هذا السوق منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ففي حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار وعامر بن مصعب : أنهما سمعا أبا المنهال ، يقول : سألت البراء بن عازب ، وزيد بن أرقم عن الصرف ، فقالا : كنا تاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف ، فقال : "إن كان يداً بيد فلا بأس ، وإن كان نساءً فلا يصلح "[٥].

ونظراً للتطور الذي شهدته الأسواق نتيجةً لانتعاش التجارة كان لابد من وجود وزانين يقومون بالوزن للناس مقابل أجر ، لأن كثيراً من المزارعين أو الصناع ليسوا تجاراً مقيمين يجلبون إلى الأسواق ما عندهم من سلع ويتقاضون قيمتها ثم يرحلون ، لذلك فهم بحاجة إلى من يقوم بوزن سلعهم[٦] .

وقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام على إيفاء الكيل والوزن الراجح حذراً من النقص المحرم ، وذلك عندما مر بالسوق وكان لأهل السوق وزان يزن فقال له عليه الصلاة والسلام :"زن وأرجح "[٧].

كما ظهرت أسواق جديدة بجوار الدور والمنشآت التي تحولت إلى أحياء سكنية في العصر العباسي ، إذ أن ظهور الأحياء الجديدة يقتضي أن تظهر في داخلها في داخلها أسواق تلبي احتياجات قاطنيها ، فدار السائب بن أبي السائب العائذي الذي تحول إلى منطقة سكنية ظهر على أراضيه سوق البزازين[٨] ، بائعي الأقمشة والمنسوجات المستوردة من أقاليم العالم الإسلامي ، حيث كان تجار التجزئة

---

[١] - وادي ضجنان : بفتح أوله وسكون ثانيه حرة مستطيلة من الشرق إلى الغرب ، يمر بها الطريق من مكة إلى المدينة ، وهي من ديار لحيان من هذيل .
أنظر: البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص١٥٩، ١٦٠ .
[٢] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٢٧.
[٣]- بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص١٩١.
[٤] - ابن منظور : لسان العرب ،ج٩، ص١٩٠، الجميح : النشاط التجاري والحرفي في مكة ، ص٩٤.
[٥] - البخاري: صحيح البخاري ، ج٣، ص٥٥.
[٦] - العمري : الحرف والصناعات ، ص١٨٦، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص١٥٦.
[٧] - أبي داود : سنن أبي داود ، ج٣، ص٢٤٥، حديث رقم ٣٣٣٦.
[٨] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٩٨ .

وأصحاب الأسواق يشترون بضائعهم من تجار القوافل[1] ، فتذكر المصادر أن البز كان يأتي من العراق "فيأتي صاحب المدينة بتسمية متاعه وصفته فيبتاعه الناس منه ثم يبيعونه بعضهم من بعض "[2]،ويذكر الدينوري في هذا الشأن أن الزبير بن العوام وعدداً من التجار المسلمين كانوا يجلبون من الشام الثياب البيض ويبيعونها في مكة[3] ، كما كانت المنسوجات اليمنية تصدر إلى الحجاز ، ففي أحد مواسم الحج اشترى عمر بن أبي ربيعة حللاً وثياباً من ثياب اليمن[4] .

كذلك فقد ظهر سوق جديد في خط الحزامية على أراضي دار حزابة في تلك الفترة أيضاً ، حيث تذكر المصادر أن به سوقاً لضرابين لسك الدنانير والدراهم[5] ، وعلى نفس الوتيرة فقد ظهر سوق في زقاق الحذائين الذي ظهر في موضع دار عيسى بن جعفر لبيع الأحذية عرف بسوق الحذائين[6] ، ومن المؤكد أن ظهور المباني على الرحبة الواقعة شرق المسجد الحرام – رحبة بين الدارين – قد دفع إلى ظهور أسواق في هذه المنطقة ، فأنشئ سوق الخرازين في موضع دار حنظلة بن أبي سفيان[7] ، كما ظهر سوق في زقاق الحدادين الذي ظهر في موضع دار مال الله – دار المرضى – عرف بسوق الحدادين[8] .

ومن المظاهر العمرانية التي تعرضت لها الأسواق ، تكرار الأنشطة التجارية فبعض التجارات كان لها أكثر من سوق موزعة في أكثر من موضع بمكة ، مثل سوق الحذائين شمال شرق المسجد الحرام في موضع دار عيسى بن جعفر[9] ، وفي أجياد الكبير[10] ، وسوق اللبانين في شعب بني هاشم[11] ، وفي خط الحزامية[12] ،

---

[1] - الجميح : مظاهر النشاط الاقتصادي ، ص١٦٣، ضيف الله الزهراني وعادل غباشي: تاريخ مكة التجاري ، ص٤٩.
[2] - الأصبحي : المدونة ، ج٣، ص٢٥٩.
[3] - ابن قتيبة :(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت٢٧٦هـ)، غريب الحديث ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١، ١٣٩٧هـ، ج٢، ص٢٤٥.
[4] - السيف : الحياة الاقتصادية ، ص١٠٢، الجميح : مظاهر النشاط الاقتصادي ، ص١٦٤.
[5] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٣٠.
[6] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص٢٠٩.
[7] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، صص٢٧٨.
[8] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٦، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٩.
[9] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٩، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص٢٠٩.
[10] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨١.
[11] - الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٤.
[12] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٣٠.

وسوق الخياطين غرب المسجد الحرام[1] ، وفي أجياد[2] ، كما كان للصيارفة توابيت قرب المسجد الحرام[3] ، وفي أجياد الصغير[4] .

ومن المظاهر العمرانية أيضاً التي تعرضت لها الأسواق انتقال الأسواق والصناعات من منطقة إلى أخرى ، مثل أسواق الجزارين التي انتقلت من موقعها شمال المسجد الحرام في موضع دار الإمارة[5] ، ودار أوس التي اشتراها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[6] ، إلى جنوب المسجد الحرام بالقرب من دار أم هانئ رضي الله عنها كما يشير إلى ذلك الفاكهي أثناء حديثه عن حصار الحجاج بن يوسف لعبد الله بن الزبير فقد ذكر أن عبد الله بن الزبير عندما فرغ من صلاة الصبح حمل على أهل مصر في الجيش الشامي بالسيف "حتى بلغ موضع الجزارين حيث كانوا عند دار أم هانئ رضي الله عنها "[7] ، وقد انتقلت أسواقهم من هذه المواقع إلى شعب أبي دُب " دحلة الجن "[8]، فالمقابر الواقعة في هذه المنطقة توقف عن استخدامها للدفن وتحولت إلى مناطق سكنية وأقيم سوق الجزارين في بعض أجزائها[9] .

---

[1] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٧١.

[2] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٣، ص١٦٣، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص١٥٧.

[3] - بابطين : المرجع السابق ، ص١٥٧.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٩٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٢٦.

[5] - الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٤.

[6] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٨.

[7] - الفاكهي : المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٠.

[8] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩١٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٤٠.

[9] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٣٢، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٥٩.

المبحث الخامس

المتنزهات والمقابر

جاء في معاجم العربية أن الجذر اللغوي لكلمة "التنزه" التباعد ، فالمتنزهات تطلق على المواضع البعيدة عن العمران ، فالأرض النزهة هي البعيدة عن الريف[١]، كما أنها تطلق على البساتين والمناطق الخضراء[٢] .

ولفظ البستان فارسي معرب ، أصله "بوستان " وهو مركب من "بو " أي الرائحة ، و"ستا" لاحقة تفيد معنى الزمان والمكان ، ومعنى "بوستان " الرائحة الطيبة ، حذفت الواو عند التعريب لالتقاء الساكنين ، وجمعه "بساتين"[٣]، والبستان الحديقة من النخل ، وأطلقت على كل أرض أدير عليها جدار وفيها شجر وزرع[٤] ، كما يطلق هذا اللفظ على الحوائط والحدائق ، والحائط هو الجدار سمي بذلك لأنه يحوط ما فيه ، جمعها حوائط وحيطان ، والحائط هو البستان من النخل إذا كان عليه جدار ، والأرض المحاط التي عليها حائط و حديقة ، فإذا لم يحيط عليها فهي ضاحية[٥] .

والحديقة مشتقة من الفعل حدق ، وأحدق استدار، وكل شيء استدار بشيء وأحاط به فقد أحدق به[٦].

فالمتنزهات ، والبساتين ، والحوائط ، والحدائق ، أسماء لأماكن الزروع والثمار[٧]، وجميعها ألفاظ تشترك في نفس المعنى من حيث التميز بالاستدارة وبالسور من حولها[٨].

وقد تكون هذه الأسوار من البناء وقد تكون من جريد النخل ، أو من أغصان الأشجار التي توفر لها الحماية اللازمة وعدم التخريب[٩].

---

[١] - الجوهري : الصحاح ، ج٦، ص٢٢٥٢، ٢٢٥٣، الفيروزآبادي :(أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٨، ٢٠٠٥م، ص١٢٥٤، الزبيدي : تاج العروس ، ج٣٦، ص٥٢٣.
[٢] - ابن منظور : لسان العرب ،ج١٣، ص٥٤٨، الزبيدي: المرجع السابق، ج٣٦،ص ٥٢٤.
[٣] - الزبيدي: المرجع السابق، ج٤، ص٤٤٣، الجواليقي: (أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ت٥٤٠هـ)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق: عبد الرحيم ، دار القلم ، دمشق، ط١، ١٩٩٠م، ص١٦٥، ١٦٦.
[٤] - الجوهري : الصحاح ، ج٤، ص١٤٥٦، ابن منظور : لسان العرب، ج١٠، ص٣٩، الزبيدي : المرجع السابق ، ج٤، ص٤٤٣، الكردي : التاريخ القويم ،ج٢، ص٢٦٦.
[٥] - الزبيدي: المرجع السابق، ج١٩، ص٢٢٠، ٢٢١.
[٦] - ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٣٨.
[٧] - عبد الله العبا :بساتين مكة المكرمة ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط١، ٢٠١١م، م٥، ص٢٨.
[٨] - اليزيدي: عمران المدينة المنورة ، ص١٢٣.
[٩] - العمري : الحرف والصناعات ، ص١٢٠.

وتعتبر المتنزهات من أهم الميادين العامة للترويح ، فهي الرئات التي يتنفس من خلالها سكان المدن[1].

لاشك أن مكة كانت خالية من الزرع والضرع على ما قال تعالى : "بوادٍ غير ذي زرع "[2] أي ليس فيه شيء من زرع[3] .

فالجبال تحيطها من جميع الجهات ، وهذا ما أشار إليه ابن بطوطه في رحلته حيث يقول عن مكة : " وهي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة في بطن واد تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها وتلك الجبال المطلة عليها ...جبل أبي قبيس وهو في جهة الجنوب منها وجبل قعيقعان وهو في الجهة الغربية منها وفي الشمال منها الجبل الأحمر "[4].

ولكن يبدو أن ذلك اقتصر على المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام فقط ، وهو ما أورده ابن حوقل بقوله "وإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط كثيرة وأودية ذات خضر ومزارع ونخيل"[5]، وأكده القزويني أيضاً بقوله "وليس بجميع مكة شجر مثمر ، فإذا جزت الحرم فهناك عيون "[6]، وهو الأمر الذي لاحظه كذلك بوركهارت الذي زار مكة سنة ١٢٢٩هـ بقوله "وليس هناك في البلدة أشجار أو حدائق تلفت الأنظار "[7].

وبناءاً على ما سبق يمكن القول بأن لفظ المتنزهات والبساتين اتسع مدلوله وارتبط بالعديد من المواضع خاصة تلك التي تقع في الضواحي أي في أطراف مكة أعلاها وأسفلها ، وذلك لميول الخلفاء للنزهة والخروج من نطاق المدينة الإسلامية[8] .

لقد عمل القرشيون وبعض العرب منذ بداية ظهور الإسلام على بذل أموالهم لزراعة أرض مكة ، ويبدو أن هدفهم ديني ، وهو خدمة لأهل مكة والوافدين فجعلوها صدقة عليهم[1] .

---

[1] - أبو عيانة : جغرافية العمران ، ص٢٨٦.

[2] - سورة إبراهيم: آية ٣٧.

[3] - الرازي: مفاتيح الغيب، ج١٩، ص١٠٤.

[4] - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ج١، ص٩٩.

[5] - ابن حوقل :(أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ت ٣٦٧هـ)، صورة الأرض، دار صادر ، بيروت ، ١٩٣٨م، ج١، ص٣٠.

[6] - القزويني :(زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ص١١٣.

[7] - معراج مرزا وعبد الله شاوش : الأطلس المصور لمكة المكرمة ، ص٤٠.

[8] - اليزيدي : عمران المدينة المنورة ، ص١٢٤.

ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال ما ذكره أصيل الغفاري عندما قدم إلى المدينة بعد الهجرة ، فسأله عليه الصلاة والسلام بقوله : يا أصيل ، كيف عهدت مكة ؟ قال : عهدتها والله يا رسول الله قد أخصب جنابها ، و أبيضت بطحاؤها ، و أعذق اذخرها ، وأسلت ثمامها ، وأمش سلمها ....)[٢].

إضافة إلى ما ذكره ابن صفوان عندما دخل مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حائطاً له بمكة ، فقال له معاوية : كيف ترى هذا الحائط ؟ قال : أراه على غير ما وصف الله تعالى به البلد، فقال : قال الله –عز وجل- "بوادٍ غير ذي زرع " وأراك قد جعلت زرعاً[٣].

توسع الخلفاء في إنشاء العديد من الحوائط والبساتين في مواقع مختلفة من مكة ، فقد شيّد أبو سفيان بن حرب حائط الحمام الذي كان يدعى ب"خيف الأرين " بالمعلاة ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٤]، كما أنشأ معاوية بن أبي سفيان ما يقارب العشرة عيون في ضواحي مكة ، ونتيجةً لكثرة هذه العيون فقد أخذت منشآت النزهة والبساتين تحيط بها ، فقد ذكرت المصادر أن هذه العيون كانت تسقي نخيلاً وكان لكل عين مشرعة[٥] يردها الناس[٦]، منها عين في حائط الحمام ، وفي حائط عوف ، وفي حائط الصفي ، وفي حائط خرمان ، وفي حائط مورّش ، وفي حائط خرمان ، وفي حائط مقيمرة ، وفي حائط حراء ، وفي حائط ابن طارق، وفي حائط فخ وقد كان الناس ينتفعون به ويشربه مارة الطريق ، وفي حائط بلدح[٧] .

فكانت هذه البساتين تمتد في شكل تدريجي إلى المعلاة شمالاً مروراً بشعب الصفي حيث كان أهل مكة يخرجون إليه ليتماروا ويتسابوا إذا اختلفوا في شيء ، كما كانت القبائل تجتمع فيه بعد الإفاضة من منى ، فينشد شاعر كل قبيلة فيمدح قبيلته ويهجوا أعدائها[٨] ، واستمر صفي السباب متنزهاً لأهل مكة في الإسلام ، وزادت أهميته مع

---

[١] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص١٦٦.
[٢] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٣٤، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج١، ص٢٥٤.
[٣] - الفاكهي: أخبار مكة ،ج٤، ص١٢٢، ١٢٣ .
[٤] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٢٨.
[٥] - مشرعة الماء هي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، وربما شرّعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها.
أنظر : ابن منظور : لسان العرب، ج٨، ص١٧٥.
[٦] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٥٠، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٢١-١٢٨.
[٧] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٣، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٢١-١٢٨.
[٨] - البلادي : معالم مكة التاريخية ، ص١٥٤.

بداية العصر الأموي وذلك حين أقام فيه الخليفة معاوية بن أبي سفيان حائطاً فكان الناس يأتونه للنزهة [١]، وتمتد هذه البساتين إلى الخرمانية بقرب ما نسميه المعابدة ثم تمضي إلى المحصب في الطريق المؤدي إلى منى ، وكانت لهم أيضاً عدة بساتين جنوب مكة في شعب خم تتصل بالليط "الطندباوي"، وامتدت هذه البساتين غرباً على امتداد أوديتها فكانت لهم بساتين في وادي فخ ووادي طوى [٢]والمنطقة المحيطة بجبل البرود [٣].

وقد حظيت هذه المتنزهات والبساتين باهتمام ملاكها ووارثيها ، حيث جعلوا على كل حائط قيماً يتولى الإشراف عليها والعناية بها ، وقد سميت بعض هذه الحوائط بأسماء القائمين عليها ، كحائط عوف الذي أنشأ بالقرب من الحجون [٤] ،وحائط مقيصرة في شعب عمرو بن عثمان "الملاوي" مقابل جبل سقر [٥]، وحائط مورّش في بداية شعب الخوز مقابل جبل حراء [٦]، وحائط ابن طارق بالمسفلة وقد اشتراه معاوية بن أبي سفيان من طارق من بني عبد مناة ثم آلت ملكيته للوليد بن عبد الملك [٧] .

وقد تتوسط هذه البساتين المساكن وتحيط بها ، من أجل مقاومة الظروف المناخية الصعبة الحارة والجافة [٨] ،مثل حائط مورّش الذي يحيط بدار محمد بن سليمان بن علي ، ودار لبابة بنت علي ، ودار عبيد الله بن قثم بشعب الخوز [٩]، وحائط خرمان الذي يمتد إلى بيوت أبي جعفر العلقمي وبيوت أبي الرزّام [١٠] ، وحائط الصفي "الجميزة"

وكان يفصل بين دار زينب بنت سليمان والدار التي فوقها ودار العباس بن محمد [١١]
.

كما أخذت منشآت النزهة والبساتين تتقدم باتجاه البرك ومواضع محابس المياه وتحيط بها ، مثل بستان بركة ماجن بالمسفلة ، يقول الكردي : "ونعتقد أنه أقدم

---

[١] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٤٣٥، ٤٣٦.
[٢] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٦.
[٣] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٢٢٠.
[٤] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥١، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٢١.
[٥] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٢٢.
[٦] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٢، الفاكهي: المصدر السابق ، ج٤،ص١٢٣.
[٧] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤،ص١٢٥.
[٨] - اليزيدي : عمران المدينة المنورة ، ص١٢٨.
[٩] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢٣.
[١٠] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٢٥، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٢٣.
[١١] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٥٢، الفاكهي : المصدر السابق،، ج٤، ص١٢٢.

بستان بمكة ،لأن بركة ماجن ، بركة قديمة غزيرة الماء يرجع عهدها إلى القرن الثامن للهجرة ...ولابد أن أطراف هذه البركة العظيمة كانت مزروعة بالخضار التي تمون مكة من قديم الزمن "[1]، ويبدو أن البساتين التي أنشأها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في زمنه أخذت تنمو في عصور لاحقة وتحيط بالبرك التي بنيت في العصر العباسي ، فحائط عوف الذي أنشأ بالقرب من الحجون أخذ يحيط ببركتا الخليفة العباسي هارون الرشيد التي تعرف ب"ماجلي هارون"[2]، وكذلك كان الحال بالنسبة لحائط مقيصرة الذي أخذ يتجه نحو بركتي سليمان بن جعفر مقابل جبل سقر الذي يشرف على شعب الأخنس من الغرب [3]، وحائط الحمام بالمعلاة الذي يقع بالقرب من بركة أم جعفر [4] .

كما بدأت البساتين تحيط بسداد الحجاج بن يوسف الثقفي التي أنشأها لحبس الماء والتي كانت توجد في أجزاء مختلفة من شعب عمرو بن عبد الله بن خالد بن أسيد "المعيصم" فأخذت تحيط موضع الأفيعية[5] ، وكذلك أخذت منشآت النزهة تحيط موضع بطحاء قريش بالمفجر حيث كان به مسيل ماء يصب فيه ما جاء من سيل الفدفدة ، فكان متنزه لقريش يخرجون إلية بالغداة والعشي[6] ، وأخذت هذه المنشآت تحيط المشاجب بأجياد عند موضع يقال له : " المياه " يحبس الأمطار حيث كان فتيان قريش وأهل مكة يخرجون إليه يتنزهون فيه[7] ، كما أخذت البساتين تحيط بئر خم بأسفل مكة قرب الميثب [8].

وقد تعرضت بعض البساتين للإهمال وتحولت إلى خراب وهدم البعض الآخر ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما تعرضت له البساتين التي أنشأها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فمن الواضح أنها أهملت بعد انقطاع العيون التي كانت تغذيها كما أشار إلى ذلك الأزرقي بقوله : "ثم كان الناس بعد تقطع هذه العيون في شدة من الماء "[9]، وأيده الفاكهي بقوله: "فتوسع الناس في ذلك بعض السعة ، وكانوا إذا انقطع من هذه العيون شيء في شدة من الماء"[10]، ويقول صاحب كتاب في منزل

---

[1] - الكردي : التاريخ القويم ، ج٢، ص٢٦٧.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢١.
[3] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٥٣، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٢٢.
[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٢٧.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ،ج٢، ص٩٣٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٢٠.
[6] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٢٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٥٦.
[7] - الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص١٩٢.
[8] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٩٨، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٦.
[9] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٤.
[10] - الفاكهي :المصدر السابق، ج٣، ص١٥٢.

الوحي : "وقد كان معاوية بن أبي سفيان أجرى الماء إلى مكة من العيون والآبار في قنوات واتخذ حياضاً بعرفة لسقيا الحجيج منها ، بيد أن هذه القنوات والحياض لم تلبث أن تخربت وأصاب الناس بذلك جهد شديد "[1]، فيظهر من ذلك أن الحال تبدل بعد الجفاف الذي أصاب مكة على الرغم مما قام به الخلفاء من جهود عظيمة في محاولة إيصال الماء إلى مكة فباتت هذه البساتين مهددة بالانقراض والزوال نتيجة الجفاف وشح المياه الذي أثر على إرواء هذه البساتين .

ومن البساتين التي هدمت "حائط حنين"[2]حيث اشترت السيدة زبيدة رحمها الله هذا الحائط وأمرت بهدمه وجعلته سداً تجتمع فيه السيول ثم صرفت عينه عبر قنوات إلى بركتها بمكة ، وذلك عندما بلغها ما يعانيه سكان مكة وحجاج بيت الله الحرام من قلة المياه[3] .

كما ذُكر بستان عمله مبارك الطبري في المربع قرب جبل البرود الذي أصبح يعرف ب"جبل الشهيد " شمال مكة[4] ، ويضاف إلى ذلك حائط فخ الذي لم "يزل قائماً إلى سنة ستٍ وأربعين ومائتين " حتى قدم أسحق بن سلمة فقام بقطع شجره ، وجعل له فلجاً يذهب إلى بركة جعلها ناحية الحصحاص ، فأبطل بذلك الحائط ولم ينتفع الناس بشيءٍ من مائه[5].

وهناك العديد من البساتين التي أقيمت في ضواحي مكة والطرق المؤدية إليها ، من ذلك حائط الرحا الذي يعتبر من أول الحوائط التي اتخذها معاوية بن أبي سفيان في أعراض مكة ، وقيل إن أول حائط أنشأه في أعراض مكة كان في موضع العباسية[6]، وكذلك مثل البساتين التي أنشأها عبد الله بن الزبير فكان له حائط ثرير في المستوفرة ما بين شعب بني عبد الله وجعرانة شمال مكة[7] ، وكان له بستان بين

---

[1] - هيكل : محمد حسين ، في منزل الوحي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩، ص٢٨٧.

[2] - حنين : بضم الهاء المهملة وفتح النون ، وادي من أودية مكة المكرمة يعرف ب"وادي الشرائع "، يسيل من السراة من جهات طاد وتنضبة ثم ينحدر غرباً فيمر بين جبل كنشيل الشهير عن يمنيه وجبلي لبن عن يساره .
أنظر : البلادي: معالم مكة التأريخية ، ص٨٧.

[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٤- ٨٥٦، الفاكهي :أخبار مكة، ج٥، ص٩١.

[4] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢٢٠.

[5] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٢٥.

[6] - الفاكهي : المصدر السابق،ج٣، ص٢٢٩.

[7] - الحازمي : (أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني ت٥٨٤هـ)، ما أتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ، تحقيق : حمد بن محمد الجاسر ، دار اليمامة ، ١٤١٥هـ ، ص١٢٢، الحموي : معجم البلدان ، ج٢، ص٧٨.

منى وعرفة[1] ،بالإضافة إلى البساتين التي أقيمت في طريق وادي بلدح وقد اشتهر هذا الموضع بكثرة الماء والبساتين كما يصفه ابن جبير في رحلته[2] ،ومن هذه البساتين حائط سعيد بن عمرو بن العاص ببلدح[3] ، وحائط ابن سعيد عند ملحة الحروب[4] ، وحائط الطائفي في أول شعب ملحة الغراب[5] ، كما أنشأ الدَوْرقي حائطاً في أول شعب الشيق[6] ، وعمّر ابن حشيش البزار حائط ابن الشهيد وأجرى له فلجاً وجعل فيه النخل والبقول فأصبح متنزه لأهل مكة[7]، بالإضافة إلى بساتين وادي مر شمال مكة الذي يعرف ب "وادي فاطمة " ويسمى أيضاً وادي الجموم وقد ذكره بن جبير في رحلته ووصفه بقوله : "وهو واد خصيب كثير النخل ذو عين فوارة سيالة الماء تسقى منها أرض تلك الناحية ، وعلى هذا الوادي قطر متسع وقرى كثيرة وعيون ، ومنه تجلب الفواكه إلى مكة "[8].

---

[1] - بابطين :الحياة الاجتماعية في مكة ، ص١٦٧، عبد الله العبأ: بساتين مكة المكرمة ، ص٢٩.
[2] - ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص٦٩.
[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٤.
[4] - الأزرقي :المصدر السابق، ج٢، ص٩٧٠، الفاكهي : أخبار مكة، ج٤،ص٢٢٩.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٧٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ٢٢٨.
[6] - الأزرقي :المصدر السابق، ج٢، ص٩٦٨، الفاكهي :المصدر السابق، ج٤، ص٢٢٧.
[7] - الفاكهي :المصدر السابق، ج٤، ص٢٢٤.
[8] - ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص١٢٤.

لاشك في أن من الضروري أن يكون لكل مدينة أو قرية مقابر معدة لدفن الموتى من مختلف الطوائف ، وهو ما تأكد في التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية ، حيث كان لأهل كل خطة مساحة من الأرض مخصصة يتم فيها دفن الموتى من سكانها[1].

وقد اهتم أهل مكة بضرورة وجود المقابر في مكة وكثرتها منذ العصر الجاهلي ، وذلك لكثرة الوافدين إليها الذين حُبب لهم الموت بها ، لاسيما وأن الأحاديث النبوية تحبب وتعمق هذا الأمر في النفوس[٢] ،فعن سوار بن ميمون أبو الجراح العبدي ، قال : حدثني رجل من آل عمر ، عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمين يوم القيامة "[٣].

ولقد شهدت مقابر مكة تحولات أساسية ، من أبرزها التوقف عن الدفن في بعض المقابر فمن الواضح أن المقابر الواقعة غرب الطريق العظمى على يسار الخارج من مكة في شعب أبي دُب " دحلة الجن "قد توقف الدفن بها ، حيث أخذ البناء يمتد فيها تدريجياً ذلك أنه منذ أن عمرت أسواق الجزارين حتى أخذ البناء يتقدم على حساب هذه المقبرة شيئاً فشيئاً ، فبنيت بها العديد من الجنابذ والأسبلة بناها بغا الكبير – أبو موسى – في عهد الخليفة العباسي الواثق بالله ونثل بئر أبي موسى الأشعري وبنى عندها مسجداً[٤]، فغمر العمران هذه المنطقة فالمساجد تعمر بعمارة ما حولها ولم يعد لهذه القبور التي امتدت إلى شعب الصفي " الجميزة " لتتصل بمقبرة الخرمانية على جبل أبي دجانة عند ثنية أذاخر أثراً إلا جزءاً صغيراً من مقبرة الخرمانية[٥] ، و "حوّل الناس جميعاً قبورهم في الشعب الأيسر"[٦]أي مقبرة المعلاة ، وقد علّق بن دهيش على ذلك بقوله:" وبانتقال المقبرة من الجانب الأيمن للخارج من مكة إلى الجانب الأيسر أهملت المقابر بالتدريج حتى لم يبق فيه قبر اليوم ، بل منذ

---

[١] - اليزيدي : عمران المدينة المنورة ، ص١٣٥.

[٢] - فهيم : محمد علي ، ملامح النشاط الاجتماعي في مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٩م، ص٤١.

[٣] - الطيالسي: (أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري ت٢٠٤هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد التركي ، دار هجر ، مصر ،ط١، ١٩٩٩م، ج١،ص٦٦.

[٤] - الازرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩١٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٤٠.

[٥] - الازرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٢٩، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٥٤.

[٦] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٣٢، الفاكهي :المصدر السابق، ج٤، ص٥٩.

زمن بعيد "[1]، وانتقل كذلك اسم الحجون إلى الجانب الأيسر فلم يعد يطلق اسم الحجون إلا على الجانب الأيسر[2]، الذي فيه مقبرة المعلاة[3].

فأصبحت هذه المقابر مندرسة واختفت آثارها ولم يُعلم أنها مقابر إلا من خلال ما نقلته لنا روايات الإخباريين ، فلم يبقى من هذه المقابر سوى مقبرة الخرمانية التي خصصت لآل العيص وبني مخزوم ، فرغم ضيق هذه المقبرة كان الناس لا يزالون يدفنون موتاهم كما يذكر الفاكهي ذلك بقوله :"إلا آل عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، وأبي سفيان بن عبد الأسد ، فهم يدفنون في المقبرة العليا بحائط خرمان إلى يومنا هذا"[4]، وهو ما يؤكد إلى أنها كانت مستخدمة خلال فترة البحث ، ويبدو أنها كانت قريبة من منازلهم ، فيذكر الفاكهي أن عبد الله بن عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاة قام عبد الله بن خالد بن أسيد وصلى عليه ليلاً على ردمهم عند باب دارهم ، ودفنه في مقبرتهم هذه عند ثنية أذاخر "ريع ذاخر" بحائط خرمان[5] .

وبقيت مقبرة المعلاة في الحجون هي المقبرة الرئيسية لأهل مكة منذ العصر الجاهلي ، وتسمى عند المكيين جنة المعلاة[6] ، ويسميها بعضهم المعلّى بلام وياء وهي مشهورة[7] ، وباب المعلى[8] ، وسميت بالمعلاة لأنها تقع في أعلى مكة[9] ،كما يُطلق عليها مقبرة الحجون[10]، ومقبرة أهل مكة[11]، وجبانة مكة[12] ، ومقبرة المطيبين[13]، والمطيبين هم بنو عبد مناف بن قصي ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو الحارث بن فهر[14]، سموا بذلك بعد

---

[1] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٣٢، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٥٩.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة، ج٢، ص٨٣٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٥٩.
[3] - الطبري : (أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري ت٦٩٤هـ)، القرى لقاصد أم القرى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ص٢٥٨.
[4] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٥٩.
[5] - الأزرقي : أخبار مكة، ج٢، ص٨٢٨، ٨٢٩، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٥٥.
[6] - أبكر : صور من تراث مكة المكرمة ، ج١، ص٧٩.
[7] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٣٧٤.
[8] - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص١٢٨.
[9] - الحموي : معجم البلدان ، ج٥، ص١٨٧.
[10] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٣٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٦٠.
[11] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٥٠.
[12] - الحارثي : الآثار الإسلامية ، ص٣٢٣، ساعاتي : فوزي بن محمد بن عبده ، حارة الشامية والحارات المجاورة لها ، ملتقى الأحبة ، مكة المكرمة ، ط١، ١٤٣٤هـ، ص٥١.
[13] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٦٠.
[14] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٣٧٨.

أن تعاهد أفخاذ قريش قبل الإسلام على إعانة بني عبد مناف بن قصي في أخذ ما أورثه قصي لبني عبد الدار بن قصي فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يتخاذلوا وغمسوا أيديهم بجفنة مملوءة طيباً فسموا المطيبين[1] .

وتقع مقبرة المعلاة على سفح جبل الحجون "كداء" أو ثنية المدنيين ، أو الثنية العليا[2] ، في الجنوب الغربي الممتد من ريع الحجون مشرقاً بشمال ، ويكون وجهه الشرقي جبل أذاخر الذي يشرف على ثنية أذاخر التي تفضي على الخرمانية[3] .

ويفضل أهل مكة الدفن بهذه المقبرة وذلك لكون الشعب الموجود فيه يستقبل وجه الكعبة كله مستقيماً[4]، حيث تمتد هذه المقبرة باستطالة من جبل الحبشي "السليمانية" جنوباً إلى الصفي " الجعفرية" شمالاً[5]، بالإضافة إلى ما حوته هذه المقبرة من قبور بني هاشم من أجداد الرسول عليه الصلاة والسلام وأعمامه وقبور عدد من الصحابة والتابعين ، هذا مع اختلاف المؤرخين في تعيين مواضع قبورهم لوجود أكثر من مقبرة في مكة في ذلك الوقت[6]، وقد ذكر أن بها ثمانية وثلاثين شخصاً من الصحابة والتابعين ومن الإناث ستة وقيل سبع[7] بمن فيهم السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

فحظيت الحجون بذلك بقداسة خاصة لدى المسلمين لعظمة الشخصيات المدفونة فيها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم على المقبرة ، وليس بها يومئذ مقبرة ، فقال : يبعث الله – تبارك وتعالى – من هذه البقعة ، ومن هذا الحرم كله سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ، وجوههم من الأولين والآخرين كالقمر ليلة البدر. فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله فمن هم ؟ قال صلى الله عليه وسلم :"من الغرباء..."[8]، كما جاء في معجم الطبراني أن ابن عباس قال : لما أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على المقبرة وهو على طريقها الأول أشار بيده وراء الضفيرة أو الظهيرة فقال : "نعم المقبرة هذه " قلت للذي يخبرني : خصّ الشعب ؟ قال :

---

[1] - الكردي : التاريخ القويم ، ج٦، ص١٦٧، ١٦٨ .
[2] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٧٩ .
[3] - البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٨٠ .
[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٢٧، ٨٢٨، الفاكهي : أخبار مكة، ج٤، ص٥٠ .
[5] - الحارثي : الآثار الإسلامية ، ص٣٢٦ .
[6] - الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص١٤٨، ١٤٩، الحارثي: الآثار الإسلامية ، ص٣٢٦، ٣٢٧ .
[7] - الزيلعي : أحمد عمر محمد ، مجد الدين الفيروز آبادي وكتابه إثارة الحجون لزيارة الحجون ، مجلة الخليج للتاريخ والآثار ، ع٢، ابريل ٢٠٠٦- ربيع الأول ١٤٢٧هـ، ص٤١ .
[8] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤ ، ص٥١ .

هكذا كنا نسمع أن النبي صلى الله عليه وسلم :"خص الشعب المقابل بالبيت "[1]،وهي التي قال عنها عليه الصلاة والسلام : "نعم الشعب ، ونعم المقبرة "[2].

وفي وصف هذه المقبرة يقول صاحب كتاب في منزل الوحي : "ومقبرة المعلاة التي تقع في الشمال الشرقي من مكة ، وهي فضاء فسيح محصور بين الجبال من شماله وغربه ، وتفصل بينه وبين الجبال من الشرق بعض المساجد والمساكن ، ويتصل من الجنوب بمنازل أهل مكة ، وهذه المقبرة قديمة ترجع إلى عهد الجاهلية ، وهي ما تزال مع ذلك مقبرة أهل مكة في هذا الزمن الحاضر ، ولعل بقاءها حتى اليوم يرجع إلى تقديس المكيين للقبور القديمة التي بها أكثر مما يرجع إلى رغبتهم عن اتخاذ مقبرة لمدينتهم فيما وراء الجبال التي تحصرها "[3] .

إذن كان لمكة عند ظهور الإسلام مقابر غير مقبرة الحجون التي هي مقبرة المعلاة ومقبرة الخرمانية التي ذكرناها ، ومن هذه المقابر مقبرة ذكرها الفاكهي بمنى تدعى مقبرة ثياد[4] ، ومقبرة الشبيكة التي تعرف ب"مقبرة الأحلاف " بأسفل مكة ، والأحلاف هم بنو عبد الدار بن قصي ، وبنو مخزوم ، وبنو سهم ، وبنو جمح ، وبنو عدي بن كعب [5]، سموا بذلك بعد أن عقد بني عبد الدار بن قصي وبطون قريش حلفاً عند الكعبة على أن لا ينتزع منهم بني عبد مناف بن قصي ما منحه قصي لهم من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة[6] .

ومنها أيضاً مقبرة المهاجرين بالحصحاص ، بين فخ وجبل المقلع "البكاء" شمال مكة يمين الخارج إلى المدينة في المكان المعروف بإضاءة بني غفار "المختلع " ،

سميت بمقبرة المهاجرين وذلك أن جندع بن أبي ضمرة بن أبي العاص اشتكى وهو بمكة فخاف على نفسه فخرج يريد الهجرة إلى المدينة فلما بلغ الحصحاص أدركه الموت فدفن بهذه المقبرة[7] ،فأنزل الله سبحانه وتعالى : "ومن يخرج من بيته مهاجراً

[1] - الطبراني : (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢، ج١١، ص١٣٧.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٣٢، الفاسي: شفاء الغرام ، ج١، ص٣٧٤.
[3] - هيكل : في منزل الوحي ، ص٢٠٩.
[4] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٣٠٦.
[5] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٦٠، الفاسي : شفاء الغرام، ج١، ص٣٧٨.
[6] - الكردي : التاريخ القويم ، ج٦، ص١٦٧، ١٦٨.
[7] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٣٥، الفاكهي :أخبار مكة ، ج٤، ص٦٢، ٦٣، الكردي : التاريخ القويم ، ج٦، ص١٦٨.

إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله "[1]، كما دُفن بها أيضاً جماعة من العلويين قتلوا في هذا المكان في معركة وقعت بينهم وبين العباسيين[2].

[1] - سورة النساء : آية ١٠٠.
[2] - الحارثي: الآثار الإسلامية في مكة المكرمة ، ص٣٤٢.

الفصل الثالث

المنشآت والمرافق

المبحث الأول : المنشآت الدينية

المبحث الثاني : المنشآت المدنية والعسكرية

زادت أهمية مكة المكرمة منذ بزوغ فجر الإسلام ، فقد أولاها الكثير من ولاة أمر المسلمين من الخلفاء وأهل البر والإحسان جلّ اهتمامهم وبالغ عنايتهم ، فأدى ذلك إلى تنوع وكثرة النشاطات والأعمال المعمارية فيها خلال العصور الإسلامية المختلفة ، وشمل اهتمامهم كآفة المنشآت الدينية كالمساجد وما شابه ذلك ، إضافة إلى المنشآت المدينة والمنشآت الحربية .

المساجد :

تعتبر المساجد من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية ، فهي بيوت الله في الأرض وقد أضافها عز وجل إلى نفسه تكريماً وتشريفاً ، قال تعالى : " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً "[1]، فبالإضافة إلى وظيفتها الدينية كانت مركزاً لبحث الشؤون السياسية والدينية والتربوية[2] .

اهتم المسلمون بالمساجد فبادروا إلى عمارتها بكرم وسخاء ، وتفننوا في بنائها وتزينها وأظهروا براعتهم فيها لاكتساب الأجر والثواب ، خاصةً تلك المساجد التي صلى بها الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم ،قال تعالى :" إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله وعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين "[3].

وتضم مكة المكرمة الكثير من المساجد التي يزيد عددها على الثلاثين مسجداً موزعة داخل المدينة والمشاعر المقدسة والأودية المحيطة بهما[4] .

ويعتبر المسجد الحرام هو محور التخطيط العمراني للمدينة المقدسة ، فكل نشاط وتخطيط يدور حوله ، فقد كان في البداية عبارة عن ساحة واسعة حول الكعبة المشرفة "ساحة المطاف" غير محاطة بجدار تحيط بها الدور من جميع الجهات[5]، اتخذها الرسول عليه الصلاة والسلام مسجداً بعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة[6]، وقد حظي المسجد الحرام باهتمام كبير من قبل الخلفاء المسلمين من حيث التشييد والبناء والتوسعة كلما دعت الضرورة ذلك ، فكانوا ينزعون ويشترون ما يكون المسجد الحرام بحاجة إليه .

---

[1] - سورة الجن : آية ١٨.
[2] - محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص٢١٠.
[3] - سورة التوبة : آية ١٨.
[4] - الحارثي : الآثار الإسلامية في مكة ، ص١٨٥.
[5] - باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٣٣.
[6] - باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٣٥، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٨.

فعندما ضاقت مساحة المسجد الحرام بجموع المصلين والطائفين نزع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ملكية الدور المحيطة بالكعبة المشرفة وعوض أهلها من بيت المال وهدمها وأدخل مساحتها في المسجد الحرام[1] ، وقد احتج بعض الملاك ورفضوا استلام التعويض فوضع أثمانها في خزانة الكعبة ، وقال لهم :" إنما نزلتم على الكعبة ، فهو فناؤها ، ولم تنزل الكعبة عليكم"[2]، ثم سور المسجد بحائط يبلغ ارتفاعه دون القامة ، فكان أول من أحاط المسجد الحرام بجدار وجعل له أبواباً[3] .

وفي السنة السادسة والعشرين من الهجرة أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بزيادة المسجد الحرام وذلك بهدم الدور المجاورة للمسجد الحرام وإدخال أرضها في مساحته[4] ، كما جعل للمسجد أروقة[5] .

وتابع بعد ذلك ولاة أمر المسلمين العمل على توسعة المسجد الحرام كلما دعتهم الضرورة إلى ذلك ، فأجريت له توسعتان في العصر الأموي الأولى في عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه حيث زاد من جهته الشرقية والشمالية والجنوبية ، واتخذ له رواقاً مسقوفاً على عمد[6] .

كما جدد الخليفة عبد الملك بن مروان بناء المسجد الحرام فرفع جداره بالساج وزينه بالذهب ، فجعل على رأس كل اسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب ، ولم يقم بإجراء أي توسعة للمسجد[7] .

أما التوسعة الثانية تمت في عهد الوليد بن عبد الملك ، حيث زاد في مساحته من الجهة الشرقية ، ونقض عمل والده عبد الملك بن مروان وعمّره عمارة متقنة محكمة ، فجلب له أعمدة الرخام من مصر والشام إلى المسجد الحرام ، وسقفه بالساج المزخرف ، وزيّن رؤوس الأساطين بالذهب ، وأزر داخل المسجد بالرخام

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٥٩٣، ابن فهد: إتحاف الورى ،ج٢، ص٨، السباعي : تأريخ مكة ،ج١، ٢، ص٨٤، بن صالح : الحرمان الشريفان ،ص٨.

[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٥٩٣.

[3] - السنجاري: منائح الكرم ، ج١، ص٥٢٣، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٣٩، السباعي: تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٨٤.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٥٩٣، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص١٩، السنجاري: المرجع السابق ، ج١، ص٥٢٩.

[5] - باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤١، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٨٤، مطر: تاريخ عمارة الحرم المكي ، ص٩٥، ٩٦.

[6] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٥٩٤، ٥٩٦، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤٣، السباعي : المرجع السابق ، ج١، ٢، ص١٢٧.

[7] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٥٩٧، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤٥، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤٥، مطر : تاريخ عمارة الحرم ، ص١١٩.

الأحمر والأخضر والأبيض أحضره من بلاد الشام[1]، كما زاد الخليفة أبو جعفر المنصور من مساحة المسجد الحرام من الجهتين الشمالية والغربية[2]، وتعد توسعة الخليفة العباسي محمد المهدي من أعظم توسعات المسجد الحرام حيث زاد عدد أبواب المسجد الحرام إلى تسعة عشر باباً[3]، فشملت توسعته جزءاً من أرض المسعى وذلك بعد أن تمت إزالة الدور من جهاته الشمالية والشرقية والغربية ، ولم تعد الكعبة تقع في وسطه بعد هذه التوسعة بسبب عدم إجراء أي توسعة له من الجهة الجنوبية جهة مجرى سيل وادي إبراهيم عليه السلام ، فأمر الخليفة المهدي بتحويل مجرى السيل في موضع الدور وإكمال مشروع التوسعة من الجنوب[4] .

ولم تقتصر جهود الخلفاء العباسيين على إجراء التوسعات للمسجد الحرام ، بل تعهدوه بإجراء العديد من الإصلاحات والترميمات والتجديدات والتحسينات اللازمة كلما اقتضى الأمر لذلك ، ففي سنة ٢٧١هـ قام هارون بن إسحاق عامل الخليفة العباسي المعتمد بالله بعمارة ما تهدم من الجانب الغربي للمسجد ، وذلك عندما سقطت دار السيدة زبيدة التي بجوار باب إبراهيم على سطح المسجد الحرام ، فانكسرت أخشابه وانهدمت اسطوانتين من أساطين المسجد ، فشرع في عمارته ، وجدد له سقفاً من خشب الساج ونُقش بالألوان المزخرفة ، وأقيمت الأسطوانتين الساقطتين[5] .

كما أجريت بعد ذلك توسعتان خارجة عن تربيع المسجد الحرام ، أحداهما في الجهة الشمالية فأضيف للمسجد الجزء المتبقي من دار الندوة في عهد المعتضد بالله عام ٢٨٤هـ، والأخرى في الجهة الغربية وذلك في عهد المقتدر بالله العباسي سنة ٣٠٦هـ[6] .

---

[1] - الأزرقي :أخبار مكة ، ج١، ص٥٩٨، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٥١، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٤٨، مطر :تاريخ عمارة الحرم المكي ، ص١٢٥، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٣٨.

[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٥٩٩- ٦٠٢، السنجاري : المرجع السابق، ج٢، ص٩٢، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٥٠، مطر: المرجع السابق، ص١٣٤.

[3] - مطر : المرجع السابق ، ص١٥٤.

[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٠٢- ٦١١، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٥٣، ٥٦، مطر : المرجع السابق ، ص١٤٣، ١٤٤، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٣٩- ٤١.

[5] - باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٧٠، بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٤١.

[6] - الكردي : التاريخ القويم ، ج٤،ص٤٤٧، ٤٥١، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص٧٢.

وتتوسط الكعبة المشرفة المسجد الحرام وتأتي في مقدمة المباني الدينية التي أوليت بعناية كبيرة منذ ما قبل الإسلام ، إذ تمثل درة هذه المباني ، سواء من الناحية الرمزية أو المعمارية[1] ، فهي أول بيت وضعه الله للناس على الأرض ، قال تعالى : "إن أول بيتٍ وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين "[2] ، وقد ازدادت العناية بها في العصر الإسلامي خاصة بعد أن أصبحت قبلة المسلمين ، قال تعالى : " قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلةً ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره "[3].

وقد بنيت الكعبة عدة مرات قبل الإسلام منها: بناء الملائكة ، وبناء آدم عله السلام ، ثم بناء شيث بن آدم ، وبناء إبراهيم عليه السلام ، ثم بنته العمالقة ، ثم جرهم ، ثم قصي بن كلاب ، ثم بناء قبيلة قريش وهو البناء الذي أدركه الرسول صلى عليه وسلم[4] .

وفي العصر الإسلامي بناها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه سنة ٦٤هـ، وذلك عندما تعرضت الكعبة للتصدع بعد أن أصابت منجنيقات الجيش الأموي المحاصر لابن الزبير بقيادة الحصين بن نمير الكعبة المشرفة[5]، فقرر ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها على قواعد إبراهيم عليه السلام ، وأدخل في الكعبة ما انتقصته قريش بعدما قصرت بها النفقة ، وزاد في ارتفاعها ، فصار طولها سبعة وعشرين ذراعاً ، وجعل لها ثلاثة دعائم في صف واحد ، وبابين شرقي وغربي بمصراعين ، كما جعل لها درجة في ركنها الشامي يُصعد منه إلى سطحها ، وميزاباً يصب في الحجر[6]، أما الحجر الأسود فقد تصدع بسبب الحريق الذي حدث وتشطب إلى ثلاث قطع ، فأمر ابن الزبير رضي الله عنه بتجميع أجزاء الحجر الأسود وربطها وشدها بالفضة ، وتخلخلت هذه الفضة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ، فأمر بثقب الأحجار التي فوق الحجر وتحته بالماس ثم أفرغ فيها الفضة[7] .

---

[1] - الحارثي : الآثار الإسلامية، ص٨٩.
[2] سورة آل عمران : آية ٩٦.
[3] - سورة البقرة : آية ١٤٤.
[4] - الازرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٦٨- ٢٦١.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٢٩٦، ٢٩٧.
[6] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١،ص١٣٠.
[7] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٣٠٣،الفاكهي : أخبار مكة ،ج١، ص١٣٤، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٥٧، ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢، ص٦٣، مطر : تاريخ عمارة الحرم المكي، ص١٠٩.

كما بناها الحجاج بن يوسف الثقفي بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان وذلك بعد محاصرة ابن الزبير رضي الله عنه وقتله وضرب الكعبة بالمنجنيق ، فأزال الحجاج كل ما بناه ابن الزبير رضي الله عنه وأرجع الكعبة على بناء قريش ، فسد بابها الغربي ، ورد ما زيد في حجر إسماعيل عليه السلام ، ورفع الباب الشرقي عن الأرض أربعة أذرع وشبراً وجعل لها ميزاباً[١] .

هذا فيما يتعلق بالمسجد الحرام وعمارته ، أما بقية المساجد في مكة المكرمة ، فكان مسجد المولد النبوي يقع شرق المسجد الحرام ، في الدار التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بزقاق المولد بسوق الليل في شعب أبي طالب ، وقد عرفت هذه الدار "بدار ابن يوسف" حيث أخذها عقيل بن أبي طالب بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ، فلم تزل بيد أولاده حتى اشتراها محمد بن يوسف الثقفي وأدخلها في داره التي تسمى البيضاء ، ولم تزل كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون وأخرجته من الدار وجعلته مسجداً يصلى فيه[٢] .

وبالقرب من مسجد المولد النبوي مما يلي جبل أبي قبيس مسجد مولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان في الأصل دار أبيه أبي طالب من ارثه من أبيه عبد المطلب ، وفيها ولد علي بن أبي طالب وتربى بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تحولت هذه الدار فيما بعد إلى مسجد[٣] .

وعلى بعد خطوات من مسجد المولد النبوي شمال شرقي المسعى أمام باب النبي صلى الله عليه وسلم بزقاق العطارين يقع مسجد دار السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهذه الدار كان يسكنها الرسول عليه الصلاة والسلام مع السيدة خديجة رضي الله عنها وفيها ابتنى بها ، وانجبت بها جميع أولادها وتوفيت بها ، وبقي بها عليه الصلاة والسلام إلى أن هاجر إلى المدينة ، وقد أصبحت هذه الدار مسجداً منذ العصر الأموي ، حيث اشترها معاوية بن أبي سفيان من عقيل بن أبي طالب بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام[٤] .

وبالقرب منه في بداية المسعى على يسار الصاعد إلى الصفا يوجد مسجد دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، وفي هذه الدار كان يجتمع الرسول عليه الصلاة والسلام

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة، ج١، ص٣٠٤، الفاكهي : أخبار مكة، ج٥، ص٢٢٩، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص١٣٥، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص١٠٣.

[٢] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨١١، ٨١٢، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٥.

[٣] - ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص١٠٩، الكردي: التاريخ القويم ، ج١، ص٢٩٠.

[٤] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٢، ٨١٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٧.

بإصحابه رضوان الله عليهم ليعلمهم مبادئ الإسلام بعيداً عن إيذاء المشركين لهم[١] ،وكانت هذه الدار في الأصل لأبي الأرقم المخزومي تصدق بها على ولده الأرقم ، فنسبت إليه وسميت باسمه[٢] ، وقد ظلت دار الأرقم في عقبه صدقة قائمة يسكنون فيها ويؤاجرونها حتى اشتراها أبو جعفر المنصور من أحفاد الأرقم[٣] ، ثم وهبها الخليفة محمد المهدي لجاريته الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون عندما حجت سنة ١٧١ هـ، فأقامت في موضعه المسجد[٤] .

لقد ترتب على استغلال هذه المنشآت بهدف إقامة مساجد على مواضعها إجراء تعديلات عليها أو إعادة هيكلتها بطريقة تتلاءم مع تلك التغيرات ارتبطت بأعمال هدم وتغير لأوضاع المنشآت وما شابه ذلك، فمسجد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أقيم في موضع الدار التي ولد بها عليه الصلاة والسلام ، وذلك عندما حجت الخيزران فجعلته مسجداً وأشرعته في الزقاق الذي في أصل تلك الدار، يقال له زقاق المولد[٥] ، ومسجد السيدة خديجة رضي الله عنها أعاد معاوية بن أبي سفيان بنائه من جديد على وجهٍ يتسع للمصلين ففتح به باباً من دار أبي سفيان بن حرب التي كانت بجانبه[٦]، وكذلك كان الحال بالنسبة لدار الأرقم التي تحولت إلى مسجد .

وإلى الشمال من المسجد الحرام يقع مسجد الجن في أعلى مكة ، مقابل الحجون أمام مقبرة المعلاة[٧]،وهو المكان الذي قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ربعاً من القرآن الكريم ، وعلى إثر ذلك نزلت سورة الجن عليه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : "قل أوحي إلي أنه استمع نفرٌ من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحداً "[٨]، فبنى المسلمون مسجد الجن[٩] .

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٤، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢، البتنوني :الرحلة الحجازية ، ص٥٥.
[٢] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج٣، ص١٨٤.
[٣] - العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ،ج١، ص١٩٧.
[٤] - الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٥٤.
[٥] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٢، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٣٥٦.
[٦] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨١٢، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٣٥٦.
[٧] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨١٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٨.
[٨] - سورة الجن : آية ١.
[٩] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢٠، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٠.

وعرف بمسجد الحرس لأن صاحب الحرس كان يطوف بمكة المكرمة حتى إذا انتهى إليه وقف عنده ولم يجزه حتى يتوافى عنده عرفاؤه وحرسه من شعاب مكة ورباعها ، فإذا توافوا عنده رجع منحدراً إلى مكة[١] .

كما يسمى مسجد البيعة لأن الجن بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموضع ، ولأن موضعه هو الذي خطه الرسول صلى الله عليه وسلم لعروة بن مسعود ليلة اجتماع الجن به ومبايعتهم للرسول عليه الصلاة والسلام[٢] .

وعلى محاذاة مسجد الجن مسجد الشجرة يقابله من جهة اليسار[٣]، سمي بذلك لشجرة دعاها النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد الجن فأقبلت إليه فسألها عن شيء ثم أمرها بالرجوع فعادت إلى موضعها[٤].

بالإضافة إلى مساجد الراية والتي سميت بذلك نسبةً للرايات التي نصبها الجيش الإسلامي يوم فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة[٥].

فالمسجد الأول عند الردم الأعلى ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند بئر جبير بن مطعم بن عدي المعروفة ب"البئر العليا " في الموضع الذي نصب فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايته يوم فتح مكة وصلى به[٦] ، بني في العصر العباسي بناه عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[٧] ،ثم جدد عمارته الخليفة العباسي المستعصم بالله[٨] .

وبالقرب منه مسجد سوق الغنم بأعلى مكة عند سوق الغنم بقرن مسقلة في نهاية شعب عامر ، ويزعمون أن في موضعه بايع النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم فتح مكة[٩] .

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٤، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٩٢، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٣٨.

[٢] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨١٥، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٠، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٣٩.

[٣] - الصباغ : المرجع السابق ، ج١، ص٥١٨، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٤٠.

[٤] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٥، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤،ص٢٧، الصباغ :المرجع السابق ، ج١، ص٥١٨، الحنفي : المرجع السابق ، ج٢، ص٤٠.

[٥] - الحارثي : الآثار الإسلامية ، ص١٩٢.

[٦] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٤، الفاكهي : أخبار مكة ،ج٤، ص١٩، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٤١.

[٧] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢،ص٨١٤، الفاكهي: المصدر السابق ، ج٤، ص١٩.

[٨] - الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥١٦.

[٩] - البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢٧٢.

والمسجد الثاني من مساجد الراية هو المسجد المبني في موضع الراية التي نصبها خالد بن الوليد حين أمره النبي عليه الصلاة والسلام أن يدخل مكة من أسفلها يوم فتح مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت ، ويقع غرب المسجد الحرام في الحارة التي سميت ب" حارة الباب" على يمين الصاعد إلى التنعيم[1] .

والمسجد الثالث من مساجد الراية كان في الناحية اليمنى من المعلاة ، في موضع الراية التي غزاها قيس بن سعد بن عبادة أو الزبير بن العوام يوم فتح مكة[2] .

لقد أدت الزيادة الكبيرة في أعداد السكان وانتشارهم واستيطانهم في ضواحي مكة بدلاً من التكدس في الحارات القريبة من المسجد الحرام إلى إقامة مساجد آخرى، فكثر بناء المساجد بها في كل محلة ومنطقة كثرة لم يسبق لها مثيل وذلك لزيادة العمران والسكان[3] .

ففي الشمال الشرقي من المسجد الحرام يقع المسجد الذي بناه بغا الكبير سنة ٢٣١هـ في عهد الخليفة العباسي الواثق بالله[4]، في الشمال الشرقي من المسجد الحرام بشعب أبي دب "دحلة الجن".

وفي مدخل شعب آل قنفذ[5]الذي كان يسمى ب"شعب اللئام "بالأبطح "المعابدة " شمال شرق مكة ، على يسار الذاهب إلى منى قرب ثنية أذاخر مقابل جبل ثقبة مسجد آل قنفذ "مسجد الإجابة" ، ويقال إن النبي عليه الصلاة والسلام صلى في موضعه[6]، أما تاريخ بناء هذا المسجد فلا يعرف بشكل دقيق متى بني سوى أنه كان موجوداً في زمن الأزرقي في القرن الثالث الهجري .

---

[1] - الصباغ : تحصيل المرام، ج١، ص٥٢٢، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٤٥، الكردي: التاريخ القويم ، ج٥، ص٨١.

[2] - الكردي : التاريخ القويم ، ج٥، ص٧٩، الحارثي: الآثار الإسلامية ، ص١٩٥.

[3] - الكردي: المرجع السابق، ج٥، ص٧٦.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩١٦، كمال : سليمان صالح ، إمارة الحج في العصر العباسي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٤٥.

[5]- شعب آل قنفذ سمي بذلك نسبة إلى قنفذ بن زهير من بني أسد بن خزيمة ، سمي بعدة أسماء شعب آل قنفذ، وشعب اللئام ، والشعبة ، وشعبة النور ، وشعبة الحرث، وشعب الصفي. الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٤١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٨٠، البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج٥، ص٦٣.

[6] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٤١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٨١، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٠، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٣٧.

وفي الشمال الشرقي أيضاً على قمة جبل حراء مسجد ، يصلي به الذين يصعدون إلى الغار الذي كان يعتكف ويتعبد به النبي صلى الله عليه وسلم ، وبه نزل الوحي ، وأنزلت فيه أول سورة في القرآن[١] .

بالإضافة إلى مسجد الجعرانة الذي يقع في الشمال الشرقي من مكة، وقد ورد في المصادر التاريخية وجود مسجدين بالجعرانة ، أحدهما وراء الوادي بالعدوة القصوى وهو مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والمكان الذي اعتمر منه عليه الصلاة والسلام ، وقسم به الغنائم التي اغتنموها من هوازن في غزوة حنين[٢]، والآخر في العدوة الدنيا من الوادي بناه عبد الله بن خالد الخزاعي[٣] ، وكلا المسجدين بنيا قبل القرن الثالث الهجري[٤] .

وفي الجهة الجنوبية من المسجد الحرام عدد آخر من المساجد ، منها مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بزقاق الحجر بالقرب من بركة الماجن ، يقال أنه من داره التي هاجر منها إلى المدينة المنورة ، لذلك سمي ب"دار الهجرة"[٥] .

وبالقرب من بركة ماجن مسجد مولد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم الرسول عليه الصلاة والسلام ، بجوار العين المعروفة ببازان[٦] .

وفي الناحية الجنوبية الشرقية من المسجد الحرام على قمة جبل أبي قبيس المشرف على الصفا مسجد إبراهيم نسبة إلى رجلٍ كان يسكنه في الجاهلية يدعى إبراهيم القبيسي ، ولا علاقة لإبراهيم عليه السلام بهذا المسجد[٧] ، وقد كان هذا المسجد قائماً في القرن الثالث الهجري .

---

[١] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٣٦.
[٢] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٥، ص٦٢- ٦٩.
[٣] - الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٨٢٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٥، ص٦٦.
[٤] - الحارثي : الآثار الإسلامية في مكة ، ص٢٣١.
[٥] - ابن ظهيرة :الجامع اللطيف ،ص٣٢٩، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٢، الحنفي: إفادة الأنام ، ج٢، ص٤٤، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢٦٨،
[٦] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٣٥٩، ابن ظهيرة : المرجع السابق ، ص٣٢٨، الحنفي : المرجع السابق، ج٢، ص٧٣، ٧٤.
[٧] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٦، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٧،الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٤.

ومنها أيضاً مسجد بأجياد الصغير يقال له المتكأ ، وقيل في سبب تسميته بهذا الاسم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرتاح فيه بعد القيلولة ويصلي في موضعه ، وقد نفى بعض المؤرخين صحة نسبته للرسول عليه الصلاة والسلام[1] .

ومسجد في جبل ثور جنوب المسجد الحرام[2]، يُسلك إليه من المسفلة ثم ثنية كدي ، وفي هذا الجبل غار ثور الذي آوى إليه الرسول عليه الصلاة والسلام عند بدء الهجرة إلى المدينة [3].

بالإضافة إلى مسجد ذي طوى الذي بني في العصر العباسي جنوب غرب المسجد الحرام ، بين ثنية المدنيين المشرفة على مقبرة مكة وبين الثنية التي تهبط على الحصحاص ، بنته السيدة زبيدة رحمها الله بأزج ، وقيل أن النبي عليه الصلاة والسلام نزل بموضعه حين اعتمر وحج[4].

وفي وادي طوى عند مفترق الطريقين طريق التنعيم وطريق جدة مسجد يقال له مسجد النبي صلى الله عليه وسلم [5].

وفي الشمال الغربي من مكة بعد بلدح "الشهداء وأم الجود" في الطريق المؤدي إلى المدينة مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها بالتنعيم[6] ، أقيم في الموضع الذي أحرمت منه السيدة عائشة بعد النزول من حجة الوداع[7]، واختلف المؤرخون في تعين المسجد الذي اعتمرت منه السيدة عائشة رضي الله عنها ، حيث كان يوجد بالتنعيم مسجدين الأول على طريق وادي مر الظهران بالقرب بئر ماء ، والآخر قريباً من أعلام الحرم عرف بمسجد الهليلجة لشجرة كانت هناك قديماً[8].

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة، ج٢، ص٨١٦، الفاكهي : أخبار مكة، ج٤، ص٩، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٣.

[2] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٣٥.

[3] - البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢٧.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٩، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٣٦، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٢، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٤٥.

[5] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢٧.

[6] - التنعيم : سمي بذلك لوقوعه بين جبلين أحدهما عن يمينه يقال له ناعم والآخر عن يساره يعرف ب"منعم "والوادي يسمى نعمان ، وهو أقرب الحل إلى المسجد الحرام ، فهو يقع على قرابة ستة أكيال شمالاً من المسجد الحرام على طريق المدينة .
أنظر : الفاكهي : المصدر السابق ، ج٥،ص٥٨، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٥١.

[7] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٢٦،الفاكهي : المصدر السابق ، ج٥، ص٥٦، ٥٧، الحنفي : إفادة الأنام ،ج٢،ص٤٦.

[8] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٥، ص٦١، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٣٥٤، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٣٣٦، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٤٥.

وقد بنى مسجد الهليلجة محمد بن علي الشافعي ثم انهدم ، فقد ذكر الأزرقي أنه كان خراباً في زمنه أي في القرن الثالث الهجري[1] ، ثم جدد عمارته أبو العباس عبد الله بن محمد بن داود في عهد الخليفة المتوكل على الله ، ثم عمرته أم الخليفة المقتدر بالله العباسي سنة ٣٠٢هـ[2] .

وفي مقابل دار أبي سفيان بن حرب في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الحرام بالقرب من زقاق الجزارين مسجد صغير عند البرّامين[3] .

هذا فيما يتصل بالمساجد التي تقع في داخل مكة المكرمة وعلى أطرافها ، وبالنسبة للمشاعر المقدسة فقد كانت تضم مجموعة من المساجد لها مكانتها الكبيرة عند المسلمين ، حيث يتواجد فيها ضيوف الرحمان من شتى بقاع الأرض يؤدون فريضة الحج وينهلون من العلوم الدينية الكم الوفير عن طريق الندوات والدروس الدينية التي تعقد في تلك المساجد ، ومن هذه المساجد :

مسجد السرر في منى مما يلي وادي السرر "المعيصم "، بني في العصر العباسي أنشأه عبد الصمد بن علي[4] .

وفي السفح الجنوبي لجبل ثبير على يسار الداخل إلى منى وراء جمرة العقبة الكبرى مسجد البيعة في الشعب الذي عرف بشعب الأنصار ، وشعب البيعة ، وشعب بيعة العقبة[5] ، ويعود تاريخ تشييد هذا المسجد إلى سنة ١٤٤هـ عندما بناه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في الموضع الذي تمت به بيعة العقبة التي بايع الرسول عليه الصلاة والسلام فيها الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ،

---

[1] - الأزرقي: أخبار مكة ، ج٢، ص٨٢٧.

[2] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٢٧، الفاسي : شفاء الغرام، ج١، ص٣٥٤، باشا: مرآة الحرمين ، ج١، ص٣٤٣.

[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٣٢.

[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨١٥، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٣٠.

[5] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٦٧، الصباغ : تحصيل المرام ، ج١، ص٥٢٥، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٤٨، ناصر البركاتي ومحمد مناع : دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ، دار المدني ، جدة ، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٢٧، أبكر : صور من تراث مكة المكرمة ، مؤسسة علوم القرآن ، منار للنشر والتوزيع ، جدة ، ط٢، ٢٠٠٩م،ج١، ص٧٦، الحارثي : الآثار الإسلامية ، ص٢١٦.

فأنشئ هذا المسجد تخليداً لذكرى هذه البيعة العظيمة ثم جدد في عهد العباسي المستنصر بالله سنة ٦٢٩هـ[١].

وبالقرب منه بأسفل جبل ثبير أيضاً على يسار الذاهب إلى عرفة مسجد الكبش الذي نُحر في موضعه الكبش الذي فدى الله تعالى به نبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقيل إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام حين أراد الخليل ذبحه[٢]، واختلف في موضع الذبح حيث روى الفاكهي حديثاً يسند إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة ذبح إبراهيم بن إسماعيل عليه السلام بأن الكبش ذُبح بين الجمرتين الأولى والوسطى ، أي في وادي منى وليس على سفح جبل ثبير[٣] .

وعلى يمين المتجه إلى عرفة في المنحدر الشمالي من سفح جبل الصايح بمنى يقع مسجد الخيف[٤]، ولم تذكر المصادر التاريخية تاريخ إنشاء هذا المسجد ، إلا أن البعض رجح وجوده في العصر النبوي[٥] ، مستندين في ذلك إلى أحاديث نبوية صحيحة وأحداث تعود لتلك الفترة ورد فيها ذكر مسجد الخيف[٦] ، وقد حظي هذا المسجد باهتمام كثير من الخلفاء والولاة ، فأعاد الخليفة العباسي المتوكل على الله بنائه بعد ما أفسد السيل مبنى المسجد سنة ٢٤٠هـ، وهدم سقفه وعامة جدرانه ، فأمر الخليفة المتوكل على الله بإعادة بنائه ، وبنى له سداً عبارة عن ضفيرة لحجر السيول عنه[٧] ، كما عمره الخليفة المعتمد بن المتوكل سنة ٢٥٦هـ[١] .

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٢١، ٨٢٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٢٦،الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٦٧، الصباغ : المرجع السابق ، ج١، ص٥٢٥، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٤٨.

[٢] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٧٧٠، الفاسي : شفاء الغرام، ج١، ص٣٤٨، الصباغ : المرجع السابق، ج١، ص٥٢٧، الحنفي : المرجع السابق، ج٢، ص٥٠.

[٣] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٥، ص١٢٥، ١٢٦، الفاسي : شفاء الغرام، ج١، ص٣٤٩، الصباغ : المرجع السابق، ج١، ص٥٢٨، الحنفي :المرجع السابق ، ج٢، ص٥٠، ٥١، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢٧٥، الحارثي: الآثار الإسلامية في مكة ، ص٢٢٤.

[٤] - البركاتي وآخرون : دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ، ص٥٤، البلادي : معالم مكة التأريخية ، ص٢٧١، أبكر: صور من تراث مكة ، ص٧٧.
مسجد الخيف : يعرف بمسجد العيشومة لشجرة كانت نابتة في موضعه ، سمي بمسجد الخيف لأنه في خيف الجبل ، وسمي بذلك لانحداره عن غلظ الجبل وارتفاعه عن السيل .
أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٩، ص١٠٣.

[٥] - الحارثي : عدنان محمد فايز ، عمارة السلطان قايتباي المملوكي لمسجد الخيف بمنى (٨٧٣- ٨٧٤هـ)، مجلة العصور ، المجلد الثالث عشر ، ٢٠٠٣م، ج١، ص٨٦، الحارثي : الآثار الإسلامية في مكة ، ص٢١٢.

[٦] - الحارثي : عمارة السلطان قايتباي ، ص٨٦.

[٧] - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٠٥، الحنفي : إفادة الأنام ، ج٢، ص٥٦، البركاتي وآخرون : دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ، ص٥٥.

بالإضافة إلى مسجد نمرة الذي يقع شمال عرفات ، وقد عرف بمسجد عرفة ، ومسجد عرنة ، ومسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، بني في منتصف القرن الثاني الهجري على الأرجح ، وذلك في أول عهد الخلافة العباسية[٢] ، في الموضع الذي خطب فيه الرسول عليه الصلاة والسلام خطبة الوداع ، وصلى في موضعه يوم عرفة الظهر والعصر[٣]، ويقع جزء من هذا المسجد في وادي عرنه خارجة عن أرض الموقف ، نهى النبي عليه الصلاة والسلام من الوقوف فيه[٤] ، فعن جابر بن عبد الله، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل عرفة موقف ، وارتفعوا عن بطن عرنة "[٥].

وفي منتصف المسافة الواقعة بين مسجد نمرة في عرفات ومسجد الخيف في منى يقع مسجد مزدلفة بأسفل قزح وهو مسجد " المشعر الحرام "[٦]، الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى : " فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام "[٧]، وكان هذا المسجد بسيطاً في بنائه مربع الشكل لا يوجد في داخله مظلات ، وفيه ستة أبواب : باب في القبلة ، وبابان في الجدر الأيمن ، وبابان في الجدر الأيسر ، وباب في المسجد سعته ستة وأربعون ذراعاً[٨] ، ولم تذكر المصادر التاريخية تاريخ إنشاء هذا المسجد سوى أنه كان موجوداً في القرن الثالث الهجري فقد ذكروا صفته وذرعه في العصر العباسي[٩] .

---

[١] - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٣٤، البركاتي وآخرون : دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ، ص٥٩.
[٢] - باشا : مرآة الحرمين ، ج١، ص٣٣٦.
[٣] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٠٥، باشا : المرجع السابق ، ج١، ص٨٥، ٨٦، أبكر : صور من تراث مكة المكرمة ، ج١، ص٧٨، الحارثي: الآثار الإسلامية في مكة ، ص٢٠٢.
[٤] - أبكر : المرجع السابق ، ج١، ص٧٨، الحارثي: المرجع السابق ، ص٢٠٢.
[٥] - ابن ماجه : سنن ابن ماجه ، ج٢، ص١٠٠٢، حديث رقم ٣٠١٢.
[٦]- الحارثي : الآثار الإسلامية ، ص٢١٠.
[٧] - سورة البقرة : آية ١٩٨.
[٨] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٩١، باشا : مراءة الحرمين، ج١، ص٣٣٢.
[٩] - الأزرقي :المصدر السابق ، ج٢، ص٧٩٠، ٧٩١، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٤١٤.

المنارات :

نشأت الحاجة إلى بناء المنارات "المآذن" على جبال مكة وفجاجها نتيجةً لاتساع رقعتها العمرانية ، فكان الغرض منها إيصال الآذان إلى من كان منزله بعيداً عن المسجد الحرام ودعوتهم للصلاة ، ففي عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد أمر عبد الله بن مالك الخزاعي ببناء منارات تشرف على فجاج مكة وشعابها يؤذن فيها للصلاة ، فبنى أربع منارات على جبل أبي قبيس ، ومنارة على جبل أبي مرازم المشرف على شعب ابن عامر ، ومنارتين على جبل تفاحه ، ومنارة آخرى على جبل خليفة وجبل الأحمر ، ومنارة على جبل كداء[١] ، كما بنى بغا الكبير أبو موسى عندما تولى أعمال الموسم سنة ٢٣١هـ عدة منارات على جبل الفلق شمال المسجد الحرام ، ومنارتان على جبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه غرب المسجد الحرام ، ومنارة أخرى على ثنية أم الحارث المشرفة على الحصحاص ، وفي أجياد وبئر ميمون منارة وعلى جبل المقبرة أيضاً ، ومنارة على جبل معدان مشرفة على حائط خرمان ، كما امتدت خدماته إلى المشاعر المقدسة حيث بنى مئذنة بمنى عند مسجد الكبش[٢] .

---

[١] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٨٧، ٨٨، السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص١٥٧.

[٢] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ٨٧، ٨٨، السباعي : المرجع السابق ، ج١، ٢، ص١٥٧، كمال : إمارة الحج في العصر العباسي ، ص٢٤٦.

المبحث الثاني

المنشآت المدنية والعسكرية

أولاً : المنشآت المدنية :

يعد توفير المسكن الملائم والمناسب من أهم الأوليات التي تضمن للإنسان الاستقرار ، فكما هو معروف إن أول عمل قام به الإنسان هو توفير مسكن يقيه ويحميه من الظروف البيئية المتقلبة ، ويوفر احتياجاته الأساسية ، فكانت حرفة البناء هي أول حرفة قام بها الإنسان ، وتعكس المساكن بشكلٍ عام وفي أي منطقة جغرافية ، الموارد البيئية المحيطة بها[1] ، حيث يستفيد الإنسان استفادة كاملة من المحيط المتواجد فيه للحصول على مواد البناء المتوفرة في بيئته ،قال تعالى :
" واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين "[2].

وتختلف مواد البناء من مكان إلى آخر حسب الخصائص المناخية والطبيعة الجيلوجية[3] ، فالمنازل الإسلامية تميزت بأنها في تكوينها و هندستها شديدة الانسجام مع ظروف المناخ[4] .

وقد نشطت حركة بناء المساكن في مكة المكرمة في عهد قصي بن كلاب الجد الرابع للرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي شيد أول دار بها و هي دار الندوة في الشمال الغربي من الكعبة المشرفة ، ثم بنيت بعدها مساكن قومه حول الساحة المحيطة بالكعبة المشرفة[5] .

واتخذت الشكل الدائري في بنائها تعظيماً للكعبة المشرفة من تقليد بنائها المربع ، وكان ارتفاع المساكن بارتفاع الكعبة المشرفة أي ما يعادل دوراً واحداً ، فلم يسُمح لأحد برفع بنائه عن ارتفاع الكعبة، حتى أن شيبة بن عثمان كان يشرف على البيوت المحيطة بالكعبة فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه[6] ، وذلك تعظيماً للكعبة لتبقى مشرفة على كل المنطقة[7] .

---

[1] - النويصر : خصائص التراث العمراني ، ص١٤٨.
[2] - سورة الأعراف : آية ٧٤.
[3] - النويصر : خصائص التراث العمراني ، ص١٤٨.
[4] - اليزيدي : عمران المدينة المنورة ، ص١٨٧.
[5] - ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١، ص١٢٥، الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص١٧٦، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص٢٥٦.
[6] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٣٩٢.
[7] - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص٥١، السرياني : مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري ، ص١١، قاضي : الاتجاهات المعمارية الحديثة ،ص٩٢.

وظل هذا الطراز المعماري شائعاً في مكة إلى أن قام حميد بن زهير وبنى داراً مربعة الشكل ، فلما رأت قريش أنه لم يصبه مكروه انتحوا منحاة وقلدوه[1].

وهكذا بدأ العمران بمكة ينمو بعد انتشار الإسلام وبعثة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتزايد أعداد الحجاج والزائرين والمقيمين بمكة ، فترك بعضهم موطنه الأصلي واستقر في مكة بصفة دائمة ليكون بجوار بيت الله الحرام ، فزادت كثافة البيوت والمنازل حول المسجد الحرام ، الأمر الذي أدى إلى استغلال كافة المساحات المتوفرة لتأمين أماكن للسكنى[2] ، فاتخذت الدور تصميم متعدد الطوابق يطلق عليه " علالي "جمع عِلِّية وهي الغرف العلوية[3] ، وكانت تستخدم المراقي أو الدرج في الصعود للغرف العلوية[4] .

وقد أشارت المصادر التاريخية بظهور هذا النمط في العمارة المكية ، فيذكر الفاكهي عند حديثه عن دار ابن عمارة بن أبي مسرة شمال المسجد الحرام عند المروة بأنه (...بناها بالحجر المنقوش والآجر وجعل لها علالي وأوساطاً)[5]، كما يشير إلى ذلك ابن عبد ربه حيث يذكر أن الأوقص المخزومي قاضي مكة كان ينام في علية له ويراقب المارة[6] ، كذلك فإن الرحالة المقدسي في وصفه لبيوت مكة في القرن الثالث الهجري تقريباً يذكر بأنها كانت متعددة الأدوار مبنية بالحجارة السود والبيض يعلوها الآجر[7] .

وبعد أن هدمت كثير من الدور والمباني لتوسعة المسجد الحرام ، وامتلأت بطون الأودية بالمساكن المتعددة الأدوار كان لابد من الزحف والتوسع على السفوح الجبلية القريبة من المسجد الحرام[8] ، فنشطت حركة البناء والعمران، وعمل

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٣٩١، ابن بكار : جمهرة نسب قريش ، ص٤٤٤، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١٩٢، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص٥١، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٨٤.

[2] - بن صالح : الحرمان الشريفان ، ص٥٣.

[3] - الجاحظ: (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي ت٢٥٥هـ)، البيان والتبين ، دار ومكتبة الهلال ، ١٤٢٣هـ، ج١، ص٤٠، ابن دريد : (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت٣٢١هـ)، الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٥٥، ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص٢٩٥.

[4] - ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ، ج٥، ص١٠٤، بابطين: الحياة الاجتماعية ، ص٢٧٨.

[5] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٩٩.

[6] - ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٧، ص١٥، بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٢٧٨.

[7] - المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٧١.

[8] - نجيم : رقية حسين ، البيئة الطبيعية لمكة المكرمة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٠م، ص٤٥٩.

المسلمين على تشييد المباني والقصور وبرعوا في بنائها ، وكانت مواد بناء هذه الدور بسيطة اعتمدت المعطيات المتوفرة في البيئة المحلية ، فبنيت بالحجارة والطين التي تستخرج من الجبال المحيطة بمكة يقوم بقطع صخورها رجال مختصون ، وفي ذلك يقول الكردي : " ولأهل مكة مهارة عجيبة في نحت الحجارات الصماء ، وتكييفها بالشكل الذي يريدونه ، فمنها الملساء ، ومنها الخشن ، ومنها المستدير ، ومنها المربع ، ومنها الاسطواني ، ومنها المخروطي ، ومنها الطويل ، ومنها القصير ، ومنها الغليظ ، ومنها الرفيع ، ومنها المنقوش المزخرف ، ومنها السادة التي لا نقش فيها "[1].

كما استخدم اللبن في بنائها[2]، وبنيت سقوفها من أخشاب شجر الدوم وجريد النخل[3] ، أما أبوابها فكانت من الخشب[4]، وكانت تفرش أرضيتها بالفرش والبسط[5] والحصير[6]، والتي كانت تصنع في الغالب من الصوف أو الشعر والأدم[7] .

وقد تباينت هذه المساكن في طرزها المعمارية تبايناً بسيطاً في الشكل والحجم ، ويكون اختلافها باختلاف مكانة صاحبها ومنزلته من حيث الغنى والفقر[8] .

فكانت بيوت الأغنياء والسادة تتكون من حجرات متعددة ، وبابان متقابلان باب للدخول وباب للخروج ، وهذا يدل على سعة دورهم حيث كانت تطل على واجهتين[9]، فكانت دار هند بن سهيل أول دار عمل لها بابين[10] ، كما كان لدار يعلى بن منبه بابين ويقال لها " ذات الوجهين"[11]، كما كان لدار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بابين ، باب بين الصفا والمروة والباب الآخر المقابل له يُطل على فج بين

---

[1] - الكردي : التاريخ القويم ، ج٢، ص٣٥.

[2] - الأصبهاني : حلية الأولياء ، ج٣، ص٢٤٥.

[3] - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص٥٠، ٥٣، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٨٤.

[4] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٦٨.

[5] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج٥، ص٢٦٢، البلاذري : أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٣٤، ج٨، ص١٦٨.

[6] - الحصير : سقيفة تصنع من بردي وأسل ثم تفرش ، سمي بذلك لأنه يلي وجه الأرض . أنظر : ابن منظور : لسان العرب ،ج٤، ص١٩٦.

[7] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٦٨.

[8] - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٥، ص٥.

[9] - ابن حبيب: المحبر ، ص١٤٠، جواد علي : المرجع السابق ، ج٤، ص٥٢.

[10] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٧.

[11] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٨١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣،ص٢٩٦.

الدارين[1]، واتخذ يحي بن خالد البرمكي لداره التي اشتراها من آل حجير بن اهاب بقعيقعان بابين[2]، وكان لدار زبيدة غرب المسجد الحرام بابان[3] .

وكان لبعض مداخل هذه البيوت مظلات بنيت من الحجر تبرز عن أصل البناء يستظل بها عن حرارة الشمس والأمطار عند الجلوس تحتها كدار السيدة خديجة رضي الله عنها[4] .

كما اتخذوا أرففاً من صفائح الحجر في غرفهم لوضع أمتعتهم وأصنامهم الصغيرة ، وقل أن يخلو بيت من تلك الرفوف[5] .

واستفادوا من خبرة المهندسين والبنائين والصناع القادمين إلى مكة من مختلف مناطق العالم الإسلامي لبنائها وزخرفتها[6] ، فنسبت إليهم أماكن متعددة بمكة لبنائهم دوراً لهم فيها[7] ، من ذلك جبل زيقيا الذي سمي نسبة إلى زيقيا مولى آل ربيعة المخزومي ، وجبل الأعرج " مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه"[8] ، وجبل الديلمي " والديلمي" مولى معاوية بن أبي سفيان بنى داراً لمعاوية على ذلك الجبل فسمي به[9]، وجبل تفاحة " مولاة معاوية بن أبي سفيان"[10]، وجبل زُررُر "زُررُر" مولى آل جبير بن مطعم رضي الله عنه " حائك بمكة أول من بنى فيه فسمي باسمه "[11]، وسمي شعب الخوز نسبة إلى نافع الخوزي مولى نافع بن عبد الحارث الخزاعي نزله وكان أول من بنى فيه[12] .

---

[1] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٣٢.
[2] - الأزرقي : المصدر السابق ،ج٢، ص٨٨٥، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٤.
[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٠٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٦٩.
[4] - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص٥٢، سلامة : قريش قبل الإسلام ، ص٨٥.
[5] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٨، سلامة : المرجع السابق ، ص٨٥.
[6] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٦٦.
[7] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٢٧٧.
[8] - وكلا الجبلين في شعب ابن عامر شمال المسجد الحرام .
الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩١٥، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٣٨.
[9] - أصبح يعرف بجبل القرارة وهو الجبل المشرف على المروة .
الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٣٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٧٥.
[10] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٣٩، الفاكهي: المصدر السابق، ج٤، ص١٧٦.
[11] - الأزرقي :المصدر السابق ،ج٢،ص٩٥٧،الفاكهي:المصدر السابق ، ج٤، ص٢١٠، ٢١١.
[12] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٢١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٥٣.

واستخدم الجص والآجر في تزيين المباني بمكة[١] ، ولم يكن هذا النوع من الفنون معروفاً حتى بداية العصر الأموي ، حين أدخل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه صناعة الآجر[٢]، فكان له عدداً من الأعمال المعمارية يستدل منها على حركة التطور العمراني الذي شهدته مكة في عهده، يتبين ذلك من خلال حديثه مع السيدة عائشة رضي الله عنها – حين قالت له :" انت الذي عمدت إلى مكة فبنيتها مدائن وقصوراً وقد أباحها الله عز وجل للمسلمين وليس أحد أحق بها من أحد قال يا أم المؤمنين ، إن مكة كداء ولا يجدون ما يكنهم من الشمس والمطر وأنا أشهدك أنها صدقة عليهم "[٣].

حيث أنشأ رضي الله عنه عدداً من الدور الفخمة بمكة ، وجلب لها أمهر البنائين والنقاشين المزخرفين من فرس العراق[٤] ومن الأنباط الذين يعملون الآجر لدوره بإضاة عرنة التي سميت "إضاءة النبط " نسبةً إليهم[٥] ،

وبدأ تصاميم البيوت في التطور وعرفت الدور والمنازل أشكالاً وتصاميم أكثر تنوعاً ، فقام المزوقين الذين اختصوا بتزويق وتزيين المباني[٦] بالعديد من النقوش الحجرية على واجهات الأبنية واستخدموا الجص البارز المنقوش على نطاق واسع في زخرفة القصور ، فكان سعيد بن مسعود الهذلي ينقش الحجارة التي يقطعها من جبل أبي قبيس ثم ينقلها إلى الأبطح[٧] .

وبنيت دار الرقطاء شمال المسجد الحرام ناحية المروة بالآجر الأحمر والجص الأبيض[٨]، ودار البيضاء التي بنيت بالجص الأبيض ثم طليت به فكانت كلها بيضاء[٩]، كما بنيت دار سعد غلام معاوية بالحجارة المنقوشة فيها التماثيل مصورة في الحجارة[١٠] ، وتوسعت حركة البناء والتعمير في عهد ابن الزبير رضي الله عنه، فيروي الأزرقي أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال لابن صفوان صاحب ابن

[١] - مالك : المدونة ، ج٣، ص٤٢٤ .
[٢] - الحارثي : الآثار الإسلامية في مكة المكرمة ، ٤٢٧ .
[٣] - الفاكهي : أخبار مكة ،ج٣، ص٢٩٠ .
[٤] - النويري : نهاية الأرب ، ج٤، ص٢٤٠ .
[٥] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٥٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٢٠١ .
[٦] - ابن منظور : لسان العرب ، ج١٠، ص١٥٠ .
[٧] - الأصفهاني : الأغاني ، ج٥، ص٤٢ .
[٨] - الأزرقي : أخبار مكة ،ج٢،ص٨٦٤، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٧ .
[٩] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٦٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٧ .
[١٠] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٥، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٩٠ .

الزبير : قضى عمر رضي الله عنه أن أسفل الوادي وأعلاه مناخ للحاج ، وأن أجياداً وقعيقعان للمريحين والذاهب ، واتخذتها أنت وصاحبك دوراً وقصوراً[١]،

فأنشأ رضي الله عنه العديد من الدور السكنية فكانت له ثلاث دور بقعيقعان اشتراها من آل عفيف السهميين ، كما بنى دار العجلة شمال المسجد وعجل وبادر في بنائها فكانت تبنى بالليل والنهار حتى فرغ منها سريعاً ، وقيل إنه كان يأمر بنقل حجارتها على عجلة الإبل أو البقر لذلك سميت بدار العجلة[٢] . وأحضر بنائين من الفرس والروم ومن الحبشة[٣]، كما استقدم عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس أبو بحر المجوسي " النجار " من العراق لعمل أبواب داره التي عند المروة وسقوفها سنة١٦٠هـ[٤].

وازداد استعمال الحجر في البناء وإدخال الزخارف الحجرية عليه ، فبنيت دار جعفر بن يحي البرمكي بأجياد الكبير بالحجر المنقوش والساج[٥] ، وبنى إبن عمارة بن أبي مسرة دار عند المروة بالحجر المنقوش والآجر[٦] ، بالإضافة إلى دار عيسى بن محمد المخزومي غرب المسجد الحرام بفوهة خط الحزامية بناها بالحجر المنقوش والآجر والجص[٧]، وبنيت البيوت التي أقيمت في موضع رحبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرق المسجد الحرام باللبن النئ وكسار الآجر[٨]، وبنيت أيضاً دار العباس بن محمد المشرفة على الصيارفة بالحجارة البيض المنقوشة[٩] ، كما بنى حماد البربري دار القوارير بين الصفا والمروة شرق المسجد الحرام في طريق المسعى بالرخام والفسيفساء من خارجها وبنى باطنها بالقوارير الأصفر والأخضر[١٠] .

وتوجد في بعض المنازل آبار لتوفير المياه لأهل الدار ، مثل دار محمد بن يوسف المسماه ب" البيضاء" في شعب أبي طالب شرق المسجد الحرام[١١] ، ودار عبد الله

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٥٣، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٤٥.
[٢] - الأزرقي : المصدر السابق ،ج٢، ص٨٨٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٠٩.
[٣] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص١٨٧.
[٤] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٦٤١، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٠.
[٥] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٧٢، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣،ص٢٧٩.
[٦] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٩٩.
[٧] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٣١.
[٨] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٣٢.
[٩] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٦٧، الفاكهي : المصدر السابق، ج٤، ص٢٢٦.
[١٠] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٠٠.
[١١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٤٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١١٢.

بن عامر[١] ، ودار البخاتي لمعاوية بن أبي سفيان بخط الحزامية [٢]، وحفر عبد الله بن الزبير بئراً في داره " الدار العظمى" بقعيقعان[٣] ، كما حفر آل هشام بن المغيرة المخزومي بئراً في دارهم المسماة دار الشركاء بأجياد[٤] ، وكان لبني أسد بن عبد العزى بئر في دار أم جعفر – زبيدة – غرب المسجد الحرام[٥] .

وتعتبر الرواشين الخشبية الضخمة على واجهات المباني من أكثر ما يميز العمارة المكية ، والروشان كلمة فارسية أدخلتها العرب على لغتها ومعناها بالفارسية : الضوء وهو شباك بارز كالشرفة[٦] ، وقد جاء في كتاب الأوائل للعسكري أن بديل بن ورقاء الخزاعي أول من اتخذ روشناً بمكة[٧] ، وتحقق هذه الرواشين الخصوصية لداخل المبنى إذ تتيح فرصة رؤية الخارج ويمنع رؤية الداخل ، كما أنها توفر التهوية والإضاءة اللازمة وتمنع وصول أشعة الشمس المتوهجة[٨].

وتغطى هذه الشبابيك في بعض الأحيان بشبك من حديد ، فيذكر العسكري أن الخليفة المهتدي العباسي اتخذ بيتاً له شباك من حديد[٩] ، وتتكون في الغالب من خشب الساج ، كما يشير إلى ذلك المقدسي أثناء حديثه عن بيوت مكة حيث يقول " ...كثيرة الأجنحة من خشب الساج وهي طبقات مبيضة نظيفة ..."[١٠].

وكانت بعض المنازل تطل برواشينها الضخمة على المسجد الحرام كدار العجلة كان لها جناحٌ من ساج يطل على المسجد الحرام بناه محمد بن إبراهيم للخليفة العباسي المهدي سنة ١٦٠هـ[١١] ، وبقي حتى جاءت المبيضة[١٢] فقطعه حسين بن

---

[١] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٢٧٩.
[٢] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٦٦.
[٣] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٨٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣٠٨.
[٤] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٩٧، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٣، ص٣٢٣.
[٥] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٤١، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٠٢.
[٦] - أبكر : صور من تراث مكة المكرمة ، ج٢، ص٩٦٨.
[٧] - العسكري : (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران ت٣٩٥هـ)، الأوائل ، دار البشير ، طنطا ، ط١، ١٤٠٨هـ، ص٥٧.
[٨] - المرحم : فريدة محسن عبد الله ، الروشان والشباك وأثرهما على التصميم الداخلي في بيوت مكة التقليدية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، ١٩٩٦م، ص١٣٢-١٣٧.
[٩] - العسكري : الأوائل ، ص٢٠٦.
[١٠] - المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٧١.
[١١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٦٣٠، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ١٩٧.
[١٢] - المبيضة : فرقة من الثنوية ، وهم أصحاب المقنع ، سموا بذلك لتبيضهم ثيابهم مخالفة للمسودة العباسيين ، وكذلك كان يطلق على كل جماعة خارجة على الدولة العباسية .

حسن العلوي ووضع الجناح لاصقاً بالكواء التي كانت أبواب الجناح ،واستمرت على ذلك الحال إلى أن قام الخليفة المعتصم بالله سنة ٢٢١هـ بعمارة دار العجلة فأشرع الجناح وأضيف إليه قضبان حديدية للأمن والحماية وجعلت عليه أبواب مزررة[١] .

وكذلك كان الحال بالنسبة لدار جعفر بن يحي البرمكي بين باب البقالين وباب الخياطين بني لها جناحاً مطل على المسجد الحرام من الناحية الغربية [٢] .

ويوفر سطح الدار مساحة إضافية يُستفاد منها ، حيث كان أهل مكة يقضون به الليل وينامون فيه[٣] ، كما كانوا يقدمون به طعام الولائم لأنه مكشوف ويتسع لاستيعاب عدد كبير من الناس[٤] .

واستخدم أهل مكة المصابيح والسرج لإنارة الدور ، فكان عقبة بن الأزرق الغساني يضع على جدار داره مصباحاً كبيراً يضئ له وجه الكعبة والمقام وأعلى المسجد[٥]، وتختلف أشكال وأحجام المصابيح والسرج فمنها ما كان مصنوعاً من الزجاج أو الفخار أو الحجر أو النحاس[٦] .

وبازدهار الحياة الاقتصادية تفنن الناس في تشييد البيوت والقصور الفخمة ذات المستوى الرفيع التي تليق بمستواهم الاجتماعي والاقتصادي ، فها هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان يقف أمام دار عبد الله بن الحارث متعجباً من حُسن بنائه[٧]، كما كانت دار الخلد التي بناها حماد البربري بين الصفا والمروة أيضاً على ما وصفها الفاكهي " من أحسن دور مكة "[٨].

أنظر : ابن منظور : لسان العرب، ج٧، ص١٢٨، الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦٣٠،الفاكهي : المصدر السابق ،ج٢، ص١٩٨.

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ،ج١، ص٦٣٠، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص١٩٨.

[٢] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص٦١٢، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٧٥.

[٣] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج٧، ص٢٩٧، ابن بكار : جمهرة نسب قريش ، ص٢٣٣-٢٧٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٣٢٣،ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص٧٨.

[٤] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٢٧٩، النويصر : خصائص التراث العمراني، ص١٤٠- ١٤٢.

[٥] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٣٩٩.

[٦] - بابطين : الحياة الاجتماعية في مكة ، ص٢٨٣.

[٧] - السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٦٧.

[٨] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٩٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٣١٦.

وتمثل القصور التي بنيت في العصر العباسي نماذج رائعة للبناء والزخارف الجميلة والذوق الرفيع ، كما يشير إلى ذلك ناصر خسرو بقوله :" وقد بنى بها - أي بمكة – خلفاء بغداد عمارات كثيرة وأبنية جميلة "[1] .

وتنتشر هذه القصور في ضواحي مكة ، مثل قصر أبي جعفر المنصور وقصر صالح بن العباس بن محمد شمال شرق مكة بجبل العير[2] ، وقصر محمد بن داود بالقرب من جبل العيرة على يمين المتجه إلى منى[3]، وقصر محمد بن خالد البرمكي بجبل الرباب[4] ، وقصر الفضل بن الربيع في الثقبة[5] .

هذا وقد تعددت وظائف الدور فدار الندوة التي كانت مقراً لاجتماع رؤساء قريش[6] أصبحت مقراً لإقامة الخلفاء الأمويين والعباسيين إذا قدموا إلى مكة[7] ، لاشك أن كبر حجم هذه الدار دفعت الخلفاء وأهليهم ورجال حاشيتهم إلى اتخاذها مقراً لإقامتهم [8]، لذلك عرفت بدار الإمارة ، ومن الواضح أن هذه الدار فقدت وظيفتها في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد عندما استبدلها بدار أخرى عرفت بدار الإمارة أيضاً ، فأصبح جزءاً منها يكرى للغرباء والمجاورين وأتخذ الجزء الآخر مربضاً لدواب ولاة مكة ، واستمرت على ذلك إلى أن أدخلت في توسعة المسجد الحرام في عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله سنة ٢٨١هـ[9] .

كما خصصت دار المراجل التي أنشأها معاوية بن أبي سفيان لإعداد طعام الحجاج أيام المواسم[10] .

وخصصت رملة بنت عبد الله بن عبد الملك بن مروان جزء من دارها "الدهليز"[11] لإعداد أشربة السويق المحلاة والمحمضة وتقديمها للحجاج في موسم الحج[1] .

---

[1] - خسرو : سفر نامة ، ص١٢٣.

[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٢٢، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤،ص١٥٥، ١٥٦ .

[3] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٢٢.

[4] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٢٦،الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢٩ .

[5] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٩٣٠، الفاكهي: المصدر السابق، ج٤، ص١٦٨ .

[6] - ابن حبيب : المنمق في أخبار قريش ، ص٣٢، الأزرقي : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٧٦، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،ج٢، ص٢٥٩، العسكري : الأوائل ، ص٢٥.

[7] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٦٥٠، ٦٥١، البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص٩٥.

[8] - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٠٣، ٢٠٤، الحارثي : دار الندوة ، ص٢٧.

[9] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص ٦٥١- ٦٥٤، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٤٩، ٣٥١، البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص٩٥.

[10] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٦٤، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٨٧.

[11] - الدهليز : معرب بالفارسية وهو المكان الذي يوجد بين الباب والدار .

وتعتبر دار مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسوق الليل من أجلّ وأعظم الدور في مكة ففيها ولد عليه الصلاة والسلام ، وقد أخذ هذه الدار عقيل بن أبي طالب عندما هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ، ثم باعها أحد أولاده على محمد بن يوسف الثقفي بمائة ألف درهم وأدخلها في داره التي تسمى "البيضاء" لذلك سميت بدار ابن يوسف ، ومن الواضح أن هذه الدار أعيد توظيفها من جديد فجعلت مسجداً وذلك عندما حجت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون[٢].

وكذلك كان الحال بالنسبة لدار السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[٣] التي أعاد تصميمها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فهدمها وحدّ الحدود التي كانت لبيت خديجة رضي الله عنها وجعلها مسجداً وفتح باباً من دار أبي سفيان [٤]، وقد وصفها ابن جبير بقوله : "...وهو بيت صغير مائل للطول ، والمولد شبه صهريج صغير وفي وسطه حجر أسود ..وفي الدار المكرمة أيضاً مختبأ النبي صلى الله عليه وسلم شبيه القبة ، وفيه مقعد في الأرض عميق شبيه الحفرة داخل في الجدار قليلاً وقد خرج عليه من الجدار حجر مبسوط كأنه يظل المقعد المذكور ، قيل : إنه كان الحجر الذي كان غطى النبي صلى الله عليه وسلم عند اختبائه في الموضع المذكور"[٥].

وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي[٦] أول مدرسة في الإسلام ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعوا فيها إلى الإسلام ، ويجتمع سراً بإصحابه رضوان الله عليهم ليعلمهم مبادئ الإسلام ، فأسهمت في إسلام الرعيل الأول من المسلمين ، وقد بنيت هذه الدار قبل الإسلام على يسار الصاعد إلى جبل الصفا ، وهي ملك أبي

أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج٥، ص٣٤٩.

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٨٣.

[٢] - الأزرقي : أخبار مكة، ج٢، ص٨١١، ٨١٢، الفاكهي : أخبار مكة ،ج٤، ص٥.

[٣] - تقع هذه الدار بزقاق الحجر شرق المسجد الحرام ، وبها تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وولدت أولادها جميعاً وبها توفيت ، وفيها كان يتلقى الوحي عليه الصلاة والسلام .
أنظر : الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨١٢، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٧.

[٤] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨١٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٨.

[٥] - ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص١٠٩، ١١٠.

[٦] - الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي : هو عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، كني بأبي جندب ، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام ، أسلم قديماً وكان من المهاجرين الأولين ، وشهد رضي الله عنه غزوة بدر سنة ٢هـ ، توفي يوم وفاة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقيل : سنة خمس وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان .
أنظر : ابن حبان : الثقات ، ج٣، ص١٤، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج١، ص٧٤، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج١، ص١٩٦، ١٩٧.

الأرقم المخزومي تصدق بها على ولده فنسبت إليه ، ثم اشتراها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور من أبناء الأرقم ، ومنحها لولده المهدي فأهداها المهدي زوجته الخيزران فأعادت توظيف هذه الدار بجعلها مسجداً يصلى فيه[1] .

المنشآت المائية :

يمثل الماء شريان الحياة وعصبها وهو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها حياة الإنسان والحيوان ، سواء كان ذلك للشرب أم لإنتاج الأغذية والأنشطة الاقتصادية، قال تعالى: " وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي "[2]، ولذا يعتبر توفره في أي مدينة أحد أهم المرافق على الإطلاق.

وتعد بئر زمزم التي تفجرت تحت أقدام إسماعيل عليه السلام بجوار الكعبة المشرفة، المصدر المائي الوحيد الذي كان يجذب إليه القبائل للاستقرار حولها ، ونتيجةً لكثرة أعداد السكان والوافدين إلى مكة للحج أو التجارة شرعت قريش بحفر الآبار[3] وعمد بعضهم إلى عمل الحياض على رؤوس الجبال لتخزين مياه الأمطار ، ثم توزيعه في أحواض كانت توضع حول الكعبة من أجل سقي الحجاج ، ويضاف إليها أحياناً الزبيب أو العسل ليخفف من ملوحتها[4] .

واستمرت عناية المسلمين بتوفير المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة بشكلٍ دائم ومستمر دون انقطاع ، لأجل سكانها من جهة ولتغطية احتياجات حجاج بيت الله الحرام القادمين من شتى أرجاء المعمورة من جهة أخرى ، وذلك من خلال المحافظة على ما كان متوفراً من مصادر الماء وصيانتها وتزويدها بكل ما تحتاج إليه ، وتجهيز مصادر مائية جديدة من آبار وعيون وإقامة برك وسدود ، فحفرت

---

[1] - ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج٣، ص١٨٣،الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٠٠، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢، الحارثي : ناصر بن علي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي بمكة المكرمة ، مجلة الدارة ، ع٣، رجب ، ١٤٢٦هـ، ص٤٣.

[2] - سورة الأنبياء : آية ٣٠.

[3] - أشار ابن عباس إلى الجهود التي بذلتها قريش قبل الإسلام بقوله : لما انتشرت قريش بمكة وكثر ساكنها ، قلت المياه عليهم ، واشتدت المؤونة في الماء ، حُفرت بمكة آبار ، ومن هذه الآبار : بئر كر آدم ، وخم ، والعجول ، وبذر ، وسجلة ، وطوى ، وأم جعلان ، ورمرم ، والسنبلة ، وسقية ، والعلوق ، والجفر ، وأم حردان ، والغمر ، والرواء ، وميمون ، والنقع ، والثريا ، وخالصة ، وزهير ، وحويطب ، والسيرة .
أنظر: الأزرقي: أخبار مكة ، ج٢، ص٨٣٦- ٨٤٦، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص٩٦-١١٢.

[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج١، ص١٨٣، البلاذري : أنساب الأشراف ،ج١، ص٥٧، ابن ضياء : تاريخ مكة المشرفة ، ص٦٨، مالكي : مرافق الحج ، ص٣٥.

اباراً كثيرة في مواقع مختلفة من مكة منها ، بئر الشركاء ، عكرمة ، والطلوب ، وشوذب ، وبكار ، وورذان ، والصلاصل ، وبئر أبي موسى الأشعري ، عمرو بن عثمان بن عفان ، والبرود ، وابن المرتفع ، وأم النعمان[١] .

وكانت بئر زمزم من أهم هذه المصادر على الإطلاق والتي حرص الخلفاء على صيانتها وترميمها والاهتمام بنظافتها، نظراً لأهميتها الدينية ولوجودها ببيت الله الحرام ، قال صلى الله عليه وسلم : " خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، وفيه طعام من الطعم وشفاء من السقم "[٢]، وقال أيضاً : " ماء زمزم لما شرب له "[٣].

فبعد أن أقر الرسول عليه الصلاة والسلام عمه العباس بن عبد المطلب على سقاية الناس والحجيج من بئر زمزم بعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة ، وتولى من بعده ابنه عبد الله بن عباس اهتم رضي الله عنه بنزح ماء بئر زمزم وتنظيفها[٤]، ثم توالى اهتمام الخلفاء العباسيين بتلك السقاية ، فأمر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بفرش أرض مبنى زمزم بالرخام وعمل شبك لها ، وجدد قبتها[٥]، وفي عهد الخليفة المهدي زيد في حفر بئر زمزم[٦] وعمل في جوانبه حوض ملبس بالرخام من الداخل والخارج ومسقف بالساج[٧] .

كما زيد في تعميق البئر في عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد وابنه محمد الأمين وجدد ما على البئر من أبنية[٨] ، وفي سنة ٢٢٠هـ أوعز الخليفة المعتصم بالله لواليه على مكة المكرمة عمر بن فرج الرخجي بعمارة بئر زمزم ، فغير الرخام وسقف زمزم كلها بالساج المذهب من الداخل ، وعلق عليها قناديل للإضاءة ونقش جدران حجرة السقاية بالفسيفساء[٩] ، كما بني لها شباكاً من حديد وشباكاً من خشب في عهد الخليفة المهتدي بالله سنة ٢٥٦هـ [١٠].

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٤٧- ٨٥٠، أخبار مكة ، ج٤، ص١١٤- ١١٩.
[٢] - الطبراني : المعجم الكبير ، ج١١، ص٩٨.
[٣] - ابن ماجه : سنن ابن ماجه ،ج٢، ص١٠١٨، حديث رقم ٣٠٦٢.
[٤] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٦٦.
[٥] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٦٤٠، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص٧٥.
[٦] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص٧٥.
[٧] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٦٣٨.
[٨] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٥، غباشي : المنشآت المائية ، ص٦٦.
[٩] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٦٤٠، الفاكهي : المصدر السابق، ج٢، ص٧٥،ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٩١، مالكي : مرافق الحج ، ص٥٨.
[١٠] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٦٤٢، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٣٤.

ولم تقتصر جهود الخلفاء على الاهتمام ببئر زمزم ، بل سعوا إلى إيجاد مصادر مائية جديدة وبديلة للحد من العجز المائي القائم ، فحفر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بئر الياقوتة بمنى[١]، وحفر عبد الله بن عامر بن كريز بئراً في شعب عامر[٢] ، كما حفر أبو موسى الأشعري بئراً نسبت إليه على باب شعب أبي دب بالحجون[٣] .

وهناك العديد من الآبار التي حفرت في داخل المنازل ، منها بئر في دار كثير بن الصلت الكندي بالثنية[٤]، وبئر في الدار العظمى دار عبد الله بن الزبير بقعيقعان[٥] ، بالإضافة إلى بئر الطوى التي كانت في دار محمد بن يوسف الثقفي وهي بئر جاهلية حفرها عبد شمس بن عبد مناف ونثلها عقيل بن أبي طالب[٦] ، وبئر كانت على باب دار الأسود بن أبي البختري استمرت إلى العصر العباسي ثم دخلت في دار زبيدة مقابل باب الخياطين غرب المسجد الحرام[٧] .

وقد تضافرت الجهود من أجل الارتقاء بمستوى الموارد المائية والتوسع في الاستفادة منها ، واتضح ذلك من خلال القنوات التي أنشأها الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لنقل مياه العيون التي كانت تغذي بعض المزارع إلى البرك وذلك لتزويد السكان بالمياه وتغذية تلك المزارع ، ومن هذه العيون عين في حائط الحمام في المعلاة ، وعين في حائط عوف وحائط الصفي وحائط مورّش ، وكذلك عين في حائط خرمان وحائط مقيمرة وحائط حراء وحائط ابن طارق وحائط فخ وحائط بلدح ، وقد جعل على كل عين منها قيماً للعناية بها[٨] .

وإلى جانب هذه العيون التي أجراها معاوية فقد كان بمكة عيون أخرى تغذي بعض النواحي فيها ، منها عين سعيد بن عمرو بن العاص ببلدح وعين بحائط سفيان[٩] .

---

[١] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٤٧، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٢٢٣.
[٢] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١١٦.
[٣] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٤٨، البلاذري : فتوح البلدان ، ص٥٨، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١١٤.
[٤] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١١٦.
[٥] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٨٧، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٨.
[٦] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٤٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١١٢.
[٧] - الأزرقي : المصدر السابق، ج٢، ص٨٤٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٩٥، ١٩٦.
[٨] - الأزرقي :المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٠- ٨٥٣، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٢١- ١٢٨.
[٩] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٤.

ويبدو أن هذه العيون لم تستمر في عطائها فترة طويلة ، فقد واجه السكان وحجاج بيت الله الحرام صعاباً كثيرة بسبب قلة المياه كما أشار إلى ذلك الطبري بقوله "" وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز ، فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش فأخبروه أن مكة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحاج العطش ، وذلك أن المطر قل "[1].

وفي سبيل تخطي هذه المشكلة وتجاوزها كلّف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عامله على مكة سنة ٨٨هـ بحفر بئر بين الثنيتين : ثنية ذي طوى وثنية الحجون وكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من أدم[2] ، كما أمر الخليفة سليمان بن عبد الملك عامله خالد القسري بأن يجري له عيناً من الثقبة تصل إلى داخل المسجد الحرام بجوار زمزم ، فعمل بركة بحجارة طوال منقوشة ، ثم شقّ لها عيناً تجري إلى المسجد الحرام ، فأجراها في قصب من رصاص حتى أظهرها في فوارة تسكب في فسقية من رخام بين زمزم والركن والمقام ، ثم تسير المياه عبر سرب من رصاص موضع وضوء كان عند باب المسجد ، واستمرت هذه البركة حتى أوائل العصر العباسي ثم هدمها داود بن علي بن عبد الله بن عبد الله بن عباس والي مكة من قبل الخليفة أبي العباس السفاح ، فرفع الفسقية وكسرها وصرف العين إلى بركة كانت باب المسجد[3] .

وعند انقطاع العيون التي أجراها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أمر الخليفة العباسي هارون الرشيد بتجديد العيون التي طمرت وصرفها في عين واحدة يقال لها " الرشا " وتجهيز البرك لتصب فيها مياه العين[4] .

ورغم تلك الجهود فقد عانى السكان من نقص حاد في المياه ، ولما بلغ ذلك السيدة زبيدة أمرت ببناء بركة بمكة ، وأجرت لها عيناً من الحرم ، وأمرت المهندسين بإجراء مياه عيون الحل إلى مكة رغم وجود العوائق الطبيعية التي قد تحول دون

---

[1] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦، ص٤٣٨.
[2] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٦٠،الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦، ص٤٤٠، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٤، ص١٨، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩، ص٩٢، ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٢، ص١١٤.
[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٦٤٧- ٦٤٩، الفاكهي : المصدر السابق، ج٣، ص١٤٩-١٥١، الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص١٥،١٦، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص١٢٣.
[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٤، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٤٤٨.

تحقيق هذا الهدف ولكنها أصرت على تنفيذ العمل ، وبعثت بأموال عظيمة لتحقيق ذلك[1] .

فعملوا على تأسيس موردين يساقان لإيصال الماء إلى مكة هما عين حنين التي تنبع من جبل شاهق يقال له " طاد " الذي يقع بين جبال سود عاليات تسمى جبال الثقبة ، وكان يجري الماء من جبل طاد إلى حائط حنين ، لذلك اتجه المهندسين إلى منطقة حنين " الشرائع " التي اشترت السيدة زبيدة بساتينها وأبطلوها وجعلوا في ذيل كل جبل سداً لاجتماع مياه الأمطار ، وجعلت فيه قناة مغذية إلى مجرى هذه العين ، حتى صار كل سد منها عيناً مستقلة ، سميت ب" عين المشاش" و " عين الزعفران" و" عين البرود " و" عين ميمون "و " عين ثقبة " و " عين الجريبان" وكل مياه هذه العيون تصب في قناة حنين فوصلت المياه على هذا الشكل إلى مكة[2] .

والمورد الثاني عين وادي نعمان التي تنبع من ذيل جبل " كرا " في منتهى وادي نعمان وتسير عبر قنوات إلى جبل الرحمة بعرفة وباقي المشاعر المقدسة ، وتستمر هذه القنوات حتى تصب في بئر مطوية عظيمة تعرف ببئر زبيدة في وادي عرنة[3] .

وفي سنة ٢١٠هـ أمر أمير المؤمنين المأمون عامله على مكة صالح بن العباس ببناء خمس برك في مواضع مختلفة من مكة ، وإيصال الماء إليها من بركة زبيدة وذلك لما يلاقيه الحجاج والمجاورين القاطنين من جهد ومشقة في سبيل حصولهم على الماء[4] .

وهكذا أصبحت عيون المياه التي جلبتها السيدة زبيدة رحمها الله تشكل المصدر الرئيسي لتزويد مكة المكرمة والمشاعر المقدسة بالمياه ، ولكن مع الوقت تعرضت هذه العيون لمداهمة السيول الجارفة التي تسببت في خراب أو كسر بعض القنوات ودمار بعض البرك ، فأصبح السكان وحجاج بيت الله الحرام يعانون الأمرين قلة المياه وارتفاع أسعارها[5].

---

[1] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥٥، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٤٤٩، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٤٨، ٢٤٩ .

[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٦، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٤٤٩، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٤٩، باشا: مرآة الحرمين ، ج١، ص ٢١٠، الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص٣٩٤، الحارثي : الآثار الإسلامية في مكة ، ص٢٥٤.

[3] - باشا : المرجع السابق ، ج١، ص٢١٠- ٢١٢، غباشي : المنشآت المائية ، ص٨١.

[4] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨٥٦، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص١٥٣،الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٢٧٠، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٨٤.

[5] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٩، ص١٢٤، ابن فهد : المرجع السابق ، ج٢، ص٢٩٨، غباشي : المنشآت المائية ، ص٨٤.

فأمر الخليفة العباسي المتوكل على الله بإعادة بناء البرك في سنة ٢٤١هـ[١] ، وفي هذه السنة أيضاً بنى إسحاق بن سلمه الصائغ بركة الحصحاص " بين الشهداء والتنعيم" وصرف إليها ماء فخ[٢] ، كما أمر بإصلاح العيون في سنة ٢٤٥هـ بعد ما غارت مياهها وارتفعت أسعار الماء[٣] .

وأخذت أزمة الانقطاعات المتكررة للماء أبعاداً خطيرة أدت إلى موت الكثير من الحجاج بعرفة في سنة ٢٩٥هـ[٤] ، ولكن الأمر لم يستمر طويلاً على هذه الوتيرة ففي سنة ٣١٥هـ أمرت والدة المقتدر بالله العباسي بإعادة بناء بعض البرك بعرفة ومكة[٥] .

وتواصلت الجهود من قبل الخلفاء والميسورين من أجل توفير مصادر مائية جديدة ، فأنشأوا عدداً كبيراً من الأسبلة " السقايات " تقرباً إلى الله وأملاً في ثواب الآخرة وذلك بتقديم الماء للمستقين ولاسيما المارة في الطرقات ، وقد تعددت مسميات هذه السقايات فسميت جنابذ وحياض وسقايات ومشارع ومشارب[٦] .

وبلغ عدد تلك السقايات زمن الفاكهي مائة سبيل موزعة في فجاج مكة المكرمة وشعابها والمشاعر المقدسة[٧]، وقد أشار إليها الفاسي بقوله : " بمكة وحرمها عدة سقايات ، تسمى السبل ، جمع سبيل ، وشهرتها عند الناس بالسبل أكثر ، وهي كثيرة إلا أن بعضها صار لا يعرف لخرابه وبعضها معروف مع الخراب "[٨]، فكان لأبي أحمد الموفق بالله ثلاث سقايات في ظهر جبل العيرة ، وسقايتان لابن أبي الشوارب ، وسقاية للحارث بن عيسى أبي غانم ، وسقايتان لأبي سهل محمد بن أحمد ، وسقاية للسلطان عند مسجد الشجرة ، وأخرى عند مسجد السيدة عائشة رضي الله عنه بالتنعيم[٩] .

---

[١] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٤٢٠، ابن فهد : المرجع السابق ، ج٢، ص٣١٧.

[٢] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٢٥، غباشي : المنشآت المائية ، ص٨٤.

[٣] - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٢٤.

[٤] - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج١٠، ص١٣٩، الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٢٦١، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٦٠، غباشي : المنشآت المائية ، ص٨٦.

[٥] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٤٤١، ابن فهد : المرجع السابق ، ج٢، ص٣٧٣.

[٦] - بابطين : المنشآت المائية في مكة ، ص٤٣٣.

[٧] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٩٧.

[٨] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٤٣٨.

[٩] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٩٧.

وكانت هذه الجنابذ عبارة عن وحدات صغيرة دائرية الشكل[1]، تبنى دائماً ملحقة بالمساجد، مخصصة لسقيا الناس، وتكون ملاصقة ببرك الماء أو الآبار أو بعيدة عنها يصلها الماء عبر قنوات، عليها قباب لتكون مغلقة حتى لا تتمكن الدواب من الشرب منها [2].

ومن هذه الجنابذ التي أقيمت لسقاية الناس والحجاج، الجنبذ الذي بناه عبد الله بن عبيد الله العباسي في خلافة المأمون العباسي بالقرب من مسجد الراية بأعلى مكة عند بئر جبير بن مطعم[3]، كما بنى بغا الكبير أبو موسى – مولى أمير المؤمنين الخليفة العباسي الواثق بالله – جنابذ عند بئر أبي موسى التي أعاد حفرها بشعب أبي دُب واتخذ عندها مسجداً[4]، وبنى عبد الله بن محمد العباسي جنابذ بجانب مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها بالتنعيم عندما أعاد بنائه، فعمل لبئره قبة وبنى بجانبها سقايات وجنابذ[5]، بالإضافة إلى جنابذ ابن صيفي[6] من بني مخزوم التي أقيمت بين عسفان ووادي مر الظهران[7]، وسبيل الجوخى الذي أمر ببناءه الخليفة العباسي المقتدر بالله ووالدته شغب سنة ٣٠٢هـ[8].

وإلى جانب هذه الجنابذ أنشأت الأحواض، فقد كلّف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد رجاله بإنشاء حياض في الحرم[9]، وكان عبد الله بن عامر بن كريز أول من اتخذ الحياض بعرفة[10]، كما أنشأ ابن هشام المخزومي حياضاً بمفضى مأزمي منى[11]، وعمل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه حياضاً بمزدلفة[12]، بالإضافة إلى

---

[1] - ابن منظور : لسان العرب ، ج٣، ص٤٨٢.
[2] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٥، ص١٠٦، ابن منظور : المرجع السابق ، ج٣، ص٤٨٢.
[3] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٨١٤، الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ص١٩.
[4] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٩١٦، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٤٠، ١٤١.
[5] - الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٢٧، كمال : إمارة الحج ، ص٢٤٧.
[6] - ابن صيفي : أبا السائب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .
الزبيري: نسب قريش ،ص٣٣٣.
[7] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٥، ص١٠٦.
[8] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٤٤٠، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٣٦٣، غباشي : المنشآت المائية ، ص١٠٤.
[9] - بابطين : المنشآت المائية في مكة ، ص٤٣٤.
[10] - الفاكهي : أخبار مكة ، ج٥، ص٤٢، باشا : مرآة الحرمين ، ج١، ص٢١٠، غباشي : المنشآت المائية ، ص٧٦.
[11] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٩٢٤، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص١٥٦.
[12] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٧١.

حياض مجنة بالحصحاص وراء المربع عند قبور الشهداء ، تُمد إليها الماء من بئر البرود وهي أطيب ماء بمكة[1]، وحياض الياقوتة بمنى[2].

---

[1] - الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٢٢١.
[2] - الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٧٨٨، الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤، ص٣٠٩.

ثانياً : المنشآت العسكرية :

لم تذكر المصادر التاريخية أي نمط من أنماط التحصينات العسكرية والدفاعية بمكة المكرمة قبل الإسلام ، وربما يعود السبب في ذلك إلى أنها كانت محصنة طبيعياً بجغرافيتها حيث كانت تتوزع بين جنباتها الجبال التي تشكل حاجزاً يحمي المدينة من جميع جهاتها وتحيط بها الأشجار فيكون بذلك من الصعب على العدو الاقتراب منها[١] ، وفي ذلك يقول ابن جبير : " وهي بلدة قد وضعها الله عز وجل بين جبال محدقة بها ، وهي بطن واد مقدس ، كبيرة مستطيلة ، تسع من الخلائق مالا يحصيه إلا الله عز وجل "[٢] .

كما كانت محصنة بشرياً بتفاني أهلها في حبها فإليها تهوي أفئدة الكثير من الناس ، فضلاً عن أن الكعبة المشرفة كانت معظمة لدى كافة العرب ، قال تعالى : " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون "[٣] .

غير أن قريش بنت قبيل ظهور الإسلام ما يشبه السور شمال مكة في أعلى المدعى وجعلت فيه باباً ، وذلك بغرض حماية المدينة المقدسة[٤] .

وبعد هذا العهد لم تشر المصادر التاريخية إلى وجود أي نوع من أنواع المباني العسكرية بمكة طوال العهد النبوي وعصر الخلافة الراشدة وكذلك العصر الأموي رغم تدهور الأوضاع السياسية في هذا العهد نتيجة حصار الجيش الأموي ابن الزبير لامتناعه عن مبايعة يزيد بن معاوية[٥] .

ويعتبر العصر العباسي أول العصور الإسلامية التي شهدت فيها مكة ظهور أنواع متنوعة من التحصينات الحربية الدفاعية ممثلة في : الأسوار ، والخنادق ، والقلاع ، والمنارات .

---

[١] - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص٨.

[٢] - ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص٦٨.

[٣] - سورة إبراهيم : آية ٣٧.

[٤] - السباعي : تأريخ مكة ، ج١، ٢، ص٣٦.

[٥] - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٦١- ٩٠، السباعي : المرجع السابق ، ج١، ٢، ص٩٥-١٠٣.

الأسوار :

تعتبر الأسوار أكثر الأنماط التحصينية ظهوراً واستمراراً[1]، فعلى الرغم من حصانة مكة المكرمة الطبيعية بين الجبال واستعصاء الوصول إليها من قبل أي عدو ، إلا أنه قد أنشئ لها ثلاثة أسوار حدد الفاسي مواضعها بقوله : " .... مكة المشرفة بلدة مستطيلة كبيرة تسع من الخلائق مالا يحصيهم إلا الله عز وجل في بطن واد مقدس والجبال محدقة بها كالسور لها ، ولها مع ذلك ثلاثة أسوار ، سور في أعلاها ويعرف بسور المعلاة ، وفيه باب أحدهما لا باب له ويكون الغالب مسدوداً . وسوران في أسفلها ، أحدهما يعرف بسور باب الشبيكة ، وفيه باب كبير وخوخة صغيرة لا باب لها . والسور الآخر يعرف بسور باب الماجن ، ويعرف أيضاً بسور باب اليمن لأنه على طريق البر إلى اليمن "[2] .

فمنعة المكان وحصانته الطبيعية وتعقد المسالك الواصلة بين جهاته لم تكن لتقتضي وجود أسوار تحيطها بالكامل ، وإنما أقيمت هذه الأسوار في مواضع المداخل التي تفصل بين الجبال والتي كان من الممكن أن تنفذ منها جيوش المقاتلين[3] .

أشارت المصادر التاريخية إلى أن البدايات الأولى لبناء الأسوار حول مكة المكرمة ترجع إلى مطلع القرن الثالث الهجري ، ففي عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧م خرج والي مكة حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان إلى اليمن ، واستخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي على مكة ، فقام الأخير " ...فخندق على مكة ، وشبكها بالبنيان من أنقابها "[4] ، ويدل سياق النص بوضوح إلى أن الأسوار بنيت حول مكة المكرمة وفق التصور الآنف[5] .

ويبدو أن أسوار المخزومي التي بناها التي بنها قد تراجعت مكانتها بعد توالي السنين وتعرضت للتخريب والدمار ، فقد ذكر الفاسي أنه رأى في بعض التواريخ ما يقتضي أنه كان لمكة سورٌ زمن الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٢- ٣٢٠هـ) ويعلق على ذلك بقوله : " .... وما عرفت هل هذا السور من أعلى مكة وأسفلها ، أو من إحدى الجهتين ؟ والله أعلم "[6] .

---

[1] - عجيمي : هشام محمد علي ، التحصينات الحربية لمكة المكرمة حتى نهاية العصر المملوكي ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢م، ص٢.
[2] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٥.
[3] - الحارثي :أسوار مكة ، م٢، ص٥٢٨.
[4] - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٧٨.
[5] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٥.
[6] - الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٨.

فالسور الذي وجد بمكة ويعود إلى زمن الخليفة العباسي المقتدر بالله على غرار ما بني زمن والي مكة يزيد المخزومي سنة ٢٠٢هـ ، فالمقتدر لم يبني أسوار جديدة ، ولكن ربما تلمح إشارة الفاسي إلى قيام الخليفة المقتدر بأعمال ترميم لتلك الأسوار[١] .

أدرك الفاسي الآثار المتبقية من ذلك السور ، مما مكنه من بلورة رؤية وتصور واضح حول امتداداته ، حيث يقول : " كان لمكة سور من أعلاها دون سورها اليوم قريباً من المسجد المعروف بمسجد الراية ، وموضع باب هذا السور على ما ذكر لي غير واحد فيما بين الدارين المتقابلتين المنسوبتين لمسعود بن أحمد المعروف بالأزرقي المكي التي بأحدهما الآن ذيب مشروعة لا سقف عليها في محاذاة ركني الدارين مما يلي الردم ، وإذا كان محل باب السور في محاذاة هذين الركنين فالظاهر - والله أعلم – أن محل بقية السور يحاذي بابه من جانبي الباب وأنه من الجبل الذي إلى جهة القرارة ويقال له : لعلع إلى الجبل المقابل له الذي إلى جهة سوق الليل ، لأن التحصن بهذا السور لا يتم إلا بأن يكون هكذا ، وفي الجبلين المشار إليهما آثار بناء تدل على اتصال السور بهما ، وبعض هذا السور الآن – على ما بلغني – في بعض البيوت المحاذية له ، لأن بعض الناس أراني في بعض الدور المنسوبة للراكبين جداراً عريضاً ، ذكر أنه من السور الذي كان هناك ، ونقل ذلك عن بعض أقاربه ، ويقال الآن لموضع باب السور المشار إليه الدرب الدارس ، ويقال لهذا السور فيما مضى السور الجديد ..."[٢] .

وقد استمرت هذه الأسوار من نهاية القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن السادس الهجري تقريباً[٣] .

الخنادق :

كانت الخنادق الدفاعية بمكة نمطاً بدائياً ، فهي عبار عن حفر متسعة في الأرض تُعمل حول منافذ مكة عند الشعور بالهجوم عليها ، فلم يكن بها أي جهد معماري ومعوقات بنائية[٤] .

لم تحدد المصادر التاريخية مواضع الخنادق التي حفرت بمكة في العصر العباسي ، إن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عندما خرج عن طاعة الخليفة العباسي المأمون وبايعه أهل مكة والمجاورين بالخلافة وسموه

---

[١]- عجيمي : التحصينات الحربية ، ص٩، الحارثي : أسوار مكة ، ص٥٢٨.
[٢]- الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص٢٧.
[٣]- عجيمي : التحصينات الحربية ، ص ١٠، الحارثي : أسوار مكة ، ص٥٢٨.
[٤]- عجيمي : المرجع السابق ، ص٢.

أمير المؤمنين في سنة ٢٠٠هـ ، أمر بحفر خندق بأعلى مكة استعداداً للهجوم المتوقع من قبل جيوش المأمون ، وبالفعل لم يلبث إلا يسيراً حتى أرسل له المأمون عامله على اليمن اسحاق بن موسى فسار إلى مكة ونزل المشاش[١] .

وفي سنة ٢٠٢هـ أمر يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي بحفر خندق على مكة لحمياتها من إبراهيم بن موسى الكاظم العلوي الذي أقبل من اليمن يريد مكة[٢] .

القلاع :

عرفت القلاع منذ الفترة المبكرة من العصر الإسلامي ، واستمرت حتى أواخر العصر المملوكي[٣] ، فقد أشارت النصوص التاريخية إلى وجود قلعة فوق جبل أبي قبيس المشرف على المسجد الحرام من الناحية الشرقية ، وقد جاء ذكر هذه القلعة عرضاً عند ذكر منارات مكة ، حيث يقول الفاكهي : " ولعبد الله بن مالك الخزاعي على جبل أبي قبيس المشرف على المسجد الحرام منارة على القلعة بعينها "[٤] .

---

[١] ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٣٧، ١٣٨، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٢٦٧، ٢٦٨.

[٢] ـ ابن فهد : المرجع السابق ، ج٢، ص٢٧٨.

[٣] ـ الحارثي : الآثار الإسلامية ، ص٤٠٢.

[٤] ـ الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص٨٧.

الخاتمـــــة

- من المعروف أن دراسة مكة المكرمة عمرانياً يمثل مرتكزاً أساسياً لإيضاح الكثير من المتغيرات التي طرأت عليها بعد ظهور الإسلام وما صاحب ذلك من تطور وازدهار شمل مختلف النشاط الإنساني والمادي في هذه المدينة .

- فقد كشفت هذه الدراسة عن الجهود والمشروعات العمرانية الكبيرة التي قام بها الخلفاء المسلمين في مكة ، حرصاً منهم على توفير أقصى درجات الأمن والراحة لقاصدي بيت الله الحرام ، والتي كان لها أكبر الأثر في التطور العمراني الذي شهدته المدينة سواء من حيث التخطيط والتمدد العمراني وازدهار التجارة وازدياد عدد السكان والوافدين إليها .

- وقد تبين أيضاً من خلال دراستنا لهذا الموضوع أن التطور العمراني الذي شهدته مكة المكرمة بعد ظهور الإسلام ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالزيادة الكبيرة في أعداد الحجاج والمعتمرين والمقيمين واتساع مساحة الأنشطة الصناعية والتجارية ، وكذلك بالتوسعات التي أجريت للمسجد الحرام والتي كان لها أكبر الأثر في تغير التوزيع السكاني وانتشار النمو العمراني .

- وفي جانب المتغيرات الاجتماعية كشفت الدراسة عن سيادة مظاهر اجتماعية جديدة كانتشار الأمن والرفاة في جانب وفي جانب آخر ظهور عادات وتقاليد جديدة في الملبس والمأكل ترتب عنها نتائج عمرانية في زيادة النشاط العمراني في المدينة إذ كان لها تأثير على الجانب الاقتصادي في المدينة وما ارتبط به من تأثير على الأسواق .

- كما كشفت الدراسة ان ازدهار التجارة والتبادل التجاري ارتبط بالتوسع في بناء منشآت الخدمات الاقتصادية .

- وفي جانب الأوضاع السكانية كشفت الدراسة عن حدوث تغيرات في العناصر السكانية في المدينة حيث جرى استبدال العناصر السكانية بغيرها فلم تعد الرباع مقصورة على أسرة أو قبيلة معينة ، علاوة على هجرة أعداد

كبيرة من سكان مكة إلى المدينة وأمصار العالم الإسلامي للمشاركة في الفتوحات الإسلامية ، فتغيرت أوضاع الكثافات السكانية وأصبح ارتكازها في مواضع تختلف عما كانت عليه قبل الإسلام .

- كما أبانت الدراسة عن ظهور أحياء جديدة واختفاء أخرى واعادة عمارة أحياء أخرى تعرضت للخراب والتدمير إضافة إلى تغير النطاق العمراني للأحياء .

- وبالنسبة للشوارع فقد كان لها نصيب في التطور العمراني حيث ظهرت شوارع جديدة ، وجرى توسعة شوارع أخرى ، ومد أطوال شوارع أخرى قديمة واغلاق بعض الشوارع القديمة .

- وفي مجال الأسواق كشفت الدراسة عن ظهور أسواق جديدة إضافة إلى توسع القديم منها واندثار بعضها ، وتغير مواضع بعض الأسواق والصناعات ، وظهور الأسواق المتخصصة .

- أما المتنزهات والبساتين فقد خضعت لنفس المتغيرات على وجه التقريب إذ ظهرت مواضع نزهة جديدة واختفت أخرى قديمة ، كما تزايد الاهتمام بالتنزه في بعض المواضع الأخرى كالبرك ومواضع محابس المياه ، كما خضعت المقابر والرحاب لبعض التغيرات التي طرأت على الأقسام الأخرى.

- كما كشفت الدراسة أن المدينة تعرضت لعوامل تطور عمراني كان أهمها العوامل الجغرافية ، حيث تزايد تأثير بعض المكونات الطبيعية ، فبالنسبة للسيول فلقد عمل على انحراف مجراها وتباعد خطر فيضانها عن كثير من الأراضي وعلى الأخص تلك التي تقع في الناحية الشمالية وعلى الجانب الشرقي من الردم الأعلى " المدعى" مما أدى إلى ظهور فرصة استغلالها عمرانياً .

- كما أظهرت الدراسة تزايد العلاقة العمرانية بين المدينة ومنشآت النزهة والبساتين حيث أصبحت المساكن تحيط بها .

- كما جرى التطرق إلى الجهود العمرانية التي قام بها الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان والتي كان لها أكبر الأثر في التطور والتوسع العمراني الذي شهدته المدينة المقدسة ، إذ ظهر ذلك جلياً في انشاءه للعديد من العيون والبساتين في مكة ، وتسهيله ثنية المدنيين " طريق الحجون " ، واستخدامه للجص والآجر في تزيين المباني ، علاوة على ظهور وزحف المباني في عهده على سفوح جبل قعيقعان القريبة من المسجد الحرام فنشأت أحياء جديدة لم تكن معروفة من قبل وأدى ذلك إلى زيادة المحتوى السكاني للمدينة وما ارتبط من ذلك بطبيعة الحال من زيادة النشاط العمراني فيها .

- أما عن منشآت المرافق فقد بينت الدراسة التغير الكبير الذي أحدثه الإسلام من حيث التوسع في بناء الدور وزخرفتها ، فقد اتخذت تصميم متعدد الطوابق ، كما أسبغ عليها المعماريون والفنيون لمحات جمالية تمثلت في الرواشين الخشبية الضخمة على واجهات المباني ، واستخدام الجص والآجر والحجر في البناء وادخال الزخارف الحجرية عليه .

- أما المساجد فقد أوليت بعناية ولاة أمر المسلمين فبادروا إلى عمارتها وتفننوا في بنائها خاصة المساجد التي صلى بها عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المصادر العربية .

- **ابن الأثير** : (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ت٦٣٠هـ) .

الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٧م .

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : علي معوض وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٤م .

- **ابن الأثير** : (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجرزي ت٦٠٦هـ) .

النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩م .

- **ابن البيع** : (أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري ت٤٠٥هـ) .

المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م .

- **ابن الجوزي** : (جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ) .

زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، دار الكتاب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢م .

مثير الغرام الساكن إلى اشرف الأماكن ، تحقيق : مصطفى الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٥هـ .

- **ابن بطوطة** : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت٧٧٩هـ).

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف ب"رحلة ابن بطوطه"، دار الشرق العربي .

- **ابن بكار :** (الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي ت٢٥٦هـ).

الأخبار الموفقيات ، تحقيق : سامي الغاني ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٦م.

نسب قريش ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ١٣٨١هـ .

- **ابن تغري بردي :** (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ت٨٧٤هـ) .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، مصر .

- **ابن جبير :** (محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ت ٦١٤هـ) .

رحلة ابن جبير ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م .

- **ابن حبان :** (محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي الدرامي البستي ت٣٥٤هـ) .

الثقات ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،ط١، ١٩٧٣م .

- **ابن حبيب :** (أبي جعفر محمد بن أمية بن عمرو ت٢٤٥هـ).

المحبر ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٣٦١م .

- **ابن حجر العسقلاني :** (أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ت٨٥٢هـ).

فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق : محمد الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ .

ابن حزم : (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ت٤٥٦هـ).

جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٨٣م .

- **ابن حمدون :** (أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ت٥٦٢هـ)

التذكرة الحمدونية ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ .

- **ابن حنبل :** (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت٢٤١هـ).

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ٢٠٠١م .

- **ابن حوقل :** (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ت ٣٦٧هـ).

صورة الأرض، دار صادر ، بيروت ، ١٩٣٨م .

- **ابن حيان :**(أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان بن أثير الدين ت٧٤٥هـ) .

البحر المحيط في التفسير ، تحقيق : صدقي جميل ، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ .

- **ابن خلدون :** (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ت٨٠٨هـ).

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م .

- **ابن خلكان :** (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الأربلي ت٦٨١هـ) .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،ط١ ،١٩٩٤هـ .

- **ابن خيّاط :** (أبو عمرو خليفة بن خيّاط بن خليفة الشيباني العصفري البصري ت٢٤٠هـ).

تاريخ خليفة بن خيّاط ، تحقيق : أكرم العمري ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٣٩٧هـ .

- **ابن دريد :** (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت٣٢١هـ).

الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٩١م .

- **ابن سعد :** (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي ت٢٣٠هـ).

الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١، ١٩٩٠م .

- **ابن سيده:** (أبو الحسن بن إسماعيل بن سيده المرسي ت ٤٥٨هـ).

المخصص، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٦م .

- **ابن ضياء** : (أبي البقاء محمد بن احمد بن محمد بن الضياء المكي الحنفي ت٨٥٤هـ)

تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٧م .

- **ابن طباطبا :** (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي).
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، المطبعة الرحمانية ، مصر .

- **ابن ظهيرة :** (جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن ابي بكر بن علي بنت ظهيرة القريشي المخزومي) .
الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ط١ ، ١٩٢١م .

- **ابن عبد ربه :** (أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم ت٣٢٨هـ).
العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٠٤هـ .

- **ابن عبدالسلام :** (ابو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن ابي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ت٦٦٠هـ) .
تفسير القران ، تحقيق : عبدالله الوهبي ، دار ابن حزم ، بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

- **ابن عساكر :** (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت٥٧١هـ) .
تاريخ دمشق ، تحقيق : عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، ١٩٩٥م .

- **ابن عطية :** (ابو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الاندلسي المحاربي ٥٤٢هـ) .
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ .

- **ابن علان** :(محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري ت ١٠٥٧هـ) .
دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، دار المعرفة ، ط٤ ،٢٠٠٤م .

- **ابن فهد :** (عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن فهد).
إتحاف الورى ،تحقيق : فهيم شلتوت ،مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- **ابن قتيبية** :(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت٢٧٦هـ).
غريب الحديث ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١، ١٣٩٧هـ .

- **ابن قيّم الجوزية :** (محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين ت٧٥١ هـ) .
زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢٧ ، ١٩٩٤م .

- **ابن كثير** :(أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ت٧٧٤هـ).

تفسير القرآن العظيم المعروف ب (تفسير بن كثير) ،تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ،١٤١٩هـ .

البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، ط١، ١٩٨٨م .

- **ابن ماجه** : (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٣هـ)

سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

- **ابن معين** : (أبو زكريا يحي بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء البغدادي ت٢٣٣هـ) .

تاريخ ابن معين (رواية الدوري) ، تحقيق : أحمد سيف ، مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٧٩م .

- **ابن منظور** : (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ت٧١١هـ).

لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣، ١٤١٤هـ .

- **ابن ناصر الدين الدمشقي** : (محمد بن عبدالله أبي بكر بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي ت٨٤٢هـ) .

توضيح المشتبه في ضبط اسماء الواه وانسابهم والقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣هـ .

- **ابن هشام:** (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ت٢١٣هـ) .

السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط٢، ١٩٥٥م .

- **أبو الفضل** : أحمد ابو الفضل عوض الله .

مكة في عصر ما قبل الإسلام ، دارة الملك عبد العزيز ، ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

- **أبو عبيد** : (القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي ت٢٢٤هـ) .

الأموال ، تحقيق : خليل هراس ، دار الفكر ، بيروت .

- **أبو عيانة** : فتحي محمد .

جغرافية العمران دراسة تحليلية للقرية والمدينة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر.

- **أبو يوسف** : (يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري ت١٨٢هـ) .

الخراج ، تحقيق : طه سعد ،سعد محمد ،المكتبة الأزهرية للتراث .

- **أبي داود :** (أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي ت٢٧٥هـ) .

سنن أبي داود ، تحقيق : محمد عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا .

- **الأزرقي :** (أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ت٢٥٠هـ) .

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة ، ط٢، ٢٠٠٨م .

- **الازهري :** (محمد بن احمد بن الازهري الهروي ت٣٧٠ هـ) .

تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م.

- **الأصبحي :** (مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ت١٧٩هـ).

المدونة ، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٩٩٤م .

- **الأصبهاني :** (أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت٤٣٠هـ).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار السعادة ، مصر ، ١٩٧٤م .

- **الأصفهاني** : (أبي الفرج علي بن الحسين ت٣٥٦هـ) .

الأغاني ، تحقيق : إحسان عباس وآخرين ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢م .

- **الأصفهاني** :(أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـ).

محاضرات الادباء ومحاورات **الشعراء والبلغاء** ،شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط١ ،١٤٢٠هـ .

- **آل زيد :** الشريف مسعود محمد .

تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد ، دار القاهرة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

- **أمين :** أحمد .

فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١٠ ، ١٩٦٩م .

- **بابطين** : إلهام أحمد .

الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي ،جامعة الملك سعود، الرياض ،ط١ ، ١٤١٩هـ .

المنشآت المائية في مكة منذ ما قبل الاسلام حتى نهاية العصر الاموي ، جامعة الملك سعود ، الرياض،٢٠٠٣م .

- **باسلامة** : حسين عبد الله .

تاريخ الكعبة المعظمة عماتها وكسوتها وسدانتها ، الرياض ، ١٩٩٩م .

تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر ، تحقيق : عمر عبد الجبار ، دار مصر للطباعة ، ط٢ ، ١٩٦٤م .

- **باشا** : (أيوب صبري ١٢٩٠هـ) .

موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب ، دار الآفاق ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

- **باشا** : إبراهيم رفعت .

مرآة الحرمين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧م .

- **البتنوني** : محمد لبيب .

الرحلة الحجازية ، مكتبة المعارف ، الطائف .

- **البخاري** : (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ت٢٥٦هـ)

التاريخ الكبير ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد .

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف ب" صحيح البخاري"، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١، ١٤٢٢هـ .

- **البدر شيني** : أحمد هاشم أحمد . .

مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

- **البغدادي** : (قدامه بن جعفر بن قدامه بن زياد ت ٣٣٧هـ).

الخراج وصناعة الكتابة ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨١م .

- **البغدادي** : (عبد المؤمن بن عبدالحق ابن شمائل القطيعي ت٧٣٩ هـ) .

مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

- **البغوي** : (أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاة ت٣١٧هـ) .

معجم الصحابة ، تحقيق : محمد الامين ، مكتبة دار البيان ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٠م.

- **البكري** : (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ت٤٨٧هـ).

معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣، ١٤٠٣هـ .

- **البلادي** : عاتق بن غيث .

معالم مكة التأريخية والأثرية ، دار مكة ، مكة المكرمة ، ط٢، ١٩٨٣م .

فضائل مكة وحرمة البيت الحرام ، دار مكة ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٨٩م .

معجم معالم الحجاز ، دار مكة ، مكة المكرمة ، ط١، ١٩٨٠م .

- **البلاذري :** (أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري ت٢٧٩هـ) .

أنساب الأشراف ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م .

فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٨م .

- **بن حبيب :** (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي ت٢٤٥هـ) .

المنمق في أخبار قريش ، تحقيق : خورشيد فاروق ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م .

- **بن صالح** : محمد بن عبد الله .

الحرمان الشريفان نشوءهما وتوسعتهما وتأثيرهما على المحيط العمراني على مر العصور ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ٢٠٠٣م.

- **البيهقي** : (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني ت٤٥٨هـ).

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

- **الترمذي** : (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي ت٢٧٩هـ) .

سنن الترمذي ، تحقيق : ابراهيم عوض ، مكتبة وطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٢، ١٩٧٥م .

- **الجاحظ:** (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي ت٢٥٥هـ).

البيان والتبين ، دار ومكتبة الهلال ، ١٤٢٣هـ .

- **جرجي زيدان :**

العرب قبل الإسلام ، مطبعة الهلال ، مصر ، ط٢ ، ١٩٢٣م .

- **جريس** : غيثان بن علي :

دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

- **الجزيري :** (عبد القادر محمد بن عبد القادر بن ابراهيم الانصاري الجزيري الحنبلي). الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، دار اليمامة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٨٣م.
- **الجميح :** إبراهيم بن عبد العزيز .

مظاهر النشاط الإقتصادي في مواسم الحج في العصر الأموي ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، جدة ، م٧، ١٩٩٤م .

- **جواد علي :**

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،جامعة بغداد ، ط٢، ١٩٩٣هـ .

- **الجواليقي:** (أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ت٥٤٠هـ).

المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق: عبد الرحيم ، دار القلم ، دمشق، ط١، ١٩٩٠م .

- **الجوهري :** (أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت٣٩٣هـ) .

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤، ١٩٨٧م.

- **الحارثي** : عدنان بن محمد بن فايز .

دار الندوة في الجاهلية والإسلام ، مجلة الدارة ، ع٣، رجب ١٤٢٦هـ .

أبواب المسجد الحرام ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٨م .

أثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحضاري والعمراني لمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٩٨٨م .
عمارة السلطان قايتباي المملوكي لمسجد الخيف بمنى (٨٧٣- ٨٧٤هـ)، مجلة العصور ، المجلد الثالث عشر ، ٢٠٠٣م .

- **الحارثي : ناصر بن علي .**

الآثار الإسلامية في مكة المكرمة ، الرياض ، ط١، ٢٠٠٩م .

دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي بمكة المكرمة ، مجلة الدارة ، ع٣، رجب ، ١٤٢٦هـ .

- **الحازمي :** (أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني ت٥٨٤هـ).

ما أتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ، تحقيق : حمد بن محمد الجاسر ، دار اليمامة ، ١٤١٥هـ .

- **الحربي :** أبو إسحاق إبراهيم بن ديسيم الحربي .

المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق : حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨١م .

- **حسن إبراهيم حسن .**

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٧، ١٩٦٤م .

- **الحموي :** (أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت٦٢٦هـ).

معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط٢، ١٩٩٥م .

- **الحنبلي :** (زين الدين عبدالرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي الدمشقي ت٧٩٥ هـ) .

روائع التفسير المعروف (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ، دار العاصمة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ٢٠٠١م .

جامع العلوم و الحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط و آخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٧ ، ٢٠٠١م .

- **الحنفي :** عبد الله الغازي المكي .

إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

- **الخزرجي :** (أحمد بن عبد الله بن ابي الخير بن عبد العليم الخزرجي الانصاري الساعدي اليمني ت٩٢٣هـ).

خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، دار البشائر ، حلب ،ط٥ ، ١٤١٦هـ .

- **خسرو**: (أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي ت٤٨١هـ).

سفر نامه، تحقيق : يحي الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، ط٣، ١٩٨٣م .

- **خطاب :** محمود شيث .

الرسول القائد ، دار الفكر ، بيروت ، ط٦، ١٤٢٢هـ .

- **الخطابي** : (ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البوستي ت٣٨٨هـ) .

غريب الحديث ، تحقيق : عبدالكريم الغرباوي ، دار الفكر ، ١٩٨٢م .

- **خليل :** علي لطفي رضا .

اتجاهات التطور العمراني في ضواحي غرب نابلس والعلاقات المكانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، ٢٠٠٥م .

- **الخولي** : محمد زكي عبد الحليم .

مسك الكلام في أخبار البلد الحرام ، دار لينة ، دمنهور، ط١، ٢٠١٠م .

- **الدار قطني** : (أبي الحسن علي بن عمر البغدادي ت٣٨٥هـ).

المؤتلف والمختلف ، تحقيق : موفق عبدالقادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١، ١٩٨٦م.

- **الدميجي** : عبدالله بن عمر .

البلد الحرام فضائل و احكام ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ١٤٢٣هـ .

- **الدميري** : (محمد بن موسى بن عيسى بن علي ت٨٠٨ هـ) .

حياة الحيوان الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ .

- **الدهاس** : فواز علي جنيدب .

الدور القيادي لمكة المكرمة خلال العصر الأموي ، مجلة جامعة أم القرى ، ج١٩، ع٤١، ١٤٢٨هـ .

- **الذهبي** :(شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ) .

سير أعلام النبلاء ، مؤسسه الرسالة ، ط٣ ، ١٩٨٥م .

- **الرازي** : (أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين ت٦٠٦هـ) .

مفاتيح الغيب المعروف ب"التفسير الكبير" ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .

- **الردادي** : سعد بن عودة .

أمن الحج قبل العهد السعودي ، دار المآثر ، المدينة المنورة ، ط١ ، ٢٠٠١ م .

- **الزبيدي** : (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ت١٢٠٥هـ).

تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية .

- **الزبيري**:(أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ت٢٣٦هـ)، **نسب قريش** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ .
- **الزركلي** : (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ت١٣٩٦هـ) .

الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط ١٥، ٢٠٠٢م .

- **الزمخشري** : جار الله .

ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

- **الزهراني** : ضيف الله يحي .

النفقات وإدارتها في الدولة العباسية ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٨٦هـ.

- **الزهراني** : عائض محمد عائض.

التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى لمؤلفه جار الله محمد بن فهد ٨٩١-٩٥٤هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى .

- **الزيلعي** : أحمد عمر محمد .

مجد الدين الفيروز آبادي وكتابه إثارة الحجون لزيارة الحجون ، مجلة الخليج للتاريخ والآثار ، ع٢، ابريل ٢٠٠٦- ربيع الأول ١٤٢٧هـ.

- **ساعاتي** : فوزي بن محمد بن عبده .

حارة الشامية والحارات المجاورة لها ، ملتقى الأحبة ، مكة المكرمة ، ط١، ١٤٣٤هـ .

- **السباعي** : أحمد .

تأريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، مطابع الصفا، ط٨، ١٩٩٩م .

- **السرياني** : محمد محمود .

مكة المكرمة دراسة في التغير السكاني ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٩٨٦م .

مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت .

- **السعدي** : (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ت١٣٧٦هـ) .

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق : عبد الرحمن اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ٢٠٠٠م .

- **سلامة** : عواطف أديب علي .

قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٩٤م .

- **السمعاني** : (أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ت٤٨٩هـ) .

تفسير القرآن ،تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، دار الوطن ، الرياض ، ط١، ١٩٩٧م .

- **السنجاري** : (علي بن تاج الدين بن تقي الدين ت١١٢٥هـ).

منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، تحقيق : جميل المصري ، جامعة أم القرى ، ط١، ١٩٩٨م .

- **السهيلي** : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ت٥٨١هـ) .

الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : عمر السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

- **السيف:** عبد الله محمد .

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، كلية الآداب، جامعة الرياض ، ١٩٨٣م .

- **السيوطي** : (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ) .

تاريخ الخلفاء ، تحقيق : حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، بيروت .

- **الشامي** : (محمد بن يوسف الصالحي ت٩٤٢هـ) .

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .

- **الشريف** : (حسن بن علي بن عون ذوى علي الحارثي)،

الرقابة الادارية في الدولة العباسية منذ قيامها سنة ١٣٢هـ حتى سنة ٢٤٧هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٩٩٣م .

- **الشريف** : أحمد إبراهيم .

مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٥م .

- **الشوكاني** : (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ت١٢٥٠هـ).

فتح القدير ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١، ١٤١٤هـ .

- **صابون** : أحمد محمود .

مكة المكرمة أسماؤها وتأريخها، جامعة الاسكندرية ، كلية تربية دمنهور .

- **الصباغ** : (محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي ت١٣٢١هـ).

تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة ، ط١، ٢٠٠٤م .

- **ضيف الله الزهراني وعادل غباشي .**

تاريخ مكة التجاري ، الغرفة التجارية الصناعية ، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٨م .

طاشكندي : عباس ، أسماء مكة ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ، لندن ،ط١، ٢٠٠٩م .

طاهر : عماد، الاقحوانة ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ،٢٠٠٩م .

- **الطبراني** : (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ت٣٦٠ هـ)

المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله واخرين ، دار الحرمين ، القاهرة .

الروض الداني المعروف ب" المعجم الصغير" ، تحقيق : محمد شكور ، دار عمار ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م .

المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ .

- **الطبري** : (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ت٣١٠هـ).

تفسير الطبري المعروف ب" جامع البيان عن تأويل أي القرآن" ، تحقيق : عبدالله التركي ، دار هجر ،ط١، ٢٠٠١م .

تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ، بيروت ، ط٢، ١٣٨٧هـ .

- **الطبري** : (أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري ت٦٩٤هـ).

القرى لقاصد أم القرى ، المكتبة العلمية ، بيروت .

- **طراوة** : حجازي حسن علي .

مظاهر الاهتمام والحرمين الشريفين في العصر الاموي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة .

- **الطيالسي**: (أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري ت٢٠٤هـ)،

مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد التركي ، دار هجر ، مصر ،ط١، ١٩٩٩م .

- **عبد الغني** : محمد إلياس .

تاريخ مكة المشرفة قديماً وحديثاً ، مطابع الرشيد ، المدينة المنورة ، ط١ ، ٢٠٠١م .

- **عبد اللطيف** : عبد الشافي محمد عبد اللطيف .

العالم الإسلامي في العصر الأموي ، دار الاتحاد التعاوني ، مصر ، ط٣ ،١٩٩٦م .

- **عبد الله** : عبد الله حافظ الحاج .

تجارة الحجاز في صدر الإسلام من البعثة النبوية إلى ٤١هـ، رسالة ماجستير ، غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، ٢٠٠٩م .

عبد الله العبأ :بساتين مكة المكرمة ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط١، ٢٠١١م .

- **العثيمين**:(محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهيبي التميمي ت٢٠٠١م) .

شرح رياض الصالحين ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤٢٦هـ .

- **عجيمي** : (هشام محمد علي) .

التحصينات الحربية لمكة المكرمة حتى نهاية العصر المملوكي ، مجلة كلية الآثار ، ع٦، ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م، جامعة القاهرة ، مصر .

- **العسقلاني** : (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ت٨٥٢هـ) .

تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ط١ ، ١٣٢٦هـ .

- **العسكري** : (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران ت٣٩٥هـ).

الأوائل ، دار البشير ، طنطا ، ط١، ١٤٠٨هـ .

- **العصامي** : (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ت١١١١هـ).

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل التوالي ، تحقيق : عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م .

- **عطار** : أحمد عبد الغفور .

الكعبة والكسوة منذ اربعة الاف سنة حتى اليوم ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٧٧م .

- **عفاف صبرة ، مصطفى الحناوي :**

دراسات في تاريخ الدولة الأموية ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ،٢٠٠٨م .

- **العلي** : صالح أحمد .

الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحواله العمرانية والإدارية ، مؤسسة الرسالة ، سوريا ، ط١، ١٩٩٠م .

العطاء في الحجاز تطور تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م٢٠ ، ١٩٧٠م .

امتداد العرب في صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣م .

منازل الطريق بين المدينة ومكة ، مجلة الدارة ، ع٨، ١٣٩٧هـ .

- **العمري**: عبد العزيز بن إبراهيم .

الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ١٩٨٥م .

- **العيني** : (أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي ت٨٥٥هـ) .

شرح سنن ابي داود ، تحقيق : أبو المنذر المصري، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١، ١٩٩٠م .

عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- **غباشي** : عادل محمد نور عبد الله .

المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني ، مطابع جامعة الملك عبد العزيز ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

- **الغزاوي .**

مكة المكرمة في شذرات الذهب ، تحقيق: عبد العزيز الغامدي ومحمد السرياني ومعراج مرزا ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٤٠٥هـ .

- **فارسي:** محمد سعيد .

التكوين المعماري والحضري لمدن الحج بالمملكة العربية السعودية ، مكتبات عكاظ ، جدة،ط١، ١٩٨٤م .

- **الفاسي** : (أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي تقي الدين المكي الحسني الفاسي ت٨٣٢هـ)،

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار الكتب العلمية ، ط١، ٢٠٠٠م .

الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ،تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، ط١، ٢٠٠١م .

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م .

- **الفاكهي** : (أبي عبد الله محمد بن اسحاق ابن العباس الفاكهي المكي ت٢٧٢هـ) .

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة ، ط٥، ٢٠٠٩م .

- **الفسوي** : (أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي ت٢٧٧هـ).

المعرفة والتاريخ ، تحقيق : أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط٢، ١٩٨١م .

- **فهيم** : محمد علي .

ملامح النشاط الاجتماعي في مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٩م .

- **الفيروزآبادي** :(أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب ت٨١٧هـ).

القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٨، ٢٠٠٥م .

- **فيروزي** : هاني ماجد .

ملامح من تاريخ مكة المكرمة ، دار العلم ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٩م .

- **قاسم** : حمزه محمد .

منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ، صححه : بشير عيون ، دار البيان ، سوريا ، ١٩٩٠ م .

- **قاضي** : صادق بن عمر بن عبد الله .

الاتجاهات المعمارية الحديثة وتأثيرها على العمارة في مكة المكرمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية الهندسة والعمارة الإسلامية ، قسم العمارة الإسلامية .

- **القدحات** : محمد بن عبد الله .

جهود الخلافة العباسية في عمارة الحرمين الشريفين ومشاعر الحج في الحجاز ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، ١٤٢٦هـ .

- **القرطبي** : (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ت٦٧١هـ) .

الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردوني وابراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢، ١٩٦٤م .

- **القرطبي** : (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري ت٤٦٣هـ).

الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق : علي البجاوي ، دار الجبيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

- **القزويني** :(زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ).

آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .

- **القلقشندي** : (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري ت٨٢١هـ).

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٥م .

- **الكتاني** : (محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي ت١٣٨٢هـ) .

التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، دار الأرقم ، بيروت ، ط٢ .

- **الكردي** : محمد طاهر الكردي المكي .

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، دار خضر ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٠م .

- **الكلبي** : (ابو المنذر هشام بن محمد ابي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي ت٢٠٤هـ)،

الأصنام ، تحقيق : احمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٠م .

- **كمال** : سليمان صالح .

إمارة الحج في العصر العباسي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ط١، ٢٠٠٥م .

- **مالكي** : سليمان عبد الغني .

بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٩٨٣م .

مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الاراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٩٨٧م .

- **الماوردي**: (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت٤٥٠هـ) .

الأحكام السلطانية ، دار الحديث، القاهرة .

- **المباركفوري** : (أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت١٣٥٣هـ) .

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- **المباركفوري** : (صفي الرحمن بن عبد الله بن محمد أكبر بن محمد ت ١٤٢٧هـ) .

الرحيق المختوم ، دار الهلال ، بيروت ،ط١ .

- **محمد عبد الستار عثمان .**

المدينة الإسلامية ، مجلة عالم المعرفة ، العدد ١٢٨، أغسطس ١٩٨٨م، مجلة شهرية الكويت .

- **المرحم** : فريدة محسن عبد الله .

الروشان والشباك وأثرهما على التصميم الداخلي في بيوت مكة التقليدية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، ١٩٩٦م .

- **المزيني** : إبراهيم بن محمد.

الأسواق والمراكز التجارية عند ابن جبير ، مجلة الدرعية ، ع١٠، ربيع الآخر ١٤٢١هـ/ يوليو ٢٠٠٠م .

- **المسعودي** : (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ت٣٤٦هـ) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .

- **مسلم** : (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ) .

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف ب" صحيح مسلم"، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

- **مطر** : فوزية حسين .

تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول ، مكتبة الأمين ، جدة ، ط٢، ٢٠٠٢م .

- **المعجم الوسيط :** مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، القاهرة .
- **معراج مرزا وعبد الله شاوش .**

الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة من القرن الخامس الهجري حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ط٢، ١٤٢٧هـ .

- **المعيقل** : خليل بن إبراهيم .

دراسة لآثار **موقع عكاظ** ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٣٢هـ .

- **المقداد .**

الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى العصر الأموي ، دار الفكر ، سورية ، ط١ ، ١٩٨٨م .

- **المقدسي** : (أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي الشاري).

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٩م .

- **المقريزي** : تقي الدين أحمد بن علي .

الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

- **مهدي : (رزق الله أحمد) .**

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، دار إمام الدعوة ، الرياض ، ط٣، ١٤٢٤هـ .

- **مهران** : محمد بيومي .

دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦م .

- **مؤلف مجهول .**

العيون والحدائق في أخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك الى خلافة المعتصم ، ج٣.

- **ناصر البركاتي ومحمد مناع .**

دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ، دار المدني ، جدة ، ط١، ١٩٨٨م .

- **نجيم** : رقية حسين .

البيئة الطبيعية لمكة المكرمة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٠م .

- **الندوي** : (أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين ١٤٢٠هـ).

السيرة النبوية ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١٢، ١٤٢٥هـ .

- **النهروالي** : (محمد بن أحمد بن محمد ت ٩٩٠هـ) .

الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق :هشام عطا، مكتبة مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة،ط١، ١٩٩٦م .

- **النووي** : (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ت٦٧٦هـ)

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢م.

- **النويري :** (احمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ت٧٣٣هـ) .

نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

- **النويصر**: محمد بن عبد الله .

خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٩٩م .

- **الهلابي** : عبد العزيز بن صالح .

الأسواق في مكة حتى نهاية العهد الأموي ، مجلة العرب ،ج٩، ١٠، الربيعان ١٤٢٢هـ/ حزيران وتموز ٢٠٠١م، الرياض .

- **الهمزاني** : بندر محمد رشيد .

علاقات مكة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، رسالة ماجستير ،غير مطبوعة ، مكة المكرمة ، ١٩٨٩م .

- **هورخرونيه** : سنوك .

صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، تحقيق : محمد السرياني ومعراج مرزا ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ط٢، ١٩٩٩م .

- **هيكل** : محمد حسين .

في منزل الوحي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩.

- **الواقدي** :(أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني ت٢٠٧هـ).

المغازي ، دار الأعلمي ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٩م .

- **اليزيدي** : مها سعيد سعد .

عمران المدينة المنورة وخططها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ٢٠١١م .

- **اليعقوبي** : (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت٢٩٢هـ) .

تاريخ اليعقوبي ، المكتبة المرتضوية ، النجف ، ١٣٥٨هـ .

- **اليعقوبي** : أحمد بن اسحاق .

مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق : وليام ملوّر ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٢م .

- **يوسف أحمد .**

المحمل والحج ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٣٧م .

الفهرس

الخاتمة

الملاحق

خرائط مكة المكرمة

فهرس المصادر والمراجع :

أولا : القرآن الكريم

ثانياً : الحديث الشريف

ثالثاً : المصادر العربية

رابعاً : المراجع

خامساً : الرسائل الجامعية

سادساً : الأبحاث والدوريات